دروس وعبر

للنساء

من سير

الأنبياء

الدكتورة

منال أبو الحسن

دروس وعبر

للنســاء

من سير

الأنبيــاء

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

أبو الحسن، منال
دروس وعبر للنساء من سير الأنبياء / د. منال أبو الحسن
- ط١ – القاهرة: الوادي للثقافة والإعلام، ٢٠١٧.
٢٤٨ص، ٢٤سم.
تدمك ٧ ٠١ ٦٥١٥ ٩٧٧ ٩٧٨
١- الوعظ والإرشاد ٢- قصص الأنبياء
أ- العنوان ٢١٣

تاريخ الإصدار: ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م

رقم الإيداع: ٢٠١٧/٤٦٧٧م

الترقيم الدولى: ISBN: 978 - 977 - 6515 - 01 - 7

الكود: ٢/٤١١



ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨
darannshr@hotmail.com





المقدمة

«من سير الأنبياء - دروس وعبر للنساء» بحث مقدم للبنات والأمهات فى ثلاثة أبواب، تسبح فيه القارئة فى بحار التوبة، التى سبح فيها الرسل والأنبياء.

تتعرفين من خلالها على سنة آدم ونوح وإبراهيم ويونس وموسى وداود وسليمان - عليهم السلام - فى التوبة، ومنهجهم فى التوبة، وقبل أن تبحرى فى بحار التوبة تتوقفين لتلقى نظرة من بعيد على قصة كل نبي؛ لكى تستطيعى أن تبحرى بسلام، وتعرفى كم من الأمواج ستقابلينها فى كل بحر، وارتفاع هذه الأمواج والمجهود المطلوب لتخطيها بأمان.

واستعدى لمواجهة خمس موجات عالية فى بحر آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهى: موجة الإحساس بالذنب والعلم به، ووراءها مباشرة موجة الاعتراف بالذنب، وما إن تنتهى منها وتسبحى فى التفكير فترة قصيرة، إلى أن تجيء موجة أخرى، تأتى من بعيد؛ لتستعدى لها، ولتتخذى كل ما تستطيعين من قوة وصبر وحكمة، وهى موجة اتخاذ الشيطان عدوًّا، تليها موجة بيضاء ناصعة مضيئة، وهى هداية الله، ووراءها موجة تحتاج إلى ثبات وقوة، وهى العزم وعدم النسيان. وبعدها تصلين إلى شاطئ التوبة بعد عناء شديد ومشوار طويل، أعانك عليه الرغبة الأكيدة للوصول إلى شاطئ التوبة بسلام، والحصول على مغفرة الله عز وجل. ثم تسيرين سيرًا خفيفًا، وتأخذين نفسا عميقًا، وتستعدين لنزول بحر نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.. ربما تذكرتى السفينة ونجاة ركابها المؤمنين، فتمنيت أن تجدى سفينة فى هذا البحر؛ لتخفف عنك عناء الإبحار، ولكن للجنة أصحابها وسعداؤها، وقد حفت بالمكاره، فلنتحمل معًا.

قلت: ربما تنفعنى الوساطة للوصول للشاطئ بسرعة، ولكن هذه موجة فى بداية الطريق عليها لا وساطة فى الدين، فتخطيها بنفسك وتوكلى على الله، وبعدها موجة للتوجه لله بالدعاء وطلب العفو والمغفرة، وربما نزلت البحر قبل أن تعرفى طبيعته وطبيعة من يدخله، ومن سقط قبل أن يصل للشاطئ، فتأتى عليك موجة الاستعاذة بالله من الجهل؛ لتعوضى ما فاتك من تقصير فى العلم والمعرفة.. لقد اقتربت من الوصول، فجاءت عليك موجة شديدة؛

لتعلمك أن الإحساس بالخسارة والندم على المعصية لابد أن تتذوقيه قبل أن تمشى على شاطئ التوبة بسلام.

وعندما تمشين على الأرض بقدمين ثابتتين، وتنسين التعب والمشقة فى الإبحار، ستطمعين فى الغوص فى بحر إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أبى الأنبياء.. انظرى من بعيد وستجدين أربع موجات قادمة من بعيد، فتقفزى بجرأة شديدة، وتسرعى الإبحار، فتجدى أولها الطمع فى المغفرة، فكم طمعتى فى الدنيا وما فيها، وما وجدتى غير الغرور والخسران.

الآن اختلف الطمع.. إنه طمع مضىء واسع لا يزول، إنه ليس بيتًا، إنه قصر تجرى من تحته الأنهار، ولكن موجة عظيمة وراءها؛ تأتى لتعظم ما ارتكبتى من أخطاء، فستقتنعين بها وتجتازينها بسلام فى فترة وجيزة، وتأخذين نفسك وتهدئين، فتجىء الموجة الثالثة تحرضك على الاجتماع مع أهلك للتوبة، ثم وقبل أن تصلى للشاطئ، فإن موجة التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة تأتى كبيرة جدًّا؛ فالأعمال الصالحة لا تحصى ولا تعد، منها الظاهر ومنها الباطن، منها البسيط ومنها الكبير، منها الصعب ومنها اليسير، والله المستعان فلتأت ما تستطيعين قبل، وقبل ... وقبل.

الحمد لله وصلت للشاطئ، فسوف تحاولين وتجتهدين أن تكون البحار الثلاثة التى خضتينها فى قلبك وعقلك ونفسك، وأن تظهر على عملك وقولك وفكرك؛ وإلا ما فائدة الخوض فى البحار وتعب الأفكار!

وبعد الاقتناع والإحساس بعدم القدرة عن الامتناع، ستعطين القرار، وتخوضين بحارًا جديدة، فاستعدى لتنزلى بحر يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وفيه ثلاث موجات: الأولى قريبة جدًّا وأوشكت على الوصول منك؛ وهى الغضب كسبب من أسباب الوقوع فى الذنب، كأنها تعرف أنك سريعة الغضب لنفسك، وأنك لم تتدربى على الغضب لله، كما كان يفعل محمد ﷺ، الذى لم يغضب لنفسه قط، ثم تأتى بعدها موجة عدم الصبر كسبب من أسباب الوقوع فى الذنب.

حقيقة حاولتى التدرب على خوض هذه الموجة قبل النزول فى هذا البحر، ولكن ربما تتخطينها بسلام، يكون عونًا على التدرب على الفضيلة، وأنت تحمدين الله وتشكرينه وتدعينه، ستجدين الموجة التى تختص بالدعاء لله لتقبل التوبة، وبهذا يزداد إيمانك بالله، وتتوجهين بالدعاء سرًّا وعلنًا، وبعدها تصلين إلى الشاطئ بسلام.

ويأتى دورك للخوض فى بحر يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، فتنظرى من بعيد، فتجدى موجات الإحساس والاعتراف بظلم النفس، وسرعة التوبة والإنابة إلى الله، والإحساس بالمسئولية تجاه الآخرين، وأن هناك حدودًا لعلم الناس بالله تعالى، فتقررى بعد ذلك القفز بسرعة؛ حتى لا يضيع الوقت ويظلم الليل، فلا تستطيعى النزول.

وقبل أن تجف الملابس وقبل الراحة من عناء الإبحار، تقررين أن هذه البحار لابد وأن تستكمليها جميعًا، فاطلبى الله أن يعطيك العمر والصحة والقدرة على استكمال رحلة التوبة إليه، فستجدين بحرًا فيه موجة واحدة، يبدو أن موجات الهوى قد تجمعت فى موجة واحدة قوية، ولكنها تنقسم إلى تسع موجات متجمعة متماسكة، وهى: عدم العدل، وعدم الاستقامة، وتزيين العمل، والطبع على القلوب، وعدم ذكر الله، والظلم، والضلال، والاستكبار، والجهل.. إنها أصعب كثيرًا من الموجات الكثيرة والأقل قوة ، فتجمع الصغير يصبح كبيرًا يصعب مواجهته. والذى يصبرك عليه هو أنه لم يتبق من البحور سوى بحر واحد، وهو بحر سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفيه ثلاث موجات، ربما أصبحت أقل خطورة، وربما أمكن تخطيهن بسهولة، وهن: الحذر من حب الدنيا، وطلب الدنيا والآخرة، وذكر الله غفران للذنوب.

الحمد لله وصلت إلى الشاطئ الأخير، فهل لك من راحة وزاد للتخفيف من عناء السفر!

ربما سمعت عن أنظمة الحمية التى يتبعها أصحاب الوزن الزائد، أو اللاتى يرغبن فى الصحة والجمال، ونظام حميتنا يتطلب تخفيف الذنب والأخطاء عن الإنسان بقدر المستطاع، وكما يتطلب نظام الحمية الغذائية زيادة فى المجهود لحرق المزيد من الدهون، فإن نظامنا يتطلب مزيدًا من المجهود النفسى والبدنى والعقلى والروحى؛ للوصول إلى توبة خالصة نصوح لله تعالى. وهو لا يسمح بنظام «اليويو» لإنقاص الوزن، وهو الزيادة والنقصان والزيادة والنقصان مرات عديدة، ولكننا نتغير بالعزم والإصرار على عدم الرجوع لارتكاب الذنوب، ولكى نتبع هذا النظام لابد أن ندرس الباب الثانى، الذى يصنف لنا الذنوب ثلاثة تصنيفات، ويفند أكثر من ثمانين ذنبًا، والباب الثالث الذى يتخصص فى التوبة تتعرفين من خلاله على التوبة: لماذا هى، وثمرتها، ووقتها، ثم مراحلها وشروطها، ولا يتركك الكتاب قبل أن يضع لك برنامجًا مفصلًا للتوبة من سنة رسولنا وخاتم الرسل والأنبياء محمد ﷺ، وعلى الله قصد السبيل.

أهمية الكتاب:

تتضح أهمية الكتاب من خلال ثلاثة محاور:

المحور الأول: يتعلق بالموضوع.

المحور الثانى: يتعلق بالفئة الموجه إليها الكتاب.

المحور الثالث: يتعلق بالظروف الحياتية المعاصرة.

تبدو أهمية الكتاب فيما يتعلق بالموضوع - وهو التوبة من الذنوب والخطايا - فى اتساع وعمق التناول، من خلال دراسة سنن الأنبياء فى توبتهم إلى الله تعالى، وربطها بواقع البنات والأمهات، ومشكلات أكثر إلحاحًا فى ظروف حياتية مختلفة. وهى محاولة للتعمق فى أمور الدين، وفى فهم ما وراء الآيات القرآنية، والاستفادة منها فى حياتنا، وتصحيح مسارها.

وفيما يتعلق بالفئة الموجهة إليها الكتاب - وهى البنات فى مرحلة المراهقة والأمهات - فإن مرحلة المراهقة مرحلة انتقالية وطويلة، وتتميز بالنمو العقلى والمعرفى، الذى يسمح بالفهم والتدبر، وإمكانية الاستفادة من المنهج المستخدم فى الكتاب. كما تتميز بالنمو الانفعالى وتغيره بشدة عن مرحلة الطفولة، حيث تزداد استخدامًا لمفردات الحب والحبيب والصديقة والصديق، وهى علاقات ربما يستخدمها البنات بشكل خاطئ، وخاصة من يفتقرن منهن للعلم والدين والثقافة، وتبرز اهتمامات للمراهقات لم تكن واضحة من قبل، وخاصة فى الزينة وأصناف الترفيه وقضاء الوقت، واستخدامات التكنولوجيا مثل الهاتف المحمول والحاسبات الآلية، ويحاول الكتاب تقريب سنن الأنبياء لهذا الواقع وهذه الخصائص، التى تتميز بها المراهقات عن غيرهن.

أما الأمهات فإن الكتاب يهتم بإعطائهن العديد من المواقف والمشكلات والحلول المتواضعة، التى يمكن أن تساعدهن فى تصحيح مسارهن، سواء مع أنفسهن أو مع بناتهن، خاصة أن الأمهات أصبحن يواجهن مشكلات، نابعة من قصور علمهن فى الدين والدنيا، وتأثر بناتهن بفئات أخرى، مثل الصديقات والإنترنت والتلفزيون والمدرسة والتعليم ومناهج التعليم والمدرسين، وغيرهم.

وهو ما أدى إلى توسيع مشكلاتهن مع بناتهن وصعوبة حلها، وربما عدم محاولة حلها على الإطلاق؛ لتعسرها ولشيوعها؛ مما يجعل الأمهات يفضلن عدم الخوض فى أساليب الحل.

أما ما يتعلق بأهمية الكتاب النابعة من المشكلات الحياتية المعاصرة، فإن جميع مناحى الحياة قد تغيرت بسرعة وبشدة عما كانت تعيش فيه الأمهات فيما سبق، فقد تغيرت العلاقات الاجتماعية، فضاقت فى محيط الأسرة والأقارب، واتسعت فى محيط العالم الخارجى من خلال الإنترنت، وأصبحت أكثر سطحية وأكثر سعة وأقل ارتباطًا وأسرع تفككًا. وقلت إمكانية البنات على الإنتاج والاعتماد على النفس، وفى الإطار السياسى زادت التوترات السياسية النابعة من السيطرة على السلطة، وتدهور الأحوال الاقتصادية التابعة لذلك، وانتشار المفاهيم المغلوطة التى تقلب الموازين رأسًا على عقب.. فالجهاد إرهاب، والعفة تخلف، والزنا حرية وحقوق، والحجاب تخلف ومستفز، وفى التعليم انتشر الغش وعدم إخلاص المعلمين، وتهافتهم على تجميع الأموال من الطلاب بطرق مختلفة، وحرمان الطالب من حقه فى الفهم والتعليم الصحيح داخل إطار المدارس أو المعاهد والكليات، والتقليص من مناهج الدين، وتغيير كثير من المفاهيم أو إخفائها؛ لتحقيق أهداف غير سوية، وفى الجانب الإعلامى والثقافى ازداد استخدام وسائل الإعلام لنشر الرذائل والعرى والفاحشة، وتعمد تقليص دور الدين والمتدينين فى نشر الفضائل من خلال وسائل الإعلام.

ولا يخفى على أحد أن التلفزيون أصبح من أكثر المؤثرات على تربية النشء والأطفال، وعلى علاقة الأفراد داخل الأسرة، وعلاقة الشباب ببعضهم خارجها.

ومن هنا، فإن هذا الكتاب يقدم أكثر من ثمانين ذنبًا يمكن أن تقع فيه البنات أو الأمهات، والتى أثرت فيهن كل الظروف السابقة الذكر، ويقدم حلولًا أو سبلًا لتجنبها، وتعلم كيفية التوبة منها وعدم الوقوع فيها، وذلك بالاعتماد الأساسى على القرآن الكريم وسنة محمد ﷺ - خاتم الرسل والأنبياء.

أهداف الكتاب:

- ✍ إلقاء الضوء على سنن بعض الأنبياء فى التوبة ومنهجهم وطريقة توبتهم، بما يسمح بالاقتداء بهم.
- ✍ ربط مناهج الأنبياء فى التوبة بمواقف حياتية، يستفيد منها البنات والأمهات فى طريق التوبة.
- ✍ التعرف على تصنيفات الذنوب؛ بما يسمح بسرد العديد من الذنوب داخل هذه التصنيفات.

- إعطاء العديد من التطبيقات على الذنوب من حياة البنات أو الأمهات وأساليب معالجتها.
- الوقوف على التوبة؛ من حيث فائدتها وثمرتها ووقتها ومراحلها وشروطها، بما يسمح بتوسعة مدارك البنات والأمهات حولها كفريضة واجبة عليهن.
- تعميم برنامج يومى لتجديد توبة البنات والأمهات؛ اتباعًا لسنة الرسول محمد ﷺ.

***



الباب الأول
سنن الأنبياء فى التوبة

الفصل الأول : سنة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فى التوبة.

الفصل الثانى : سنة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فى التوبة.

الفصل الثالث : سنة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فى التوبة.

الفصل الرابع : سنة يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ فى التوبة.

الفصل الخامس : سنة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فى التوبة.

الفصل السادس : سنة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فى التوبة.

الفصل السابع : سنة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ فى التوبة

الفصل الأول

سنة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فى التوبة



فى البداية نلقى نظرة على قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم نبحث - من خلال آيات الله - عن سنة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فى التوبة، ونستخرج منها ما ينفع الأخوات - الصغار والكبار - فى حياتهن، ونقرب الآيات لمواقف حياتية ملموسة ، ونتعلم من سنة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ خمسة مناهج على طريق التوبة، وهى: الإحساس بالذنب والعلم به، الاعتراف بالذنب، عدم اتباع الهوى، اتخاذ الشيطان عدوًا، الثبات وعدم النسيان.

نظرة على قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال ﷺ: "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب، والسهل والحزن وبين ذلك" [رواه أحمد عن أبى موسى الأشعرى] (١).

وقال الله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة:٣٠]، وقال لهم: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾[ص]، وقال ﷺ: "خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها" (٢).

وعلم الله تعالى آدم الأسماء كلها، وأمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا جميعًا إلا إبليس - استكبارا منه وكفرًا بنعمة الله وقدرته - وجعل الله لآدم زوجة وأسكنها معه فى الجنة، فتمتعا بها، وأمرهما الله ألا يقربا شجرة فيها، إلا أن الشيطان وسوس لهما، وأقسم لهما أن يكونا من الخالدين إذا أكلا من هذه الشجرة، وكانت نيته أن يظهر ما أخفى عنهما من عورة. وقد

---

(1) أحمد (٤ / ٤٠٠)، وأبو داود فى السنة (٤٦٩٣)، والترمذى فى التفسير (٢٩٥٥)، وقال: "حسن صحيح"، وصححه الشيخ الألبانى.

(2) مسلم فى الجمعة (١٧/٨٥٤)، وأبو داود فى الصلاة (١٠٤٦)، والترمذى فى أبواب الصلاة (٤٩٠).

حذرهما ربهما من الشجرة ومن الشيطان، ومما سيلاقياه من شقاء وتعب إذا لم يطيعا ربهما .. ونسى آدم أمر ربه فغوى بغواية الشيطان.

فلما أطاعا الشيطان وأكلا من الشجرة بدت لهما سوآتهما، وأخذا يغطيان عوراتيهما بورق الشجر، فأحسا بالذنب، وعلما أنهما قد عصيا ربهما ونسيا أوامره، واعترفا بالذنب وقالا: ربنا ظلمنا أنفسنا، وطلبا المغفرة والرحمة من الله – عز وجل.

فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، وخرجا من الجنة ، إلا أن الشيطان طلب من ربه أن ينظره إلى يوم البعث والحساب، وتوعد بنى آدم بالغواية إلا الصالحين؛ فليس له عليهم سلطان، ووعد الله – عز وجل – آدم وزوجه وذريتهما، بأنه سيأتيهم بالهدى، وأنه من اتبع هذا الهدى لا يضل ولا يشقى.

الآيات التى سننطلق منها لاتباع سنة آدم فى التوبة:

قال تعالى فى سورة طه: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه] للإحساس بالذنب.

وفى سورة الأعراف: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف] للاعتراف بالذنب.

وفى سورة الأعراف: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الأعراف:٢٤].

وفى سورة الأعراف: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف] لاتخاذ الشيطان عدوًا.

وفى سورة البقرة: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة] لاتباع هدى الله.

وقال تعالى فى سورة طه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه] لعدم النسيان.



منهج التوبة

الإحساس بالذنب والعلم به:

لقد أحس آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وزوجه بالذنب بعدما بدت لهما سوآتهما، فأحسا أنهما عصيا ربهما.

فكما جعل الله لنا الألم إنذارًا لوجود مرضٍ، فيلجأ الإنسان إلى الطبيب لوصف الدواء، فإن بعض المصائب والهموم والأحزان، وحالة الإنسان من فقر أو غنى ونجاح أو فشل، ربما تكون إنذارًا لمعصية، فهنا واجب علينا الإحساس بالذنب، واللجوء إلى الله بالتوبة والاستغفار، وكلما كان سريعًا كلما كان الشفاء بإذن الله مرجوًّا. وأخبرنا الرسول محمد ﷺ أن كل أمر المؤمن خير له، وتعجب لذلك؛ فإذا أصابه سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له [1]، ولنأخذ أمثلة مما يقع فيه البنات مع أنفسهن ومع الله ومع الناس من معصية.

مع النفس: «كثيرة الظن بالناس، متوترة، سريعة الاستثارة، لا أثق بنفسى، أكره فعل الخيرات».

مع الله: «أؤدى الصلاة كعمل روتينى بلا خشوع، لا يستجاب لى دعاء، ولا أحصل على درجات عالية رغم مجهودى ودعائى، لا أعطف أو أتصدق على اليتيم أو الضعيف».

مع الناس: «يحجم كثير من البنات عن مصادقتى، أمى كثيرة اللوم لى، أبى لا يثق بى وبما أقوله له، لا يتقدم إلَيَّ عرسان للزواج، لا أستطيع التوافق مع صديقاتى وأخواتى».

إذا أحست الأخت بما يحيط بها من مشكلات، وما تحسه من آلام، فلا تلومن إلا نفسها، فلتبدأ بها، ولا تجعل الأطراف الأخرى أو من يحيط بها مصدرًا لهذه المشكلات، ولكن تجعلهم سبيلًا للخروج منها، بتغيير سلوكياتها وأخلاقها معهم، وسوف ترى ماذا فعل الدفع بما هو أحسن مع الناس، وسوف تجد آيات الله تتحقق أمامها كضوء الشمس الساطع، ولا تنتظر إلى أن يجتمع حول قلبها الذنوب، فيرون عليها، ولا تستطيع الخروج.

---

(١) مسلم فى الزهد والرقائق (٢٩٩٩/ ٦٤) بلفظ: «عجبًا لأمر المؤمن؛ إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له».



ما هو الطريق للإحساس بالذنب والعلم به؟ [الحواس - العقل - الآخرون].

يمكن أن تحس المذنبة بالخطأ؛ إما من خلال حواسها كأن ترى نفسها فى وضع خاطئ، أو تسمع ما تقوله من ألفاظ لا تليق، أو أن تشم الرائحة العطرة الشديدة تفوح منها فى أماكن وجود الرجال، ثم يكون هذا الإحساس جزءًا من الإدراك العقلى لها، وتبدأ فى التمييز وحساب النفس، ولكن هذا الأمر لابد أن يكون قائمًا على علم، وإلا مر مر الكرام.

ويأتى الإحساس بالذنب من خلال العلم به بعد القراءة أو الاستماع أو المشاهدة لمواقف مماثلة لسلوك تقوم به الأخت، فإذا بها ترى ما تفعله فى الآخرين، أو تسمع لخبرات مماثلة، أو تقرأ آيات من القرآن فينشرح صدرها لآياته، وينعم الله عليها بالفهم والإدراك لمعانيه، فتدرك - حينئذ - كم كانت مخطئة ومذنبة فى حق نفسها، أو غيرها، أو حق رب العباد، وهذان الطريقان جاءا من إحساس لمنبه خارجى خاص بالمذنبة، أو جاء من إحساس داخلى وإدراك عقلى بعد القراءة والفهم، والتمعن فى الآيات.

أما إذا جاء التنبيه من شخص آخر موجه للأخت المذنبة، فهو قد يكون فى شكل نصائح تعطى بشكل مباشر أو غير مباشر، وقد يكون فى شكل إرشادى أو تعليمى، يتم تدريسه كمادة دينية أو درس دينى، فتخرج منه الأخت بمؤشرات لتعديل سلوكها أو الإحساس بالذنب، وقد يكون فى شكل تعليقات من الصديقات فى المدرسة أو الجامعة أو الجيران، أو فى النوادى، أو غيرها.

وهذه التعليقات قد تكون مباشرة للأخت، أو غير مباشرة أثناء الحديث عن أخطاء الغير، وما أكثر هذه الأنواع من الأحاديث بين النساء خاصة، وقد تكون فى شكل لوم أو عتاب مباشر، مثلما تفعل الأمهات مع بناتهن، أو المعلمات مع تلميذاتهن، أو بعض الأخوات المخلصات.

وقد تكون فى شكل انتقادات لاذعة، توجه مباشرة للأخت من الزملاء أو الإخوة أو الأقارب، وخاصة من لا تكون هدفها إرضاء الله، أو الأخذ بيد أختها للفوز بالجنة أو النجاة من النار، وإنما هدفها الإحباط، أو إظهار قصور الغير، أو الغيرة، أو الحقد والحسد.

فى رحلة العلم بالذنب:

يتعين على الأخت المسلمة أن تعلم وتتعلم من القرآن الكريم والسنة المطهرة ما يأمرها به الله تعالى لتأتمر به، وما ينهاها عنه الشرع لتنتهى عنه، وتدعو الله، وتخلص فى الدعاء أن

يعلمها من القرآن ما تجهله، وأن يرزقها تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وأن يذكرها منه ما نسيت؛ فهو من الله الذى أنزل القرآن على رسوله ﷺ ليكون نورًا وهداية للعالمين إلى يوم الدين، وهو الذى يسره للذكر، وهو الذى أنزله بلسان عربى مبين، فإذا داومت على حفظ آية كل يوم منذ بلوغها، فستختم حفظه إن شاء الله تعالى فى العقد الثالث من عمرها، أو قبل ذلك بقليل، أو بعد ذلك بقليل.

فهيا يا أخت الإسلام لتدخلى زمرة الحافظين للقرآن؛ فيكون لك نورًا فى الدنيا وعلوًّا فى الآخرة.

وأنت فى رحلة الحفظ لنور الله وهدايته للبشر، عليك بدوسهين، أو كراستين؛ واحدة لونها أخضر أو أبيض، والأخرى لونها أحمر أو أسود، الكراسة البيضاء تكتبين فيها آيات الأمر والحث على عمل معين. والكراسة الحمراء أو السوداء تكتبين فيها آيات النهى أو التحذير والإنذار أو العذاب، وذلك بالتشكيل للحروف الأخيرة من الكلمات على الأقل، وأقصد من لون الكراسة التفكير بمضمون الآيات.

وأنت فى هذه الأوقات ستتذكرين ما قمت به من أعمال يرضى الله عنها، وأعمال ينهى الله عنها، وعند ذلك عليك أن تضعى علامات عليها؛ لتقيسى عليها أعمالك، وتكون هداية لك عند محاسبة النفس كل يوم، وإذا قابلك كلمات لم تفهمى معناها، فلا تتركينها هكذا، ولكن احرصى على معرفة معناها من كتب التفسير، أو من معجم الألفاظ القرآنية، ودوِّنى هذه المعانى فى هامش الكراسة بعد الإشارة إليها عند الآية.

احرصى على كتابة اسم السورة ورقم الآية عند نهاية الآية، وإذا وجدت آية أنت فى حاجة إليها لتزيدك فى الطاعة، أو تعينك على الإقلاع عن المعصية، فعليك أن تعيدى كتابتها بخط كبير، وتعليقها فى مكان على حائط يكون فى محط نظر أهل البيت .. هذا إذا كنت تستطيعين القيام بالعمل بمفردك، وبهمة دون فتور. أما إذا كنت تحبين العمل الجماعى فياحبذا فى العمل الإسلامى؛ فهو خير معين، فلتختارى أقرب الصديقات علمًا ودينًا وخلقًا وهمة، ولتعرضى عليها المشروع، فإذا وافقت فالعمل فى الحال وليس غدًا، ولتخلصا لله، ولتتضرعا له، وتطلبا منه العون والسداد، ولتخلصا النية له، ولتستقيما وعلى بركة الله. ولكن هل يمكن أن يكتمل العمل بدون اتباع سنة الرسول ﷺ.

ولتتذكرى أمر الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر:٧] .. فأنت هنا عليك أن تنظمى أوقاتك؛ للنيل من روضة الرسول ﷺ، وليكون لك بزة واقية من الغرق فى بحر المعصية.

فإذا كنت ستجعلين كل يوم آية، فاجعلى فى الأسبوع يومًا أو يومين لتنهلى من فيض السنة المطهرة، ولتتبعى الطريق السابق نفسه فى آيات الله، فيكون لك كراستان؛ واحدة لما أمرنا به الرسول ﷺ، وأخرى لما نهانا عنه الرسول ﷺ، وهكذا يكون عندك أربع كراسات بأربعة ألوان: الأبيض والأخضر للأوامر، والأحمر والأسود للنواهى. ولتتبعى الطريقة السابقة فى حساب النفس عما ائتمرت به، وعما انتهيت عنه، فإذا وجدت حديثًا موافقًا لسلوك، فلتركزى عليه، وإذا وجدتِ حديثًا معارضًا لسلوك قمت به، فلتكتبيه بخط كبير وتعلقيه فى مكان ظاهر للجميع، إلى أن تنتهى عن هذا السلوك بعون الله وتوفيقه.

فما أجمل أن تزرعى هذه الشجرة فى البيت! وما أجمل أن تزرعيها فى المدرسة أو الكلية، بأن تكتبيها على غلاف الكتاب أو الكراسة، وتكرريها مع زميلاتك، فأنت هنا لا تحصدى ثمرة واحدة، ولكن تكسبى محصولًا وفيرًا، ينفعك فى دنياك وآخرتك، ويرفعك فى الآخرة كلما قام به عبد أو أمة مثلك، فلك الأجر ولك أجر من عمل بها إلى يوم القيامة إن شاء الله. فهذا الفرق بين ما أكلت فأفنيت وما لبست فأبليت، وبين ما تصدقت فأبقيت.

وانتبهى أيتها الأخت المسلمة؛ فقد يكون الأمر بدون أداة أمر أو فعل أمر، وقد يكون النهى بدون أداة النهى، فلتفهمى من الآية أو الحديث، أن افعل أو لا تفعل فيكن لك إشارة للأمر أو النهى.

فإليك هذه الآية وهذا الحديث لتوضيح ذلك. قال تعالى فى سورة الروم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾[الروم:٧] .. فهى آية تحث المسلمة على التزود من علم الدنيا وعلم الدين؛ حتى لا تكون من الغافلين. وقال الرسول ﷺ: «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان؛ أى تقول: اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا»[١].

فهو حديث ليس فيه أمر مباشر للإنسان، ولكن جاء الأمر من الإنسان لنفسه أو لأعضائه، وكأن الأعضاء تحاسب بعضها فى الدنيا، قبل أن تشهد على بعضها فى الآخرة.

---

(١) الترمذى فى الزهد (٢٤٠٧)، وحسنه الشيخ الألبانى.



وفى مرحلة العلم بالذنب - والتى تخوضينها بنفسك لتحصلى على أعلى شهادة وأسمى علم، بوصولك لأعلى الدرجات، وأفضل المنازل عند الله رب العالمين - ستجدين عثرات ومشكلات وأمراضًا، ربما خفيفة أو ثقيلة، فاجعليها منبهًا لك للتوبة. واعلمى أن الله قد جعل ذلك للمؤمن؛ لكى ينقيه من الذنوب، ويصحح له الطريق، ويخفف عنه خطاياه.

يقول ﷺ: **«ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه»**(١) [متفق عليه]، ويقول ﷺ: **«إذا أراد الله بعبده الخير، عجل له العقوبة فى الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر، أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة»** [رواه الترمذى](٢).

ولنفرح بالحديث الذى يبشر المؤمنين بلقاء الله بدون خطايا، يقول ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله، حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة» [رواه الترمذى](٣).

وفى مرحلة العلم بالذنب، عليك بإفساح صدرك لنصائح الآخرين، إذا كانت أعجبتك وإن لم تكن؛ فهى مؤشر آخر فى الرحلة، فإذا كان فيك ما يقولون فلتبدأى العمل، وإذا لم يكن فيك فلتبحثى عن السبب؛ فحتمًا لك علاقة به من قريب أو بعيد، ولكن لا تتركى ذلك كله وتتجاهليه، وإلا خسرت كثيرًا، وأطفأت نورًا فى شارع مظلم.

فما تحسبينه هينًا قد يكون عند الله عظيمًا، فأنت هنا محتاجة إلى ثمرة الصبر لتأكلى منها؛ لتكون غذاءً للنفس والبدن، وعونًا لك على الكبر والنفور، يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[البقرة]. وفى سورة آل عمران يقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾[آل عمران:٢٠٠].

وعليك أن تتحلى بأدب تقبل النصيحة، ومنة الشكر لله أن رزقك بمن ينصحك. يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾[البقرة] .. فتذكرى أن الناصح رزق لك من الله، وعون لك على الطاعة، فإن كان فيك ما يقول، فعليك بالأخذ

---

(١) البخارى فى المرضى (٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٧٣/٥٢).

(٢) الترمذى فى الزهد (٢٣٩٦)، وقال: «حسن غريب من هذا الوجه»، وابن ماجه فى الفتن (٤٠٣١)، وحسنه الشيخ الألبانى.

(٣) الترمذى فى الزهد (٢٣٩٩)، وقال: «حسن صحيح».

بالنصيحة، وإذا لم يكن فهى تذكرة، وإن الذكرى تنفع المؤمنين، ثم تجزلى للناصح بالدعاء، بأن تدعى الله له بالجزاء الوافر بالخير «جزاك الله خيرًا»، وأن يكون هذا الدعاء خالصًا لله، وليس فيه ما ينغص نفسك أو يضايقها.

وتذكرى أن الشيطان هنا إليك أقرب، فالنفس لا تحب الناصحين، سيقول لك هل فرغ الناصح من نفسه لينصح الآخرين؟! ويقول لك: ألست بأفضل منها كثيرًا؟! من تكون هذه التى تنصحنى؟! ألم تسبب لى إحراجًا فى وسط المجموعة؟! ألم تكن نصيحتها العلنية فضيحة لى؟ ...؟ ...؟ ...؟

فأغلقى جميع هذه الأبواب فى وجه الشيطان، واستعيذى بالله من الشيطان الرجيم، واجعلى أول ما تفكرين فيه هو الله، وليس نفسك؛ فإنها أمارة بالسوء.

وللغير معك شارع آخر فى رحلة العلم بالذنب، فإذا كانت الأخت قد تقدمت إليك بالنصحة بدافع منها، فهذا جانب، أما الجانب الآخر، فهو على الرغم من أنه يأتى من الغير، إلا أن باعثه أنت، فأنت التى تحثينها على إعطائك النصيحة والعون، ولاحظى أنه إذا كانت فى الحالة الأولى وهى التى تتقدم فيها الأخت بالنصيحة لك قد تكون صديقة أو غير ذلك، وقد تكونى تعرفينها أو لا، وقد تكونى قابلتيها أو لا.

ولكن فى الحالة الثانية - وهى التى تطلبين أنت منها النصيحة - فغالبًا ما تكون هذه الأخت صديقة أو أختًا لك فى الله، أو أختًا مسلمة أحببت أن تتقربى إليها ومنها. ولذلك فإن النصيحة هنا ستجد طريقًا سهلًا ميسرًا للقلب، مهدها لها الدافع الذاتى فى الإصلاح للنفس، والفوز بالسعادة فى الدنيا والآخرة. فما أقوى هذا الدافع! وما أحسن هذه الهمة! فهلمى بها وتوكلى على الله؛ فطريقها سهل، ونتيجتها مضمونة، وشفاؤها عاجل، وربحها وفير إن شاء الله، فعلى بركة الله تقدمى، واختارى صفوة الأخوات، وأخلصى النية فى الإصلاح لله تعالى؛ فستجدين أن الله هو الذى يختار لك ويوفقك فى الاختيار، فهل عرفتيها الآن؟ أسرعى بالاتصال بها قبل أن تنشغلى وتنشغل مع غيرك ولا يكون لك معها نصيب.

وأنت فى رحلتك لست وحدك مذنبة فكل من يمشى عليها مذنب، ولكن خيرهم من أدرك وعَلِم، فاستغفر ربه، وأناب إليه؛ ليحظى بجنة ربه، ونعم أجر العاملين.

فعليك هنا ألا تكتمى العلم، بل تبلغيه؛ لتأخذى بيد أخواتك؛ لكى يسبحوا معك فى بحر

التوبة والمغفرة الواسع، وتذكّرى قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[البقرة].

وتذكرى - أيضا - أنك لا تبلغى هذا العلم لتتباهى به أو لتمارى به الناس ،أو ليقبل الناس عليك، ولكن لله تعالى؛ فقد قال الرسول ﷺ: **«من ابتغى العلم ليباهى به العلماء، أو ليمارى به السفهاء، أو تقبل أفئدة الناس إليه، أدخله الله النار»** [أخرجه الترمذى][(١)].

واطلبى من الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكون صدقة مقبولة لديه، وألا يخالطه عمل سيئ مِن مَنٍّ أو أذى. فتذكرى قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة:٢٦٤]. وقول الرسول ﷺ: **«ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن خمر، والمنان»** [رواه النسائى][(٢)].

ألا ترين كثيرًا من الناصحين يمنون على الناس أنهم كانوا سببًا لهدايتهم أو التزامهم أو تغير حياتهم؟! فلنقِ أنفسنا وأهلينا نارًا وقودها الناس والحجارة.

وفى رحلة العلم بالذنب، عليك - يا أختاه - أن تنهلى من روضة الأنبياء، التى ستجدين فيها كيف أذنب آدم أبو البشر، وكيف تاب، وكيف أذنب نوح وإبراهيم ويونس وموسى وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام، وكيف توجهوا إلى الله بالتوبة والاستغفار والتضرع إلى الله والدعاء إليه، وكيف تاب الله عليهم.

وهذه الطرق - سواء ما تعلق منها بك أو بمن حولك عمن يوقظونك أو ينقذونك من الذنب - أو ما تقومين أنت بإنقاذهم تساعدك على الإجابة عن سؤال: كيف تعرفين الذنب؟ أو ما هى الذنوب؟ أو طريقك للإحساس بالذنب والعلم به.

الاعتراف بالذنب والإحساس بالخسران المبين:

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف] .. قالها آدم وحواء بعد إحساسهما بالمعصية، فهل أحسستِ بالذنب، وكانت لديك القدرة على الاعتراف به؟

إذا أحسست بالذنب فهذه نعمة من ربك .. فقد تكونين أنت التى أحسست بها وقد

---

(١) الترمذى فى العلم (٢٦٥٤)، وقال: «لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وحسنه الشيخ الألبانى.

(٢) النسائى فى الزكاة (٢٥٦٢)، وأحمد (٣٩٩/٤)، وصححه الشيخ الألبانى.

يكون غيرك هو الدافع لذلك، وربما تكون هذه المرحلة مهمة، ولكن المرحلة الأصعب هى الاعتراف بذنبك.

اعلمى أنك الآن ستدخلين معركة للعدوان الثلاثى: النفس والشيطان والناس.

فالنفس أمارة بالسوء، والشيطان وعد ربه بغواية الإنسان، وجعلها صراطه المستقيم، والناس وما فيهم من حب الذات، ورغبة فى الانتقام والثأر والكبر والظلم، ومن فيهم من الغاوين أتباع وجنود الشياطين، وغيرها من الصفات التى لا عاصم لنا منها إلا الله اللطيف الخبير: «اللّٰهم الطف بنا إنك أنت اللطيف الخبير، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم».

فهناك دفاعات نفسية وحوارات ذاتية للإقناع، بأن النفس لم ترتكب هذا الذنب، فتبدأ الأخت بإقناع نفسها بأنها على حق، وتأخذ فى إعطاء مبررات لما قامت به، وترمى الحمل على غيرها، كأن النفس ليس لها علاقة بالموضوع أو المشكلة، فترى المشكلة كأنها تمثيلية تعرض على الشاشة الصغيرة، وهى أمامها متفرجة سلبية، ليس لها القدرة على التأثير، ولكن تتأثر فقط.

وقد يكون هناك حوار ذاتى لانتصار النفس، وليس الانتصار عليها، فينهزم الإنسان أمام رغباته وآماله وأحلامه. وأمام ما فى النفس من فجور ونسيان - وقد تكونى واحدة من هؤلاء - إما أن تستطيعى أن تعترفى لمن أخطأت فى حقه من الناس، وإما أن تعترفى لله لمن أخطأت فى حقه من الناس، وإما أن تعترفى لنفسك فقط.

فإذا كنت الأولى فأنت إما أن تكونى مجاهرة بالمعصية فقط إذا لم تكن نيتك التوبة النصوح، وهنا ستجدين ارتفاعًا فى صفة الكبر، التى ما لازمت المسلم إلا وأدخلته النار، وحرمته من الجنة، فلا يدخل الجنة من كان فى قلبة مثقال ذرة من كبر، أما إذا اعترفت للناس أنك المخطئة فى حقهم - بنية الإصلاح والتوبة - فأبشرى؛ فأنت على الطريق المنشود.

ولهذا الاعتراف جوانب يجب مراعاتها، منها:

- الدعاء لله بالتوفيق والإصلاح.
- الصلاة ركعتين لقضاء الحاجة، تطلبين من الله فيهما التوفيق.
- قراءة ما تيسر لك من القرآن، ويا حبذا لو كان قلب القرآن (يس)؛ حتى يطمئن قلبك؛ فالقلب هنا منزلة كبيرة.

- السرعة وعدم التسويف أو التأجيل؛ حتى لا تلهيك الدنيا وما فيها من مشاغل عن العمل.
- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم كثيرًا؛ فهو لك فى هذا الوقت قريب جدًّا، والتأكيد على قراءة المعوذتين.
- شحذ النفس لمواجهة دفعاتها ونزغاتها، وذلك من خلال الذكر والحوار الذاتى البناء ومحاسبة النفس.
- تجهيز أى هدية مادية تناسب من ستتوجهين إليه بطلب العفو؛ فهى مفتاح القلوب .. وهى مفيدة لك أيضًا؛ لاعتبارها رادعة لك عن الخطأ، واعتبارها وسيلة للعقاب المادى.
- الاستبشار بقبول المعذرة والتفاؤل بالصلح؛ فإن الوجه والابتسامة يصلح كثيرًا ما أفسده اللسان.
- حسن اختيار الأسلوب والألفاظ المناسبة لمن وقع عليه الظلم، والدعاء له.
- الدعاء لمن وقع عليه الظلم؛ فهو خير معين لتصفية النفوس.
- الإكثار من العمل الصالح لمن وقع عليه الظلم؛ حتى تشعرى أنه رضى وارتاح قلبه، وأصبح يدعو لك بظهر الغيب.
- شكر الله وحمده كثيرًا على هذه النعمة التى حباك الله بها.

أما إذا لم تستطيعى الاعتراف للناس بخطأك معهم، وآثرت الاعتراف لله، فإن هذا الاعتراف ناقص، ولكنه يغيب فى أحيان كثيرة؛ كأن يكون الشخص الذى ظلمتيه لا تستطيعى الوصول إليه؛ إما لوفاته أو لسفره أو لبعد المسافة بينكما، أو لعدم معرفة مكانه. فلك أن تكثرى من الدعاء والاستغفار، والتضرع إلى الله، وكثرة الأعمال الصالحة، والدعاء للشخص نفسه، وربما رد المظالم لأهلها، إذا استطعت الوصول إليهم.

ويفيد الاعتراف لله فى حالة عدم التأهل النفسى للمذنب، وعدم قدرته على المواجهة، وأن يخشى أن يثمر هذا الاعتراف بذنوب أخرى ومعاصٍ لا قبل له بها. فكثير من الأخوات عندما يواجهن الناس، تأخذهن العزة بالإثم، فتحول نفسها من معتذرة وطالبة للعفو، إلى متعدية وجانية على المظلوم، فتزداد إثمًا على إثمها وظلمًا على ظلمها.



ففى هذه الحالة - وإذا كنتِ من هؤلاء - فالأفيد أن تتوجهى أولًا بالدعاء إلى الله، وطلب العون منه للانتصار على النفس وكبرها وفجورها؛ فهو خالقها وأعلم بها، وهو أرحم الراحمين، وعليك بالصلاة ركعتين للحاجة، وأن تخلصى وتحسنى النية فى هذا العمل لله؛ حتى تستطيعى مواجهة الصدمات، وما سوف يقع عليك من لوم أو أذى أو هجران أو حرمان أو عقاب، وإذا وجدتى أن فجور النفس انتصر عليك، فأعيدى الدعاء والتضرع واللجوء والاستغفار لله تعالى والصلاة؛ حتى تطمئنى تمامًا إلى هدوء النفس وتقبلها الاعتراف بدون ظلم للنفس أو ظلم للآخرين.

كما يفيد الاعتراف لله فى حالة سوء خلق المظلوم، وعدم تحكمه فى نفسه، وعدم قدرته على التسامح، أو من يتصيدون للإنسان الأخطاء، ولا يلتمسون الأعذار، أو يكون صاحب سلطان ظالم، أو ممن يحبون أن تشيع الفاحشة بين الناس، أو غيرها من الصفات التى تكون حجر عثرة أمام تسامح الناس مع بعضهم، وتقبل الأعذار والرحمة بينهم. ففى هذه الحالة يصعب على المخطئ الإعلان والاعتراف بالخطأ؛ فهناك خطأ أكبر سيقع على جميع الأطراف، ولكن يظل اللجوء إلى الله وحده لا يلغى حقوق الناس إلا بعد ردها؛ فلتتجه الأخت باللجوء إلى الله مرحلة أولية، وتمضى بخطى حثيثة فى طريق إكمال التوبة، مع الإخلاص لله، وهنا سيكون عليها الاهتمام بهذه الجوانب:

۞ الدعاء لنفسها ولمن ظلمته أيضًا.

۞ الطلب من الله الواحد القهار أن يصلح حال من ظلمته، وأن يقبل معذرتها بصدر رحب.

۞ أن تتقرب إليه ببطء بالعمل الصالح لتأهيلها نفسيًّا.

۞ أن تستعين ببعض المخلصين التى تثق فيهم الأخت؛ ربما يساعدونها على التقرب، وربما يخففوا من حدة الموقف. ولكن إذا لم تحسن اختيار المخلصين، فإن الموقف سيزداد سوءًا، فلتدقق جيدًا، ولتستشر أيضًا قبل الاختيار.

۞ أن تحاولى معرفة بعض الصفات لمن وقع عليه الظلم، التى يمكن أن تكون مدخلًا لقلبه لتقبل الأعذار، وهذه الصفات قد تكون حب الثناء والمدح، حب الهدايا، حب أماكن الترفيه والتسلية، حب أولاده أو أصدقائه، فهناك مداخل كثيرة للبشر، والتوفيق من الله، عليه توكلنا وإليه ننيب.

۞ أن يتم عرض العذر والاعتراف بالخطأ بشكل غير مباشر، وربما على مراحل، إذا كان الأمر يستدعى ذلك؛ كأن تكون المشكلة معقدة، أو طال عليها الزمن وتراكمت عليها مشكلات أخرى.

ويفيد الاعتراف لله فى هذه الحالة، إذا وضعت الأخت فى اعتبارها أن الوقت يساعد على نسيان الهموم والمشكلات، وأن الإنسان غالبًا ما يحاول نسيان المواقف الصعبة فى حياته، وهى من الدفاعات النفسية التى يلجأ الإنسان إليها للحفاظ على توازنه وراحته النفسية والعصبية، ففى هذا الوقت التى تلجأ فيه الأخت لله، وتحاول إصلاح نفسها، سيكون الطرف الآخر، بدأت تهدأ عنده نوازع الغضب والكراهية، وبدأت مشكلات أخرى تطغى على الماضى وآلامه.

ولكن حذارى من هذه النقطة؛ فهى من مداخل الشيطان التى تعوق التوبة والاستغفار، وعليك أن تتخذيها مرحلة للعون على التوبة وليست لنسيانها، فأنت لا تطلبين التوبة من أجل الدنيا، ولكن من أجل يوم الحساب، يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، فما يمكن أن ينساه من ظلمتيه فى الدنيا لا يمكن أن ينساه فى الآخرة، ففى هذا اليوم يقول البشر: نفسى نفسى.

فإما أن ينقصك من حسناتك لترد إليه، وإما أن يعطيك من سيئاته لتطرح عليك فتطرحى فى النار - والعياذ بالله: «اللّٰهم إنا نسألك الجنة ونعوذ بك من النار».

وهناك طريق أخرى للاعتراف بالذنب، وما أكثر من يستخدمونها؛ فهو أرخص وأسهل على النفس، ولكن طريقها طويل وغير مضمون، وهو أقرب لعدم الاعتراف منه للاعتراف. ومن هنا كانت خطورته، ومعناه أن يحاسب الإنسان نفسه على ما ارتكب من الإثم فى حق نفسه وحق الله وحق الناس. فإذا وقف الحوار النفسى عند هذه الحالة واكتفى، فإن الشجرة زرعت فى أرض صلبة لا تنمو ولا تثمر، فأصبحت هشيمًا، وجاءتها الريح، فقذفتها فى مكان سحيق. فلا يكفى العلم بالذنب والإحساس به والاعتراف الذاتى، ولكنها بدايات ومراحل لا غنى عنها فى التوبة، ولا تغنى عنها.

ولكى يكون الاعتراف الذاتى مرحلة وليس نهاية، يجب ملاحظة:

- أن يكون هذا الاعتراف قائمًا على العلم الحقيقى، الواعى بالذنب وطبيعته.
- أن تكونى حكمًا عادلًا على نفسك، فلا تظلميها ولا تظلمك.

- أن تحكمى عقلك، وتجعليه قائدًا للموقف، قائمًا على الأصول الدينية.
- أن تختارى الوقت المناسب للمحاكمة؛ حتى يتم الاعتراف الكامل من النفس.
- أن تحيطى بالنفس من جميع الجوانب؛ لتجبريها على الاعتراف، ولا تلتمسى لها الأعذار، ولا تتبعى هواها.
- أن يقل اتصالك ومعاشرتك ومصاحبة للظالمين؛ فهم يُزينون العمل السيئ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا.
- أن تحاولى التقرب للصالحين، وتكثرى من الجلوس معهم، والاتصال بهم، ومعرفة سيرتهم وسلوكياتهم؛ إما منهم، أو من المقربين إليهم؛ فهم عون لك على الإصلاح الذاتى والاقتداء بهم.
- أن يتبع الاعتراف الذاتى شعور نفسى بالندم والخسران والحزن الشديد، وهو مؤشر واضح لنجاحك فى مرحلة الاعتراف؛ فهى تعنى الخروج من مرحلة إلى ما يليها، وحدوث التطور النفسى والإصلاح الذاتى المرحلى.

ويجب توضيح أن الاعتراف الذاتى مرحلة لا غنى عنها فى أى نوع من أنواع الاعتراف بالذنب، سواء أكان بين الإنسان وربه، أو بين الإنسان وغيره من البشر، أو بين الإنسان ونفسه.

- ولكن قد يكون هو نفسه نوعًا من أنواع الاعتراف بالذنب، وآخر مراحله، وهو ما نحذر منه، وما قصدناه فى شرحه فى البداية.

اتخاذ الشيطان عدوًا [(١)]:

يقول تعالى فى سورة الأعراف: ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾ [الأعراف:٢٤]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[فاطر:٦].

كان الشيطان عدوًّا لآدم منذ خلقه الله، فدفعه إلى معصية الله، واستغل طبيعة آدم الذى خلق من الطين، وعرف أن من طبيعته النسيان، فوسوس له ليخرجه مما فيه من النعيم والجنة، وتحديًا لله الواحد القهار، وكأنه يريد أن يقول: فهذا آدم الذى خلقته وفضلته على الملائكة

(١) تم الاستعانة فى هذا الجزء بكتاب البيان فى مداخل الشيطان (عبد الحميد البلالى)، مؤسسة الرسالة، د. ت.

وأمرتهم بالسجود له، ها هو يعصى أوامرك هو وزوجه حواء، وقال الشيطان: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [الحجر] .. فهذا تحدٍّ واضح ومباشر لخالق الكون.

ويأمرنا الله تعالى أن نتخذ الشيطان عدوًّا، وجعله واضحًا ومبينًا لكل البشر: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [القصص] .. فهذه الصفات أخبرنا بها الله لنتهيأ له نفسيًّا وعقليًّا وجسديًّا، ونعرف مداخله جيدًا؛ لنغلق جميع الأبواب فى وجهه، وننجوا من وسوسته وشره.

وعندما تضع الأخت المسلمة الشيطان فى وضعه الحقيقى، فسوف تجد أنها تستعد لمواجهة الشيطان كما يستعد الجيش لمواجهة العدو: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾ [الأنفال: ٦٠]، ويكون هذا الإعداد من خلال التحصن بالعلم النافع وقوة الإيمان؛ فهو وسواس خناس، يقترب من الإنسان عند بعده عن الله، ويخنس عند ذكر الله، والتحص بآياته.

كما يكون الإعداد بالتحصن النفسى وكبت نزغات النفس العدوانية والانفعالية، التى تمثل أرضا خصبة للشيطان وأعوانه من بنى الإنسان. ويتم تطهيرها بشكل دائم ومستمر من كل الشوائب والأمراض، مثل الحقد والكره والحسد والقطيعة، وغيرها، وإذا زادت هذه الأمراض، فمعنى ذلك أن تصاب الأخت المسلمة بمرض فقدان المناعة، وهو ما يشبه مرض الجسد الذى يسمى أيضًا بفقدان المناعة (أو الإيدز)، وتصبح الأخت كالجسد العارى المريض، الذى تتسارع عليه الأمراض وهى منهزمة، لا تستطيع المقاومة أو الانتصار. وتقف أعضاؤها عن أداء وظائفها: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فإذا قلت لمن فتحت المناقشة: هذا حلال أو هذا حرام، فستقول لك: أنت على الحق، فقد ران على قلبها بالآثام، ولا تستطيع أن ترى نورًا أو هدى قبل أن تشفى مما فى صدرها.

وفى هذه الحالة ليس لديها أعظم من دواء القرآن: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]؛ فالإكثار من قراءته وسماعه ودراسته وحفظه، وإدراك معانيه، هو الطريق للشفاء بإذن الله.

***

مداخل الشيطان



ولها بعد ذلك التركيز على معرفة مداخل الشيطان للإنسان، ومنها:

الأمر بالسوء:

يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة].

وهو هنا مشترك مع الإنسان فى الأمر بالسوء: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[يوسف:٥٣].

فعلى المسلمة إذا فعلت السوء أن تتذكر الله سريعًا، وتلجأ إليه بالاستغفار والتضرع إليه، يقول الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران:١٣٥].

نسيان ذكر الله:

يقول الله تعالى فى سورة المجادلة: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾[المجادلة:١٩].

فعلى الأخت المسلم ألا تلهيها الدنيا – بما فيها من متاع – عن ذكر الله، يقول الله تعالى فى سورة المنافقون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون].

الغواية:

وهى الإضلال والإغواء، والجهل الناشئ عن اعتقاد فاسد، قال تعالى فى سورة الحجر: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر].

فلا نجاة من غواية الشيطان للإنسان إلا بالإخلاص لله الواحد القهار.

والإخلاص يتضمن صفاء النفس بما فيها من شوائب وأمراض، والإخلاص فى طاعة الله أن تترك الرياء، وأن تخلص له فى القول والفعل. يقول الله تعالى فى سورة الأعراف: ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[الأعراف:٢٩].

نزغ الشيطان:

يوسوس الشيطان للإنسان، ويزين له ما يريد منه أن يفعله، يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾[الناس] .. وهنا الدواء، وهو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم. يقول الله تعالى فى سورة الأعراف: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾[الأعراف]. وأن تتحرى الأخت قول كل ما هو طيب وحسن، يقول الله تعالى فى سورة الإسراء: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝٥٣﴾[الإسراء].

انتبهى أيتها الأخت المسلمة - وخاصة الصغيرات اللاتى يتميزن بالمرح وخفة الدم والفكاهة - فقد يكون ذلك مدخلًا من مداخل الشيطان، فبعض البنات يعتبرن الفحش من القول هزلًا، وأنه إزالة للفوارق بينهن، وبعض الأمهات والجدات يعتبرن الفحش - قول الصغير الذى يتميز بالتعبيرات غير اللائقة - شيئًا فكاهيًّا، فينشأ الطفل على التفوه بهذه التعبيرات، ولا يجد منها مفرًّا عند الكبر، فليس كل الوقت سيقبل الناس الفكاهة بالسيئ من القول، وليس كل الناس من يقبل هذه الطريقة فى الحديث، ومن ثم فالنتيجة أكيدة ونجاح الشيطان فى النزغ مضمون، فلا تفوتى عليك فرصة الإحساس والإدراك الجيد لنزغات الشيطان، فلتستعيذى بالله منه، ولتغلقى عليه كل الأبواب.

الوعد بالفقر:

يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾[البقرة:٢٦٨].

تذكرى هذه الآية عندما تطلب منك أختك استعارة بعض كتبك أو بعض أشياءك، فتجدى نفسك تنكرى وجود مثل هذه الأشياء؛ خوفًا عليها من الضياع أو الفساد، وربما لا تخافى عليها من الضياع فقط، ولكن تحدثك نفسك باستكثار هذا الخير عليها، وتخافين أن تتفوق عليك به. وإذا تركت نفسك لهذا الحديث الشيطانى الداخلى، فستجدين خوفًا على أشياءك من الضياع وخوفًا على نفسك من الفقر، وهنا تدركى أن الشيطان وراء هذا المرض. فلتنتبهى ولتستعينى بالله عليه وتستغفرى، ولا تقطعى الخير عن أختك، أو صديقتك، أو من طلب منك المساعدة، التى قد تكون (مالًا - ملابس - أدوات كتب ... إلخ) فلتنفقى ولا تخشى من ذى العرش إقلالًا.

التخويف:

يقول الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران].

فكيف تخاف الأخت المسلمة ممن يخاف من الشيطان ويتبع خطواته؟! فلتنتبه إلى كل ظالم ومتعد وفخور ومتكبر، وكل من اتبع الشيطان وأصبح من أوليائه، فلا تخشى إلا الله، وتذكرى أن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر؛ فأتباع الشيطان يخطون خطاه، ويأتمرون لأوامره، وينتهون لنواهيه، فعندما يأمرهم بقطع الرحم يقطعونها، وعندما ينهاهم عن العمل الصالح؛ خشية الفقر أو استهزاء بالناس، أو ضياع الوقت، فإنهم ينتهون عنه. ولذلك فكبر حجم هؤلاء الناس وارتفاع منزلتهم فى الدنيا وغناهم وقوتهم، لا يجب أن يخوف المؤمنة أو تعظمه فى نفسها.

وإليك أمثلة تقرب لك ذلك:

- من تخاف لبس الحجاب؛ لأنها تخاف من ناظرة المدرسة أو مديرة العمل أن تطردها وتحرمها من الدراسة أو العمل.
- من تخاف من مدير العمل، فلا تصلى فى وقت الصلاة؛ حتى لا يؤذيها بالخصم من مرتبها أو الطرد.
- من رأت مدرسها يرتكب معصية، ولكن خافت أن تشتكى؛ خوفًا من التأثير على درجاتها.
- من امتنعت عن النهى عن المنكر لزوجها أو أخيها أو معلمها الذى يشرب السجائر؛ خوفًا من أذاه.
- من امتنعت عن الأمر بالمعروف لمعلمتها أو رئيستها فى العمل، بأن تدعوها للبس الحجاب.

فهذه أمثلة لمن يخافون ممن يخاف من الشيطان .. فلتدرك الأخت المسلمة، أن ذلك معيار لإيمانها بالله تعالى.

الأمانى والوعود:

قال تعالى فى سورة النساء: ﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠﴾ [النساء].

فما أكثر ما وعد الشيطان البنات بالزينة ومناهم، ووعدهم بكثرة إقبال الشباب عليهن، وفرصة الإقبال على الزواج منهن، وما أكثر ما وعدهن الشيطان بالغش فى الامتحانات؛ ليحرزن درجات عالية، وما أكثر ما وعدهن بالعمل بما يغضب الله تعالى؛ لكسب فرصة عمل فى مكان مرموق .. فلتنتبه البنات والأخوات إلى الوعود الزائفة المضللة، التى تهوى بصاحبها ومتبعها فى أرذل الأرذلين، أو أسفل السافلين فى الدنيا وفى الدين.

الاستهواء:

قال تعالى فى سورة الأنعام: ﴿أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾[الأنعام].

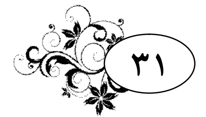
هل أجريت هذا الحوار مع نفسك أو مع أخواتك أو صديقاتك: ﴿أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[الأنعام:٧١].

فكم من الفتيات بعد أن تختار طريق الإيمان والطاعة لله – سبحانه وتعالى – تجد إقبال الدنيا عليها، وإقبال بعض صديقات السوء، فإذا بها تجد نفسها فى صراع وحيرة .. إلى أين تذهب؟ إلى الأخوات فى الله أم إلى صديقات السوء – هى لا تراهم هكذا إلا إذا هداها الله – فإذا وجدت نفسها مع صديقات الدنيا والهوى والمتاع الزائل، فقد استهوتها الشياطين.

ولكن فلتدرك أن الإخلاص لله هو طريق الهداية والفلاح، ولتتذكر أننا أُمرنا لنسلم لرب العالمين، فالأمر ليس ماذا أحب وأهوى وماذا أريد، ولكن الأمر لله وحده، وهدى الله هو الهدى: «اللّٰهم اهدنا فيمن هديت وتولنا فيمن توليت».

الإيحاء بالمجادلة:

قال تعالى فى سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾[الأنعام] .. كثيرًا ما تلجأ بعض البنات اللاتى لم يلتزمن بما أمرهن الله من الطاعة لله ورسوله وحسن عبادته وتحسين أخلاقهن، فيلجأن إلى الأخوات اللاتى أنعم الله عليهن بالالتزام والطاعة؛ ليجادلوهن فى أمور الدين بغير علم، ولتعلم الأخت أن هذا من عمل الشيطان، ولتنتبه له جيدًا. ولا تخوض معهن فى الجدال الذى لا يأتى من ورائه الخير، وإنما غرضه الأساسى الحقد والحسد وإذلال



المؤمنات. وقد يقوم بهذا الجدال مدرس فى الفصل يجرى حوارًا من هذا النوع مع المحجبات، أو يقوم به أحد أقارب الأخت، وذلك أمام قريباتها وزميلاتها وأصدقائها، ويكون غرضه الإحراج، وإظهار ضعف الأخت المسلمة الملتزمة، والاستهزاء بها.

تحريم ما أحل الله :

قال تعالى: ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ١٤٢﴾ [الأنعام].

أمرنا الله بأكل الطيبات من الرزق، وحرم علينا الخبائث، وهذا يعرفه الكثيرات بحكم الفطرة، ولكن إذا ظهرت مدارس للتغذية والرجيم تمنع أكل لحوم الحيوانات ومنتجاتها من ألبان وجبن وقشطة وسمن وزبادى، وغيرها من المنتجات الحيوانية بحجة ضبط الجسم، وإعطائه نوعًا من الهدوء النفسى والروحى - فإن هذا النظام أو الرجيم ليس إسلاميًّا على الإطلاق؛ فقد حرم الله أنواعًا من الأطعمة الطيبة على اليهود عقابًا لهم، ولكن حرم على المسلمين الخبائث، أما الطيبات من الرزق فقد حددها لنا الشرع، وحدد لحوم الحيوانات الطيبة وحدد الخبيثة، وكان للمسلمين نظام فى الطعام اتبعه المصطفى ﷺ، فجعل الطعام ثلاثة أثلاث: ثلث للمعدة، والثلث الثانى للماء، والثالث للهواء[1] .. فليس للشبع مكان فى سنة الرسول ﷺ، وكان للرجيم الإسلامى المحمدى طريقًا سلكه المسلمون، فلا يأكلوا إلا إذا جاعوا، وإذا أكلوا فلا يشبعوا، فهذا سلوك ونظام يتحكم فى الكم والكيف بعدما عزل الأنواع الخبيثة المحرمة.

فلا لرجيم الحرمان، الذى لا يأتى من ورائه خير، فلا يجد متبعه إلا شرهًا بعد حرمان، فيقبل على الطعام، ويزيد وزنه أضعافًا مضاعفة، ولا لرجيم التحريم، الذى يحرم أكل الطيبات، بدعوى صحة الجسم، ونعم لنظام الرسول ﷺ وسنته فى الطعام.

وهذه أصوله:

- كلوا واشربوا ولا تسرفوا.
- صوموا تصحوا.
- ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه.
- لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع.

(١) ابن ماجه فى الأطعمة (٣٣٤٩)، وصححه الشيخ الألبانى.

وهناك حديث لرسول الله ﷺ، يذكر حينما يراد الاقتصاد فى الطاعة، ولكن له جوانب عديدة ودروس مفيدة، خاصة لمن يسرفون على أنفسهم، ويحكمون على أنفسهم بأحكام ليست من الإسلام فى شيء، فالمسلم مطالب بالالتزام بسنة الرسول ﷺ واتباع سبيلها. فعن أنس قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ؛ يسألون عن عبادة النبى ﷺ، فلما أُخبرُوا كأنهم تقالوُّها (عدوها قليلة)، وقالوا: أين نحن من النبى ﷺ، وقد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبدًا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبدًا ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟، أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له؛ لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»(١).

ولمثل هذا الحديث أن يصحح مسيرة واعتقاد بعض الأخوات، اللاتى يتخذن لأنفسهن طرقًا جديدة فى العبادة، لم يسنها لنا الرسول ﷺ، وهن يحسبن أنهن يحسنَّ صنعًا.

النجوى (إسرار الحديث):

قال الله تعالى فى سورة المجادلة: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾[المجادلة]. ويقول الرسول ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما؛ فإن ذلك يحزنه»(٢).

والنجوى كحديث سرى بين اثنين أو أكثر – فى حد ذاته – ليس حرامًا إذا كان كما أمرنا الله بالبر والتقوى، ونهانا الله أن يكون هذا الحديث لإثم أو عدوان أو معصية الرسول ﷺ، وتنبهنا الآيات فى سورة المجادلة إلى أن النجوى من الشيطان، وهو ما يعتبر إشارة لكل أخت أن تقلع عن هذه العادة أو السلوك، الذى لا يأتى من ورائه – عادة – الخير؛ فقلما يكون داعيًا للبر والتقوى. فإذا أسرت الحديث اثنتان، وكان معهما ثالثة، فإن الظن سيغلب عليها أنهما يتحدثان فى غير صالحها، فإن كان لابد للحديث، فلتحسن الأخت اختيار الوقت والمكان، وألا يثمر العمل عن بغض بين الأخوات، وزيادة لسوء الظن بينهن.

ألم يلفت انتباهك ما يحدثه الحديث بين أختين أو صديقتين فى ثالثتهما، من حزن أو

(١) البخارى فى النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم فى النكاح (١٤٠١/٥٠).
(٢) البخارى فى الاستئذان (٦٢٩٠)، ومسلم فى السلام (٢١٨٤/٣٧).

غضب أو حديث داخلى، تظن فيه الثالثة ظن السوء فى الاثنتين؟ فكثيرًا ما يحدث الشجار بين الأخوات داخل المنازل، والمدارس، والنوادى، ويتبعه الخصومة والحقد والحسد.

ومن المفيد ألا تطبق الأخوات النجوى على كل المواقف، فلتدققى فى الآيات والحديث؛ فالنجوى نوعان: نوع محمود، ونوع مكروه؛ فالنوع المحمود: هو ما يكون نتيجته جميع أنواع الخير، وهو البر وتقوى الله، وهناك مواقف لا تكون النجوى مفيدة فقط، ولكنها ضرورية ومطلوبة؛ كالجلوس فى الأماكن العامة، مثل عيادة طبيب، ومحطة أتوبيس، وهذه مواقف توضح ذلك:

- وسائل المواصلات العامة، فمثل هذه الأماكن لا يصح الجهر بالحديث فيها ليسمعه من على اليمين واليسار، حتى إذا كان المتحدث والسامع من جنس واحد؛ فالحديث لا يخص إلا متحدثيه.

- ارتفاع الصوت فى الحديث بين الاثنين فى الندوات والمؤتمرات والاجتماعات وفصول الدراسة. فمثل هذا السلوك كثيرًا ما يؤدى إلى عدم تركيز الحاضرين، وحدوث الضوضاء اللافتة للانتباه، والمؤدية إلى عدم الانتظام، وعدم الاحترام للمتحدث [مدرس - محاضر...] وللسامعين.

- فى أماكن العلاج أو المستشفيات، حيث المرضى الذين يعانون من الآلام، أو يمكثون للراحة؛ فإسرار الحديث هنا مفيد لعدم الإزعاج، وهو واجب وضرورى.

- أثناء نوم الأب والأم أو الإخوة؛ فإسرار الحديث واجب ومفيد للحفاظ على الهدوء والسكينة فى البيت. ولكنه يجب أن يراعى نفسية من يستمع للحديث، وهو الطرف الثالث، وأن يلفت انتباهه لذلك، أما ما حذرت به سنة الرسول ﷺ فهو: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان من أجل أن ذلك يحزنه»[1].

اتباع هدى الله:

يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة] نزل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ مغفورًا له، ولكنه معه أسباب الخطأ، وهى نفسه وطبعه وقلبه وهواه والشيطان، وقد ورثها منه بنوه، فكل بنى آدم خطاء، ولكن الله تعالى لم يتركه

---

(١) البخارى فى الاستئذان (٦٢٩٠)، ومسلم فى السلام (٣٧/٢١٨٤).

هكذا. وإنما أنزل آياته على رسله وأنبيائه بالهدى للناس أجمعين، ووعدهم أن من يتبع هداهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى الدنيا والآخرة، فأصبح الخطاء مستغفرًا، وكان الله توابًا رحيمًا.

وكما أمر الله الناس باتباع ما أنزله من الهدى واتباع الرسل والأنبياء، أمرنا الله بالاقتداء بالصالحين الذين هداهم الله، يقول الله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾[الأنعام]، واشترط بمن يريد أن يهتدى أن يشرح له صدره للإسلام، يقول الله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ [الأنعام:١٢٥] .. أمر الله تعالى باتباع هداه، وعدم انتظار هداية من حولنا لكى نهتدى، يقول الله تعالى فى سورة المائدة: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾[المائدة:١٠٥]، وفى سورة يونس: ﴿قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦ﴾[يونس:١٠٨].

أختاه هذه آيات بينات يأمرنا فيها الله - تعالى - باتباع دينه، وهو عنده الإسلام: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩]، والعمل بأركانه وهى: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا. والإيمان بالله: وهو يتضمن الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم هدى للمتقين، يقول تعالى: ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾[البقرة].

وقد حددت هذه الآيات من هم الذين على هدى من ربهم، ولهذه الهداية أصول منها: أنها من عند الله، وأنها خاصة بكل مؤمن، وأنها مرتبطة بالقلب والجوارح، وأنها لا تقبل التسويف، وأنها لا ترتبط بهداية الغير، وأنها قائمة على أصول دينية لابد من تحقيقها.

فلتتذكر كل أخت على طريق الإسلام والإيمان:

- ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِ﴾[الإسراء:٩٧].
- ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ ٣٧﴾[الزُّمَر:٣٧].

- ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[الأنعام:١٢٥].
- ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[القصص:٥٦].
- ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ﴾[يونس:١٠٨].
- ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾[المائدة:١٠٥].
- ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾[الإسراء:٨٤].

فإذا كانت الهداية من الله تعالى، فيجب أن تتوجهى إليه بالدعاء؛ ليهديك إياها، ولتطمئنى عند الإحساس بالهداية أنه لو اجتمعت الإنس والجن على أن يضروك بشيءٍ، لم يكتبه الله عليك، لا يضروك بشىء، وأن من علامات الهداية حسن الإسلام، والدخول فيه بالقلب والعقل والجوارح، ولأننا لا نستطيع هداية أنفسنا، فإننا لا نستطيع هداية الغير، وإنما علينا الدعاء لهم بالهداية والصلاح، وأن المستفيد الأول والأخير من الهداية هو صاحبها، وأن تسيرى فى طريق الهداية دون النظر للوراء، فاطرحى كل العقبات وراء ظهرك، وإلى الأمام؛ فأنت فى طريق الهداية، وليس لك محطة تقفين فيها إلا الجنة إن شاء الله، فعليك بالدعاء وتقوية الإيمان: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[آل عمران:٨].

العزم وعدم النسيان:

قال تعالى فى سورة طه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾[طه:١١٥].

والعزم: هو الثبات والصبر والجد فيما يريده الإنسان.

وقد قيل على ابن آدم: إنسان؛ لأنه نسى، والنسيان دليل على نقص فى وظائف العقل، فلا يستطيع الإنسان أن يتذكر كل ما يحيط به من أحداث، أو كل ما اكتسبه من خبرات وعلوم؛ فجزء من هذه الأحداث والخبرات يتم نسيانها جزئيًّا أو كليًّا، وكلما تقدم بالإنسان العمر زادت صفة النسيان عنده، حتى لا يعلم بعد علم شيئًا. عن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[(١)].

فليس كل من نسى ميعادًا معك يكون منافقًا، وليس كل من نسى إكمال عمل أُمِر به مقصرًا .. يا ليتنا جميعًا نلتمس لبعضنا الأعذار؛ فلها من ثمرات البر الكثير، منها الصفح

---

(١) ابن ماجه فى الطلاق (٢٠٤٥)، وصححه الشيخ الألبانى.

الجميل، فنعفو عن زلاَّت البعض، ولا نتصيد الأخطاء لبعضنا؛ فهى ممحقة للحب والألفة بيننا. فإذا اتبعنا سنة الرسول ﷺ فى التماس الأعذار، والتى تتعدى الخمسين عذرًا، فسوف لا نجد غير أنفسنا المقصرين، فلا نلوم إلا أنفسنا.

وعندما تضع الأم ذلك النسيان فى الاعتبار، فعسى ألا تكلف أبناءها ما لا يطيقون، ثم تحاسبهم عليه، وعندما تضع الأخوات ذلك النسيان فى الاعتبار، سيدوم الود والألفة والمحبة بينهن، ولا يجعلن الشيطان يدخل بينهن ويسعد بالفرقة والخصام.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[البقرة:٢٨٦]. أما إذا كان النسيان متعمدًا من النفس، فإن الجزاء سيكون من جنس العمل. يقول الله تعالى فى سورة طه: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾[طه].

فالإصرار على المعصية وتناسى آيات الله وأوامره ونواهيه، لا يدخل ضمن من وضعه الله عن المسلمين من النسيان، فهذا نسيان تعمد، نسيان بإدراك عقلى، نسيان مقصود لجهل الإنسان بعواقبه.

ألا تعلم كثير من الفتيات والبنات أن الصلاة فرض والصوم فرض والزكاة فرض، والحجاب فرض، وبر الوالدين والإحسان إليهما بعد عبادة الله مباشرة، وأن الظلم حرام والكذب حرام ... إلخ، ولكن تتناسى الكثيرات منهن، ويلهيهن نعيم الدنيا، أو مشاغلها، أو مشكلاتها عن طاعة الله ورسوله.

ألا تعلم كثير من المنافقات أنها تأمر بالمنكر وتنهى عن المعروف وتمنع الخير عن الناس؟! بلى إنها مدركة، ولكن نسيت الله. يقول الله تعالى فى سورة التوبة: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾[التوبة].

ألم تسمع كثير من البنات أمر الله لهن بالحجاب فى سورة النور؟ ألم تقرأ القرآن؟، ألم تسمع نصيحة أخت فى الله؟، ألم تسمع وترى برنامجًا فى التلفاز يعرفها فرضية الحجاب؟ ألم تر كيف أطاعت كثير من الأخوات ربها وأبين أن يكن من العاصيات؟ فمن أظلم من هؤلاء البنات والفتيات، يقول الله تعالى فى سورة الكهف: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾[الكهف:٥٧].

ألم تعلم البنات اللاتى يأخذن من الغش فى الامتحانات وسيلة للنجاح، أن من غشنا ليس منا؟

ألم تبكِ كثير من الفتيات اللاتى وقعن فى الخطيئة أو المعصية، وكان قولها: إنها لا تدرى كيف فعلت ذلك؟ نسين أنفسهن. يقول الله تعالى فى سورة الحشر: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[الحشر].

أختاه لا تلهكِ أمور الدنيا ومتاعها؛ فالعمر يفنى بلا إنذار، فلتتخذى سبيل الله طريقًا لك فى الدنيا، ولتسعدى بهذا الطريق .. إنه نور لك فى دنياك وأخراك .. إنه الطريق المستقيم، فلا ترضى بغيره بديلًا، ولتسرعى الخطى؛ لعلك تبلغى العلا، ولتجعلى موت الشباب والأصحاء والأقوياء لك آية، فلا تنتظرى للغد؛ لعله يكون يوم الحساب.

ولنلقى نظرة على من سمعت وأطاعت والتزمت، وأخذت حظًّا من الثقافة فى دينها، وأنعم الله عليها بإلقاء الدروس أو العظات أو المحاضرات لغيرها؛ فإن لها مع النسيان نصيبًا يجب أن تتنبه له، ولتذكر قول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[البقرة].

فالبنات اللاتى أنعم الله عليهن بنعم لم ينعم بها الله على غيرهن أولى بشكر هذه النعمة والعمل بها، فالبعض يأخذن من آيات الله ليفتحن أبوابًا من النقد اللاذع والهجوم وسوء الكلام على غيرهن؛ لاعتقادهن أن هذا الأسلوب ربما يكون رادعًا لهن عن المعصية، وإذا بهن يصبحن مصدرًا للنفور وإحجام الناس عنهن، وتأخذ البنات فى تصيد الأخطاء للواعظات؛ حتى يرين أنهن أكثر خطأً منهن أو أكثر معصية، فيخسرن أنفسهن، ويخسرن غيرهن - ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد تزيد بعض الأخوات فى النصائح، وتتميز فى دعوتها، وتصل إلى درجة الإقناع، ولكن لا تتقن الإخلاص مع الله ونفسها، ويكثر بينها وبين من حولها من الأقارب من شجار أو مخاصمة، ويكفيها ما تجده من تجمع بعض الأخوات حولها لسماع ما تلقيه عليهن من الحكمة، فلتتذكر حديث الرسول ﷺ أنه قال: «إن أناسًا من أهل الجنة يطلعون على أناس من أهل النار، فيقولون: بم دخلتم النار؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم، فيقولون: إنا كنا نقول ولا نفعل» [رواه ابن عساكر فى ترجمة الوليد بن عقبة].

وقد تجدين بعض الأمهات ينصحن أولادهن بالبر لآبائهم وأمهاتهم، ولكن ينظر الأولاد فيجدون أمهم لا تبر أمها ولا أقاربها، فكيف تكون النتيجة؟!

وكم من أمهات ينصحن أولادهن بعدم الكذب، وتأتيها فيرى الأبناء أن أمهم تكذب على زوجها، أو تأمرهم بالكذب عليه فى الوقت الذى تأمرهم فيه بأن يكونوا صادقين فى القول!!

وكم من الأخوات طلبت ممن هم أصغر منها أن يحترموها ويقدروها، ولم تنظر إلى نفسها .. هل عطفت هى عليهم، وزرعت فى قلوبهم الحب لكى يبادلوها إياه ويعطوها قدرًا مرضيًا من الاحترام؟ فلا يصح أن أطلب من غيرى أن يعطينى الخير له، ولم أعطِ لهم رائحته.

أما إذا كان النسيان من الشيطان، فللقرآن معه آيات بينات علينا الانتباه، إليها يقول الله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام].

فعلى الأخوات أن ينتبهن أن الشيطان وراء الخطأ والنسيان، فعليهن الاستجابة السريعة لأوامر الله – عز وجل. وأن يقلعن عن المعصية فى وقتها، ولا ينتظرن إلى أن تكتمل حتى تبدأ الإقلاع والاستغفار، طالما جاءها ولو نور خافت. فإذا تركت الأخت نفسها فى طاعة الشيطان، واعتبرت أن الأمر بسيط فإذا به يستحوذ ويسيطر عليها؛ حتى يرى الباطل حقًّا ويرى الحق باطلًا. ثم ينضم إلى الشيطان ويصبح من حزبه، يقول الله تعالى فى سورة المجادلة: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة]. فلتحاربه بذكر الله فى السر والعلن، فى الليل والنهار، فى الراحة والانشغال، ولتتذكر أمر الله تعالى بالذكر فى سورة الكهف: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف:٢٤]، ولتتذكر أن مما ينسينا الذكر الشيطان، فى سورة يوسف: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف:٤٢].

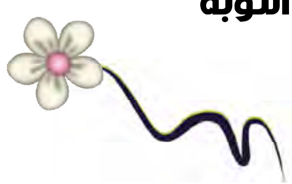
اللّٰهم إنا نعوذ بك من الشيطان أن يضلنا، أو ينسينا ذكرك أو شكرك، أو حسن عبادتك. اللّٰهم لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

***

الفصل الثانى

سنة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة







نظرة على قصة سيدنا نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من سلالة شيث بن آدم - أبى البشر - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بعثه الله تعالى إلى قومه بعد أن ضلوا ضلالًا مبينًا، وتعجبوا لنزول رسالة سماوية من رب العالمين على رجل منهم. وكذبوه وأصروا على موقفهم منه، فكانوا كلما سمعوا كلام الله وتذكيرهم بآيات الله أعرضوا عنه.

ووجد الكافرون أن الذين أسلموا واتبعوا الرسول نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هم من أراذل القوم وأضعفهم، واعتبروهم جميعًا كاذبين. لم يطلب منهم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تفضيلًا عليهم، أو مالًا أو أى متاع من الدنيا، ولكنه جاء ليذكرهم بعبادة الله وحده لا شريك له؛ فهو رجل منهم ليس بغنى، ولا يعلم الغيب، ولا هو بملك، ولكنهم أصروا أن يروا العذاب الذى يعدهم، فى اليوم الذى لا ينفع الإيمان فيه إلا لمن آمن من قبل.

استمر نوح فى دعوة قومه، متلطفًا معهم بأنه لم يأتِ ليفرض عليهم الدين أو يلزمهم به، ولكن هذا أمرهم، ولم يؤمن به إلا قليل رغم مدة دعوته الطويلة، فقد استمر يدعوهم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تسعمائة وخمسين عامًا، وأصروا على العذاب، وطلبوه ليتحققوا من صدق نبوة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ودعا نوح عليهم ألا يبقى من الكافرين على الأرض أحد؛ حتى تتطهر الأرض منهم، وتبدأ الحياة فى الأرض من جديد بجيل جديد مؤمن بالله الواحد. ودعا ربه أن ينصره عليهم، فأمره الله أن يصنع سفينة فى الأرض التى لا يوجد فيها بحر أو شاطئ، فتزايدت سخرية قومه منه، وتزايد توعده لهم بالعذاب، وكان ذلك على رعاية من الله ووحيًا منه، وأخبره الله ماذا سيفعل بالسفينة، ومن الذى سيركبها، ومتى سيركبونها، ومن الذين يحرم عليهم ركوبها .. فإذا جاء موعد العذاب، يبدأ فى تحميل السفينة من كل مخلوقات الله زوجين

وكل من آمن، أما أهل نوح فقد سمح الله تعالى للمؤمنين منهم فقط، ولم يسمح لأقرب الأقربين إلى نوح، الذين لم يؤمنوا بالله، وهما زوجته وولده.

وعلم الله نوحًا ماذا سيقول إذا بدأت السفينة فى الاستواء على سطح الماء، بأن يحمد الله الذى نجاه من القوم الظالمين، وأن ينزله منزلا مباركًا، وعلم نوح المؤمنين دعاءً عند ركوبها: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [هود]. ورغم أن الله قد أخبر نوحًا بأن ركاب السفينة هم المؤمنون، إلا أنه طلب من ابنه أن يركب معه بعد أن يؤمن، وأن يترك الكافرين، فكيف ذلك، وأنه لا يؤمن فى هذا اليوم إلا من آمن؟ وصدقت الآيات وأصر ابن نوح على كفره، واعتقد أنه قادر على إنقاذ نفسه، قال له نوح: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود:٤٣]، وعندما تمت كلمة الله على القوم الكافرين، رجعت أحوال الأرض كما كانت وهدأت السماء، واستوت السفينة، وكانت عاقبة الكافرين المعاندين المصرين على حال الجهل والعصيان وعدم اتباع الرسول، أن أغرقوا فى الدنيا، وذاقوا عذاب الحريق بعد الموت.

قال تعالى فى سورة نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ [نوح].

الآيات التى سننطلق منها لاتباع سنة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة:

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [هود]. فى: لا وساطة فى الدين.

قال تعالى فى سورة نوح: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح]؛ للاستعانة بالدعاء والاستغفار.

قال تعالى فى سورة هود: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود]؛ للاستعاذة من الجهل.

﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود]؛ للإحساس بالخسارة والندم.

***



منهج التوبة

لا وساطة فى الدين:

مسئولية الفرد عن عمله:

قال تعالى فى سورة هود: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [هود].

فهذا دعاء نبى إلى رب العالمين، يدعو فيه لابنه بالنجاة، فهل شفع له عند ربه؟ أم أن العمل والإيمان بالله هو المعيار؟ فهل القرابة أو الصداقة تشفع للكافر وللعاصى ولمن أخرجه الله من رحمته؟! فقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود:٤٦] .. فالنسب لم يصبح له مكانة فى هذا اليوم العظيم.

فلا يغرنك أن والدك رجل دين أو رجل صالح، أو أن أخاك كذلك، أو أن الزوج من المؤمنين الصالحين المهتدين؛ فكل يأتى يوم القيامة فردًا، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم. فماذا أحضرت لهذا اليوم؟ هل هو يوم لعيد الميلاد، حيث يستعد له البعض من العام إلى العام بالشراء للأدوات والاحتياجات، وبإعداد المال الذى سينفق عليه، وبالتفكير فيمن سيحضر هذا الاحتفال ليرى ماذا فعلت فيه وله، أما فى اليوم العصيب الذى يقول فيه المؤمن: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة].

فهل ستفكرين فى هذا اليوم أم فى يوم عيد الميلاد؟، فأين فخر الدنيا الزائلة، والتى لا يخرج منها المدعوون له إلا بالحديث عنك وعليك، من فخر يوم الدين الذى أعد له المؤمن وخط كتابه بيمينه، وأشهد عليه الشاهدين؟! فلتعملى لهذا اليوم، ولتتجهزى له، ولتستعدى؛ فربما يكون قريبًا.

الأخوة فى الله:

إذا كانت الأخوة فى النسب لا تستطيعى أن تختاريها حسب ما تريدين، فإن الأخوة فى الله هو ما تقدرين عليه، فتذكرى أن كل من آمن بسيدنا نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أصبح فى مكان واحد

آمنًا سالمًا، وأن ما عداهم من أقارب وأصدقاء فى الدنيا فى مكان آخر، فلم يجتمعوا فى الدنيا يوم حسابهم، ولن يجتمعوا فى الآخرة يوم الحساب العظيم - يوم الدين.

فلتبحثى عمن تحبينها فى الله، ولا يكون بينك وبينها إلا الله، فلا مصلحة ولا حاجة من حوائج الدنيا، ولا شيئًا ذا منفعة دنيوية تبحثين عنه عندها. ستنالين حب الله فى الدنيا، وظله فى الآخرة، يوم لا ظل إلا ظله. أما الأخريات اللاتى فضلن صداقات الدنيا، فسينلن منها ثمارًا مرة فى الدنيا وفى الآخرة، لا تكون لهن شفعاء ولا صديقات، يقول الله تعالى فى سورة الشعراء: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء].

ولكن ربما تتساءلين: هل من شرط الحب فى الله ألا يكون هناك مصلحة بين الأخوات على الإطلاق؟ فربما تذهبين ومعك مصلحة لها، أو قضاء حاجة من حوائج الدنيا لك أو لها، وهو ما يزيد الحب والخير بين الأخوات، فخير الأصحاب خيرهم لصاحبه، ومن هدى الرسول ﷺ الهدية؛ فهى تؤلف بين القلوب، وتحبب النفوس لبعضها[1].

فإذا كانت مثل هذه الأمور الدنيوية وسيلة لحب الله فهى لله، وإن كانت العلاقة مرتبطة بها فهى للدنيا، فالمؤشر واضح، فقد تجدين نفسك منشرحة عند لقاء إحدى الأخوات وتسرعى فى تلبية ندائها وطاعتها فى الخير، ولكن فجأة تجدين نفسك قد تغيرت وتغيرت الأحوال رويدًا رويدًا فلماذا إذن؟ الإجابة هو أن الحب لم يكن لله، بل كان للدنيا، فعندما انقطعت أسبابها انقطعت الصلة.

وقد تكون العلاقة بين الأخوات لإشباع حاجات فى النفس أو اتباع الهوى، على الرغم من إمكانية أن تكون هذه العلاقة فى الظاهر دينية وتعبدية لله. فقد تحرص بعض الأخوات على حضور مجالس للعلم والعبادة، إلا أن نفسها تحدثها وتدفعها للحضور من أجل التظاهر على الأخوات بالعلم أو بالملبس، أو بالإمكانيات المادية التى ربما تفوق غيرها من الحاضرات، أو تذهب لتفضح أختًا من الأخوات أمام غيرها، وتعتبرها فرصة للمنازعات وإعلان الخصومة.

فإذا كانت فى نفسها حاجة من هذه الأشياء، فلا يكون العمل أو الأخوة فى الله، فالشكل لا يغنى عن الجوهر، ليكن المؤشر هنا انتهاء السبب الذى تدعو إليه النفس، فإذا انتهى

---

(١) البخارى فى الأدب المفرد (١٧٤)، والتلخيص الحبير للحافظ ابن حجر (١٣٥٣)، وقال: «إسناده حسن»، وحسن إسناده الشيخ الألبانى فى إرواء الغليل (١٦٠١).

السبب وانتهت عن الحضور، فهو للنفس وليس لله، وإذا انتهى السبب وواظبت على الحضور، وتابت إلى الله مما ارتكبت من ذنوب، وأخلصت العمل لله، فهو لله إن شاء الله.

وهناك جوانب أخرى تتصل بمن تقبلين عليها وتصاحبينها فى الله، يمكن التذكرة ببعضها - والله يوفقك - فى أكثرها إن شاء الله:

- ألا تتبع أهواءها، يقول الله تعالى فى سورة الكهف: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف].
- أن تحب لقاء الله، وتحب الجنة، وتحب كل عمل يقربها إليها .. ففى سورة النجم: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾[النجم].
- أن تكون أوابة إلى الله، كثيرة الاستغفار والتوبة؛ ففى سورة لقمان: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾[لقمان].
- أن تأمركِ بالمعروف وتنهاكِ عن المنكر.

وهناك جوانب تتصل بك تجاه من تحبين فى الله، وهى كثيرة، نذكر منها:

- أن تكونى رحيمة بها، فلا تكلفيها ما لا تطيق.
- أن تلتمسى لها الأعذار، ولا تتصيدى لها الأخطاء.
- أن تسرعى فى قضاء حوائجها.
- أن تكونى رقيقة معها، قال ﷺ: «ألا وإن لله أوانٍ فى أرضه، وهى القلوب، فأحب الأوانى إلى الله تعالى أصناها وأصلبها وأرقها، أصناها من الذنوب، وأصلبها فى الدين، وأرقها على الإخوان» [أخرجه الطبرانى وإسناده جيد].
- أن تحفظى أمانتها وأسرارها.
- أن تسكتى عن أى من عيوبها.
- أن تدعى لها بظهر الغيب فى حياتها وفى مماتها.
- الثبات على الحب ومداومته، وعدم تغير الحال بتغير الأحوال.

الشفاعة:

وهى ثلاثة؛ اثنتان فى الدنيا فى أمور الدين أو الدنيا، وواحدة فى الآخرة هى طلب العون والغوث، والتوسط بالقول فى وصول إنسان إلى منفعة دنيوية أو أخروية.

يقول الله تعالى فى سورة النساء: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾[النساء:٨٥].

وفى سورة البقرة يقول الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[البقرة:٢٥٥].

فى أمور الدين كما فعل نوح مع ابنه، أو فى الدنيا؛ فالشفاعة قد تكون فى الدنيا كأن يشفع مسلم لآخر ويعاونه فى الخير، فيكون له نصيب من هذا الخير. وقد تكون فى الآخرة، حيث يشفع سيدنا محمد ﷺ لأمته، ويشفع الصالحون والشهداء لغيرهم بإذن الله.

كما رفض الله تعالى شفاعة نبيه نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى ابنه، والإسلام لا يرضى بالشفاعة فى حدود الله، فيعلمنا الرسول ﷺ عدم الشفاعة فى الحدود، فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ، فقالو: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع فى حد من حدود الله؟»، ثم قام فخطب، ثم قال: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمه بنت محمد ﷺ سرقت لقطعت يدها» [متفق عليه][(١)].

أما فى أمور الدنيا للصلح بين اثنين، أو لقبول شخص فى مهنة أو وظيفة، أو فى شراء بضاعة، أو فى القيام بخدمة، أو غيرها من الأمثلة، فهى من الأعمال المحببة، والتى يشجع عليها الدين، إذا قامت على الحق، ولم يبغ من ورائها ضرر لأى طرف أو جماعة: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء:٨٥]. ويجب أن تنتبه الأخت المسلمة إلى الوساطة المنتشرة الآن فى التوظيف فى مهن معينة، والتى تؤدى إلى استيلاء جماعة ذى سلطة معينة على مهن بعينها دون غيرهم، كما يحدث فى كثير من الوظائف الحكومية - وخاصة فى المجال السياسى والإعلامى والاقتصادى - فتصبح هذه الوظائف حكرًا على جماعة دون أخرى بسبب الوساطة، فإن هذا هو الظلم بعينه لجميع الأطراف.

فالظلم لمن أخذ منصبًا ليس أهلًا له، فلا يؤدى حقه، فيظلم نفسه، والظلم لمن له الحق فى تقلد هذا المنصب، ولم يعطِ الفرصة لهذا العمل الذى كان يمكن أن ينفع غيره به كثيرًا.

والظلم على المجتمع الذى يتحمل عواقب الضعفاء وغير المؤهلين للأعمال أو الوظائف، وتكون النتيجة على الجميع، والتى يتحمل وزرها ووزر من عمل بها، مبتدعوها والقائمون عليها وبها.

(١) البخارى فى الحدود (٦٨٨٧)، ومسلم فى الحدود (١٦٨٨/٨).

وربما تتساءلين: كيف يمكن أن تشفعى شفاعة حسنة ويكون لك نصيب منها؟

فهل فكرت فى هذه المواقف؟:

✍ عندما تأخذين صديقة لك، وتعرفينها على أخوات ملتزمات، وتشكرين فى أخلاقها، وتحببينهن فيها.

✍ عندما تذهبين مع إحدى الأخوات لتصلحى بينها وبين غيرها ممن وقعت فى خصومة معهم (الوالدان - الزملاء - الجيران - الصديقات).

✍ عندما تتوجهين لصاحب عمل، وتتوسطين عنده لأختك المسلمة، لكى يقبلها فى العمل عنده.

✍ عندما تمدحين بعض أعمال أخواتك بالحق؛ بنية المصلحة لهن، كأن يقبل عليهن الناس لشراء بضاعة، أو لعرض القيام بعمل ما.

فهذه مواقف دربى نفسك عليها؛ لكى يكون لك نصيب فى الخير مع من شفعتِ لهن. والله الموفق، وهو من وراء القصد، وهو يهدى إلى سواء السبيل.

وإليك يا أختاه ثلاث آيات، تنطلقين منهن لعمل الخير، وهى:

قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ﴾[البقرة:١٩٧].

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾[الزلزلة:٧].

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾[الجاثية:١٥].

تحدثت عن نوعين من الشفاعة، وهما: الشفاعة فى أمور الدين، سواء عند الله أو عند البشر، والشفاعة فى أمور الدنيا، أما الشفاعة يوم الدين فقد حلت وجازت لأمة محمد ﷺ.

عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللّٰهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذى وعدته، حلت له شفاعتى يوم القيامة» [رواه البخارى][(١)].

فى اليوم الذى يقول فيه آدم أبو البشر: نفسى نفسى، ويقول فيه نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: نفسى نفسى، ويقول فيه إبراهيم الخليل: نفسى نفسى، ويقول فيه موسى: نفسى نفسى، ويقول فيه

(١) البخارى فى الأذان (٦١٤).

عيسى: نفسى نفسى، يقول الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ: اشفع تشفع. ولهذا فهو ليس سيدنا فقط، ولكن سيد الناس أجمعين.

فهيا بنا لنعيش فى هذا اليوم العصيب مع كلمات الرسول ﷺ .. عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى دعوة، فَرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسةً (أخذ بأطراف أسنانه)، وقال: **«أنا سيدُ الناس يوم القيامة، هل تدرون مما ذاك؟ يجمعُ الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد، فينظرهم الناظر، ويُسمعهم الداعى، وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناسُ من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناسُ: ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدمُ، فيأتونه، فيقولون: يا آدمُ، أنت أبوُ البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فقال: إن ربى غضب غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وإنه نهانى عن الشجرة فعصيتُ، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نُوح، فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نُوحُ، أنت أول الرسل إلى الأرض، وقد سماك الله عبدًا شكورًا، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟، فيقول: إن ربى غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبلهُ مِثلهُ ولم يغضب بعدهُ مثله. وإنه قد كان لى دعوة دعوت بها على قومى، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى: اذهبوا إلى إبراهيم: فيقولون: يا إبراهيم أنت نبى الله وخليلهُ من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثلهُ، وإنى كنت كذبت ثلاث كذبات، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك: ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثلهُ، وإنى قد قتلت نفسًا لم أؤمر بقتلها، نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى: اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلَّمت الناس فى المهد، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثلهُ ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى: اذهبوا إلى محمد ﷺ»**.

وفى رواية: **«فيأتونه فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فآتى تحت العرش، فأقع ساجدًا لربى، ثم يفتح الله علىَّ من محامده، وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحهُ علَى أحد قبلى، ثم يقالُ: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تُشفَّع، فأرفع رأسى، فأقول: أمتى يا ربِّ، أمتى ياربِّ، أمتى يا ربِّ، فيقُال يا محمد: أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب». ثم قال: «والذى نفسى بيده إن ما بين المصراعين (جانبى الباب) من مصاريع الجنة، كما بين مكة وهَجَرَ، أو كما بين مكة وبُصْرى»** [متفق عليه][1].

الحمد لله حمدًا كثيرا طيبًا مباركًا فيه على نعمة الإسلام، وأن جعلنا من أمه محمد ﷺ، فأكرمنا بها فى الدنيا، وجعلنا خير أمة إن شاء الله، وأكرمنا بها فى الآخرة. اللّٰهم لا تحرمنا شفاعة نبيك محمد ﷺ، اللّٰهم اجعلنا ممن يدخلون الجنة بغير حساب رحمة منك ومغفرة، يا غفور يا رحيم.

الدعاء والاستغفار:

قال تعالى فى سورة نوح: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح].

توجه نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالدعاء إلى الله، والاستغفار له ولوالديه، ولكل من دخل بيته، ولكل من تبعه وآمن بدعوته، ولكن كان الجزء الثانى من الدعاء على من لم يتبعه، وطلب من ربه أن يزيدهم خسرانًا، وهو ما جعله يرجو رحمة ربه ومغفرته يوم القيامة، بدعوته على قومه الذين لم يتبعوه ولم يؤمنوا به، وأصروا واستكبروا استكبارًا. وعندما أنعم الله على البشرية بخاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، الذى جاء ليتمم مكارم الأخلاق، علمنا كيف تعامل مع قومه الذين عادوه وظلموه، فقد دعا لهم: **«اللّٰهم اهد قومى؛ فإنهم لا يعلمون»**[2]. دعا الرسول محمد ﷺ كثيرًا بالهداية والغفران لكثير من المعاندين المستكبرين،

---

(١) البخارى فى الأنبياء (٣٣٤٠)، ومسلم فى الإيمان (٣٢٧/١٩٤).

(٢) إتحاف السادة المتقين (٢٥٨/٨)، والدر المنثور للسيوطى (٢٩٨/٢).

وقد استجاب الله لدعائه، فأقبلوا جميعًا مسلمين، فكان ما أن يسلم معاند إلا ويتبعه قومه، ففاز وفاز من تبعه.

ويأمرنا الله تبارك وتعالى بالدعاء، قال تعالى فى سورة غافر: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠]. وقال فى سورة البقرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦]. إذن فهناك أمر بالدعاء ووعد بالاستجابة، واعتبر الرسول ﷺ الدعاء هو العبادة، وعندما أتى رسول الله ﷺ رجل يسأله كيف يسأل ربه، قال له ﷺ: قل: «اللّٰهم اغفر لى، وارحمنى، وعافنى، وارزقنى، فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك»(١).

وعندما سأله أبو بكر الصديق عن دعاء يقوله فى صلاته قال: **«قل: اللّٰهم إنى ظلمت نفسى ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى، إنك أنت الغفور الرحيم»** [متفق عليه] (٢).

إذن فالدعاء لله من صفات المسلم العابد، ويجب أن تتحلى به المسلمة، وأن تتعلم الصدق فى الدعاء، وتحفظ من هدى الرسول ﷺ فى الدعاء. وقد يكون الدعاء للنفس وللوالدين أو للمؤمنين والمؤمنات، أو دعوة العبد المسلم لأخيه بظهر الغيب؛ فهى مستجابة.

وللإسلام فى الدعاء أصول، نذكر منها:

- أن ندعوا الله ونحن موقنون بالإجابة.
- ألا ندعوا على أنفسنا؛ ولا ندعوا على أولادنا، ولا ندعوا على أموالنا.
- أن ندعوا لمن يصنعون لنا معروفًا.
- أن ندعوا لمن ظلمناهم بقول أو فعل أو ظن سوء.
- أن ندعوا للوالدين كثيرًا.
- ألا ندعوا بإثم أو قطيعة رحم.
- ألا نستعجل إجابة الدعاء.

---

(١) أحمد (٣/٤٧٢).

(٢) البخارى فى الدعوات (٦٣٢٦)، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٤٨/٢٧٠٥).

عن أبى هريرة، قال: يقول الرسول ﷺ: **«يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: قد دعوت ربى فلم يستجب لى»** [متفق عليه][(١)].

- اختيار الأوقات المرجو الاستجابة فيها للدعاء، مثل: السجود، بين الأذان والإقامة، عند إفطار المسلم بعد الصوم، عند القيام بالأعمال الصالحة، فى السحر، يوم الجمعة، العشر الأواخر من رمضان.

- وكونى على يقين - يا أختاه - بالإجابة إن شاء الله، وهذه الإجابة قد تكون على شكلين، كما قال رسول الله ﷺ: **«ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم»**[(٢)].

- العزم فى الدعاء:

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن الرسول ﷺ، قال: **«لا يقولن أحدكم: اللّٰهم اغفر لى إن شئت، اللّٰهم ارحمنى إن شئت، ليعزم المسألة؛ فإنه لا مكره له»**[(٣)].

فالله تعالى عند ظن عبده به، فلندعوا الله ونحن موقنون بالإجابة.

«اللّٰهم آتنا فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار».

«اللّٰهم آت نفسى تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها».

- استحضار النية لله تعالى والبدء فى العمل:

إذا فتح الله عليك بورد يومى تقرأين فيه آيات الله، وليكن جزءًا من القرآن أو أقل أو أكثر - فعليك بكراسة لتجميع أزهار الدعاء فى كتاب الله، فستجدين منها ألوانًا ورائحة وأشكالًا وجمالًا لم تريه من قبل فى أى حديقة، وربما قرأت كثيرًا، ولكن لم تقطفِى من هذه الأزهار؛ لتأخذى منها ما يعطر نفسك ولسانك، ويغذى قلبك وحواسك، ويقوى عقلك وجوارحك، فأسرعى بالعمل، والله المستعان.

---

(١) البخارى فى الدعوات (٦٣٤٠)، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٣٥/٩٠).

(٢) الترمذى فى الدعوات (٣٥٧٣)، وقال: «حسن صحيح غريب من هذا الوجه»، وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (١١/٩٦): «حديث صحيح».

(٣) البخارى فى الدعوات (٦٣٣٩)، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٧٩/٩).

الاستعاذة بالله من الجهل:

قال تعالى فى سورة هود: ﴿قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَـٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود].

فالعلم عكس الجهل، والمسلم مطالب - دائمًا - بالابتعاد عن الجهل والجاهلين، ولكنه لا يستطيع أن يصل إلى درجة العلم الكامل بالأمور، إذن فصفة الجهل توجد فى بنى آدم بدرجات متفاوتة.

يقول الله تعالى فى سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب].

ومثل هذه الصفة الإنسانية هى التى تدعوك إلى طلب العلم الدائم؛ فمهما قرأت وعلمت فى شىء، فإن علمك ناقص، فهو ناقص فى الزمان، وناقص فى المكان، وناقص فى الكم، وناقص فى الكيف .. فما تتعلميه اليوم ربما يتناقض ما تعلمه غيرك فى الماضى، وينقض دون محالة عما سيتعلمه غيرك فى المستقبل.

ومن فوائد إدراك هذه الصفة الإنسانية [الجهل]:

- المداومة على العلم، وفتح مجالات جديدة لم تدركيها بعد، فكل علم ينفع غيره.

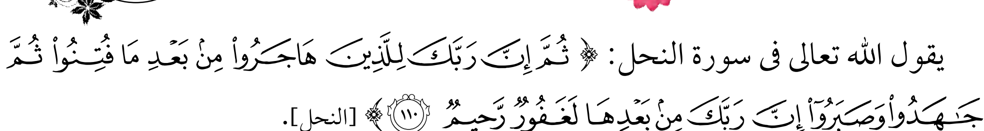
- عدم الاغترار بالعلم أو الدرجات العلمية؛ فهى مرحلة.

- التماس الأعذار للآخرين؛ فليس كل من أمامك عالم فيما يتحدث فيه، ومن ثم طلب المغفرة له ولغيره.

- كثرة الاستغفار والتوبة إلى الله، فما نعده علمًا قد يكون جهلًا دون أن ندرى؛ لقصور فى الإدراك والوظائف المعرفية لدى الإنسان بشكل عام، مثل: الانتباه للأمور، والقدرة على التذكر، والقدرة على الاسترجاع للمعلومات، والقدرة على الفهم الجيد.

«اللّهم إنا نستغفرك لما نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه، ونستغفرك لما أنت أعلم به منا؛ فأنت الأول وأنت الآخر، وأنت الظاهر وأنت الباطن، وأنت على كل شىء قدير».

- العلم بأن مثل هذه الصفة [الجهل]، هى التى تفتح على المسلم باب الغفران والرحمة من رب العالمين.



يقول الله تعالى فى سورة النحل: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [النحل].

ويقول الله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[الأنعام].

ويقول فى سورة النساء: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾[النساء].

هكذا أعطى الله للإنسان مفاتيح رحمته ومغفرته يفتحها بابًا تلو باب ..

الخطأ بالجهل ـــ التوبة ـــ عمل صالح ـــ المغفرة والرحمة

- كثرة الاستعاذة بالله من الجهل:

قال تعالى فى سورة البقرة: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾[البقرة].

وكان الرسول ﷺ يتعوذ من الجهل، ومن أن يجهل، أو يجهل عليه: «اللّهم إنى أعوذ بك أن أجهل أو يجهل علىّ».

عدم التسرع فى الحكم على الناس خوفًا من إصابتهم بجهل، يقول الله تعالى فى سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾[الحُجُرات].

هذا إذا كان الجهل فينا، ولكن ماذا لو كان فى غيرنا؟ يقول الله تعالى فى سورة الأعراف: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[الأعراف].

هل تدرين كم المنفعة التى ستحصلين عليها إذا امتثلتِ لأوامر الله - سبحانه وتعالى - وإذا اتبعتِ النور الذى أنزل على نبيه محمد ﷺ، وإذا اهتديتِ بهداه، وإذا اجتنبتِ ما نهى عنه؟

إنها السعادة لك ولغيرك فى الدارين بإذن الله، دار الفناء ودار البقاء، دار الدنيا ودار الدين، فسارعى إلى مغفرة من ربك، وجنة عرضها السموات والأرض، أعدت للمتقين.

- فخذى العفو عمن ظلمك، ولا تتصيدى لهم الأخطاء؛ فكل بنى آدم خطاء.

- وأمرى بالمعروف، باستخدام الحكمة والموعظة الحسنة، وزادك الصبر.

- أعرضى عن الجاهلين؛ فكأن جهل الغير يثير فى النفس جهلها، ويدفعها إلى الجهل والخطأ، فأعرضى عنه أينما كان؛ وقاية وحفظًا لك من الوقوع فيه، والإعراض ليس الخصومة، ولكن عدم الخوض فى الباطل.

وربما تتساءلين: كيف تأمرين بالمعروف وتعرضين عن الجاهلين؟ إنها ميزان للنفس، يجب أن تزينيه بالعقل والحكمة، فلا نجادل السفهاء والجاهلين إلى أن نقع معهم فى الخطأ، فقليل من العلم مع كثير من الجهل ربما ينفع الجاهل، فلا تثقلى عليه فيزداد جهلًا؛ فربما يكفيه السلام كضوء خافت للإيمان، يقول الله تعالى فى سورة الفرقان: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان].

- إن الإسلام يعطى لك شهادة لا تستطيعى أن تدركيها إذا التحقت بالمدارس والجامعات والدراسات العليا .. إنها شهادة الأخت الفاضلة مكتوبة على ورق من ذهب أصفر، عليها اسمك وصورتك بالذهب الأبيض، ستكون معك أينما ذهبت، وسيراها كل من عاملك وعرفك، مختومة بالمسك، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون.

تعطى لك هذه الشهادة:

- إذا عفوتِ عمن ظلمك.

- وإذا أعطيتِ من حرمك.

- وإذا وصلتِ من قطعك.

فهذه ثلاث مواد ستدرسينها داخل مدرسة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وسيكتب قبل اسمك بدلًا من أ.د [الأستاذة الدكتوره] أ. ف [الأخت الفاضلة] بعد حصولك على هذه الدرجات الفاضلة الثلاث.

فماذا بعد هذا إلا الشكر لله على نعمه وفضله وتكريمه لك فى الدنيا والآخرة؟! فله الحمد فى الأولى، وله الحمد فى الآخرة، وله الحمد والشكر كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وهذه أبيات شعر لكيفية معاملة السفهاء، يقول فيها الشاعر:

يخاطبنى السفيه بكل قبح	فأكره أن أكون له مجيبًا
يزيد سفاهة فأزيد حلمًا	كعود زاده الإحراق طيبًا

الإحساس بالخسارة والندم:

قال تعالى فى سورة هود: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود].

أحس نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بوضعه من الخسارة والهلاك إذا لم يغفر الله له ويرحمه، وهو إحساس نبى من أنبياء الله بعدما أعطاه الله النبوة وفضله بها، فكيف تكون نهايته غير الغفران؟!

ولك أن تستشعرى ذلك من مواقف حياتية لبعض الناس، ربما يفسر لك انفعالاتهم وحزنهم أو إحساسهم بالخسارة الكبيرة عند أقل خطأ أو ذنب. عندما يبكى الطالب المتفوق على عدم إحرازه الدرجات النهائية، وإحساسه بالألم النفسى الكبير، وعندما يمرض التاجر الذى حقق أرباحًا كثيرة؛ لخسارته فى عملية تجارية بسيطة، وعندما يحس الابن والابنة البارة بأهله - عظيم الذنب - عند الخطأ البسيط فى حق والديها، وذلك بعدما وصلت إلى درجة عالية من البر بهما وحبهما.

فهذه مواقف ثلاثة لتقريب مدى الإحساس المرهف للأنبياء فى تعاملهم فى أمور دينهم ودنياهم، ولعلك تعرفين أن رسول الله محمدًا ﷺ كان يستغفر الله فى اليوم أكثر من سبعين مرة، وكان يصلى الليل حتى تشققت قدماه، وكان جوابه بعد أن ذكر بأن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: **«أفلا أكون عبدًا شكورًا؟!»**(١).

فالإحساس بالخسارة والندم من الشروط الأساسية للتوبة، وقد تحسين بالخسارة عندما تتمنين لو عاد بك الزمن لتصححى أخطاءك وتهذبى سلوكك ويستقيم سيرك، فهذه فتاة كانت تعصى والدها وهى ضده على الدوام، فجاء يوم موته فلم تستطع أن ترجعه لتبره وتطيعه، فأكثرت من البكاء، وتمنت لو كان حيًّا لترضى فيه ربها .. فأكثرت من الدعاء له والاستغفار لها وله؛ عسى الله أن يتقبل توبتها، وأخذت تبره بعد موته، وبعدما عرفت أن لها فرصة بر والديها بعد موتها - بالدعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وتصل الرحم المتعلقة بهما، وإكرام صديقهما - أخذت فى العمل، فهذه علامات لبر الوالدين بعد موتهما، فيها ما بين العبد وربه، وما بين العبد والعباد.

لقد كثرت المفاهيم اليوم، وكثرت ما تتضارب به من معان، وعندما بعد المسلمون عن دينهم وقرآن ربهم وهدايته، أخذوا علمهم عن الجاهلين فى أمور دينهم ودنياهم، وأعطوهم

(١) البخارى فى الرقاق (٦٤٧١)، ومسلم فى صفات المنافقين وأحكامهم (٢٨١٩/ ٧٩).

الثقة فى تحويل مفاهيمهم رأسًا على عقب، ولم يصبح لأعدائهم رأى فى دنياهم فقط، وإنما دخلوا فى أمور دينهم؛ ليحذفوا منها ما يشاءون، ويغيروا منها ما يستهوون، ويضيفوا إليها ما يستعظمون، فهل نحن المسلمين منتهون؟! لقد قبل أعداء المسلمين أن يغيروا فى دينهم، وأن يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض، فهل جاء الزمان على المسلمين بأن يقبلوا ذلك؟!

يجب أن نفيق، وإلا دخلنا فى دائرة المغضوب عليهم والضالين.

أختاه يجب أن نبحث فى كتاب الله، وأن نفهمه وندرك مفاهيمه كما يحب الله ويرضى، وكما أمرنا رسول الله ﷺ وكما سار على نهجة السلف الصالح.

ربما تكون هذه كلمات لتمهدى نفسك جيدًا، للتفكر فى مفهوم الخسارة فى زمن العولمة وزمن الاقتصاد الحر. فهل ما نحن بصدده خسارة فى المال أو العلم والثقافة والدرجات العالية والتنسيق، حسب المجموع الذى يلحق من يريد ومن لا يريد فيما يريدون أعوانًا وأولياء أعداء الدين، فلم تصبح عند الناس الخسارة فى عدم توظيف المتعلمين، ولا فى كيف يستفيد المجتمع فيما أنفق على العلم والمعلمين، إنها أشياء صورية لا تسمن ولا تغنى من جوع ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا!.

فهل تعنى الخسارة عند الفتيات عدم مشاهدتهن حفلة المغنية (فلانة) أو المطرب (فلان)، أو عدم الاحتفال بعيد الزنا (عيد الحب)؟! فكّرى فى المفاهيم: كيف قلبت الفضيلة (الحب) إلى رذيلة (زنا)، وأعطتها اسمها؟!، ابحثى عن معنى المفاهيم فى دينك؛ لكى تستقيم دنياك. كيف أقنع أعداء الدين الإسلامى المسلمين بأن وضع أموالهم فى شركات المسلمين والربح الحلال، أصبح خسارة، وأن وضعهم لأموالهم فى بلاد أعداء المسلمين هو الكسب، وأن الربا هو الحل؟! كيف حاربت الشركات الإسلامية التى كانت تعطى أرباحًا حلالًا مباركة، وضيقوا على أصحابها، وصادروا أموالهم، حتى أقنعوا الناس، وأفهموهم بأن الحلال خسارة، وأن أصحاب الشركات الإسلامية لصوص؟!، فكرى فى المفاهيم: كيف حول أعداء دينك مفهوم الداعية الإسلامى المحترم إلى ممثل يبغى الشهرة والمال، وكيف يُظهرون الفاسقين نجومًا فى السماء، ويصفقون لهم بأيدهم وأيدى المسلمين، فاعتبروا يا أولى الأبصار؟! فكرى فى المفاهيم: كيف حول أعداء دينك الجهاد ضل المحتل إلى إرهاب؟! وكيف يعملون على إقناع المسلمين بذلك؟! وكيف يعقدون المؤتمرات والندَّوات ولقاءات القمة للرؤساء وملوك المسلمين؛ لكى يوافقوا على محاربة المجاهدين ضد المحتل الجبان؟!

وهم فى ذلك يعلنون ويفتخرون بصداقة رؤساء المسلمين وملوكهم، ومدى مساهمتهم فى قضيتهم المعادية للجهاد المشروع، والمساندة للاحتلال والظلم والقهر والعدوان والضرب بأطنان القنابل.

أختاه الأمثلة كثيرة، فهذا عصر المفاهيم، فأجدر بك أن تقرأى وتبحثى وتدركى ماذا يريد الله أن تعرفيه فتدركيه، وماذا يريد الشيطان وأعوانه من الإنس أن تعرفيه.

فهيا بنا لنقرأ معًا ماذا كانت الخسارة فى القرآن الكريم: يقول الله تبارك وتعالى فى سورة النساء: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾[النساء].

والخسران المبين هو الخسارة فى كل شيء .. فى الدنيا والآخرة، فى الظاهر والباطن، فهذا عقاب من اختار الشيطان واطمئن له، وأعانه هو وأعوانه - اللّٰهم إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم. يقول الله تعالى فى سورة الحج: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج].

والخاسرون الحق هم من خسروا أنفسهم بالأساس وقبل كل شيء، حتى ولو اجتمعت أموال الدنيا فى أيديهم، ويأتى خسران النفس من الكفر بالله وعدم الإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والإيمان كل لا يتجزأ؛ فلا إيمان لمن لا يؤمن باليوم الآخر، أو لا يؤمن بالقدر خيره وشره، أو يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، أو يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض. وقد نبأنا الله تعالى بالأخسرين أعمالًا فى سورة الكهف: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[الكهف].

إذن فمعيار الخسارة والمكسب يجب أن يستقيم لديك؛ لكى تبدأى فى حساب مكاسبك وخسارتك كما يحب الله ويرضى، وهذه بعض الأمثلة التى تفتح لك أبواب التفكير والتفكر فى آلاء الله:

- امرأة تشترى ثلاثة كيلو سمكًا .. كل نصف كيلو على حدة؛ لكى تكسب زيادة فى الميزان فى النهاية.

هل كسبت أم كانت من المطففين؟

- طالبة كسبت درجات فى الامتحان بالغش من زميلاتها .. هل كسبت أم خسرت نفسها بالغش والخداع؟

- بنت كذبت على والديها، وذهبت فى نزهة مع شباب .. هل كسبت النزهة أم خسرت نفسها وأغضبت ربها؟

- بنت شاهدت فيلمًا إباحيًّا، وبه مناظر خليعة .. هل استمتعت أم خسرت وقتها ونفسها؟

- طالبة فضلت التعامل مع الشباب دون الفتيات - زميلاتها - للحصول على العلم، بدعوى أن الشباب يعطون ولا يبخلون، وأن الفتيات أكثر حسدًا وحقدًا على بعضهن .. هل كسبت العلم أم خسرت أخواتها والطريق المستقيم؟

- فتاة تخرج متبرجة بالزينة، مظهرة مفاتنها لكل عين .. هل كسبت إعجاب الناس - وخاصة الشباب - أم خسرت رضا الله عليها ورضا والديها؟

- فتاة امتنعت عن مساعدة والدتها فى شئون المنزل؛ بدعوى الحفاظ على نعومة يدها ورشاقتها وجمالها .. هل كسبت الجمال أم خسرت بر والدتها ورضا ربها عليها؟

أختاه الأمثلة كثيرة لا تكاد تحصى، وعليك إعادة النظر فى موازينك وتقديرك للأمور، وليكن رضا الله عليك والجنة هو دافعكِ فى فهمك وتقديرك للأمور، وليكن حبك لله أكبر من حبك لجميع خَلْقِه، ما تعلميه وما لا تعلميه، وقد سأل الرسول ﷺ الله أن يهبه حبه: **«اللَّهم إنى أسألك حبك، وحب من يحبك، وكل عمل يقربنى إلى حبك»**(١).

***

---

(١) الترمذى فى الدعوات (٣٤٩٠)، وقال: «حسن غريب».

الفصل الثالث

سنة إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ فى التوبة



نظرة على قصة إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال تعالى فى سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء].

فضل الله تعالى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالرشد، وهو نضوج العقل والتفكير، وبعثه رسولًا، واتخذه خليلًا، وجعل فى ذريته النبوة، فكان يحاور قومه بشتى الطرق لإقناعهم بالإيمان بالله الواحد وترك ما سواه، وحاول معهم ليستخدموا عقلهم وعلمهم للوصول إلى الإيمان بالله.

وقد كان لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مدرسة فى الدعوة إلى الله - عز وجل - والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكان للمسلمين قدوة فى الدعوة لله لمن هم أكبر سنًّا - وخاصة الأب أو ولى الأمر - فقد دعا أباه لعبادة الله، ولما استعصى عليه، استغفر له الله، وأحسن له الرد والمعاملة، وقابل الجهل بالسلام، ولم يقبل أبو إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ دعوته، وهدده بالرجم، وطلب منه أن يمتنع عن هذه الدعوة، وأن يبتعد عنه ويهجره.

وآثر إبراهيم الخليل الابتعاد عن والده والكافرين، وأن يعكف على عبادة الله والدعاء له.

وكان لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مدرسة فى تعليم النفس الإيمان بالله، وتقويمها من الشرك والآثام، حتى ولو نشأ الفرد فى بيئة فاسدة غير مؤمنة، وهى التعليم الذاتى، وإعمال العقل والفكر، والبحث عن الحقيقة، مع إخلاص النية لله - سبحانه وتعالى - فلا يكون المسلم إمعة؛ إذا أحسن القوم كان معهم، وإن أساءوا كان معهم، وإنما إذا أحسن القوم اتبعهم، وإن أساءوا ابتعد عنهم ونجا بنفسه من إثمهم وجهلهم، يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام].

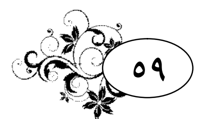
وآتاه الله تعالى الحجة والرأى الصائب، والتى ما زالت يحتاج إليها الدعاة لاستكمال الطريق؛ فهى مدرسة أخرى للحوار مع الغير، يقول الله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام].

وكثيرًا ما يجرى مثل هذا الحوار عبر الزمان - كشكل من أشكال السلطة والسلطان الطاغية - التى تمارس على العباد الصالحين، وذلك عندما يقول صاحب أمن الطاغية للداعى: ألا تخاف تعذيبى لك؟ فيرد عليه المؤمن: إنى أخاف عليك من عذاب الله لك، ولا أخاف من بطشك إلا أن يشاء الله.

كما كان لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حجة مع أصحاب الملك الذين يطغون فى الأرض، ويعتقدون أن بيدهم حياة الناس، فيقتلونهم وقتما شاءوا، ويعفون عنهم عندما يريدون. إلا أن إبراهيم الخليل ذكر لمثل هؤلاء آيات أخرى ربما يفهمها الطغاة الجاهلون، وهى عدم قدرتهم على ما فوقهم من المخلوقات .. إن كان بين يديهم أناس ضعفاء، قال تعالى فى سورة البقرة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة].

وهذه حجة على كل طاغية إلى يوم القيامة، وعندما هداه الله تعالى إلى الحق، لم يعتكف فى بيته لعبادته وترك قومه، ولم يكن له صديق أو أخ يؤازره، بل أب لا يرضى عنه وقوم لا يفقهون، ورغم ذلك لم ييأس من الحوار معهم؛ لحثهم على إعمال عقولهم، فآثروا اتباع الضالين الأولين، وآثر هو رب العالمين، الذى خلقه وهداه وأطعمه وسقاه. وتوعد قومه أن يكيد لأصنامهم، فجعلهم جُذاذًا إلا كبيرًا لهم؛ أملًا أن يرجعوا إليه، فيسألوه، ويحاورهم مرة أخرى، فيفهموا ويعوا، وتهون عليهم هذه التماثيل المصنوعة بأيديهم.

وفعلًا بعدما كانوا يسمعونه ثم يتركونه ويرجعون إليها، بدءوا فى إعطاء الإجابة بأنفسهم وبألسنتهم، فعندما قال لهم إبراهيم: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٣]، كان ردهم عليه: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنبياء]؛ فهذا إعمال لعقولهم، وتنشيط لها،



ورجوع إلى النفس ومحاورتها؛ للوصول إلى الحق، بدلًا من العناد والجهل والإصرار عليه، ولكن كان عقابهم له بالحكم عليه بالحرق ونصرة الجهل، فجعلهم الله - عز وجل - القادر القدير هم الأخسرين، وجاء لهم بآية، فأمر النار أن تكون بردًا وسلامًا على إبراهيم، وأمر الدواب أن تطفئ عنه النار. ففى حديث عن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: إن الرسول ﷺ حدثنا: **«أن إبراهيم حين ألقى فى النار لم يكن فى الأرض دابة إلا تطفئ عنه النار، غير الوزغ، كان ينفخ عليه، فأمرنا رسول الله ﷺ بقتله»** (١)، والوزغ سام أبرص.

وقد ذكر الرسول ﷺ كيف كذب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لإظهار دين الله، فعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات: قوله حين دعى إلى آلهتهم، فقال:** ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات]**، وقوله:** ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء:٦٣]**، وقوله لسارة: إنها أختى»**(٢) فقد كان لقوم إبراهيم أعياد يحتفلون بها عند تماثيلهم، فلم يقبل إبراهيم حضورها، ولم يصرح لهم الأسباب، ولكنه قال لهم: إنى سقيم؛ فقد كان ينوى عملًا آخر، وهو كسر أصنامهم؛ لتكون حجة لهم وعليهم، وليعترفوا بأنفسهم، وقد كان، أما قوله لسارة - زوجته - أنها أخته، فقد كان لملك من الملوك الجبابرة، وقصد إبراهيم من وراء ذلك إحصانها منه، وأمر زوجته ألا تكذب قوله؛ فإنه ما على الأرض مؤمن غيره وغيرها، فصلَّت لله ودعته بأن يحفظها من هذا الملك، وقد كان، وبدلًا من الإيذاء كان العطاء، فرجعت سارة بخادمة لها، وهى هاجر، والتى كانت زوجة لإبراهيم بعد ذلك، وأمًّا لإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الآيات التى سننطلق منها لاتباع سنة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فى التوبة :

قال تعالى فى سورة الشعراء: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء]؛ للطمع فى المغفرة وتعظيم الخطأ.

وقال تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة]؛ للاجتماع على التوبة والذكر، وللتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة لقبول التوبة.

---

(١) البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٣٥٩).

(٢) البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٣٥٧).

منهج التوبة



الطمع فى المغفرة:

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾[الشعراء] .. طمع فى الشىء يعنى: اشتهاه، وحرص على أخذه، والطمع قد يكون للدنيا وما فيها من خيرات، وقد يكون للآخرة وما فيها من نعيم مقيم، وقد يكون لحسن ثواب الدنيا والآخرة معًا. وقد يكون الطمع فى دار العمل، وقد يكون فى دار البقاء.

ومن طمع للدنيا خاف عليها، وحرص عليها حرصًا شديدًا، يسوقه إلى الشقاء فى الدنيا والآخرة. فهو - دائمًا - يريد أن ينهل منها ولا يشبع، يقول ﷺ: **«لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»** [متفق عليه] (١).

والطمع فى الدنيا يؤدى إلى الأرق وعدم الاطمئنان؛ فهو - دائمًا - يبحث عن المزيد، ودائمًا يخاف على ما جمع من حطام الدنيا.

والطمع للدنيا يؤدى إلى الذل والتذلل للناس، وإلى الحسد والحقد والكراهية، وهى أمور لا يجب أن تجتمع فى قلب المؤمن، وهى من علامات مرض قلبه ونفسه.

والطمع للدنيا يخرج المؤمن من عبودية الله إلى عبودية الدنيا، فهو أسير فى حب الدنيا وحطامها، لا يرى الأمور إلا بمنظارها، ولا يزنها إلا بميزانها.

أما الطمع فى الآخرة والمغفرة يوم الدين ورضاء الله - سبحانه وتعالى - فهى ما طمع فيها سيدنا إبراهيم الخليل.

ويقرن الله تعالى انفعال الخوف بالطمع، ويأتى قبله فى الآيات، قال تعالى فى سورة الرعد: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا ﴾[الرعد:١٢]، وفى سورة السجدة: ﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا ﴾[السجدة:١٦].

---

(١) البخارى فى الرقاق (٦٤٣٨، ٦٤٣٩)، ومسلم فى الزكاة (١٠٤٨/ ١١٦).

فالآية الأولى فى سورة الرعد توضح صنفين من الناس: الأول: يرى البرق فنيتابه إحساس بالخوف، والثانى يراه فينتابه إحساس بالطمع.

وكثير من الخوف يأتى من جهل الإنسان بطبيعة الأشياء، وما يمكن أن يستفيد بها الإنسان فى حياته، وكيفية التعامل معها، والأضرار التى يمكن أن تنجم عنها، وكيفية تلاشيها. وقليل من الخوف ضرورى للمؤمنة؛ لكى تعيد تصحيح مسارها، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الظالمون، يقول الله تعالى فى سورة الحجر: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر].

فعليك أن توازنى نفسك بين الخوف من عقاب الله فى الدنيا والآخرة، وبين الطمع والرجاء فى رحمته. قال تعالى فى سورة السجدة: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[السجدة:١٦]، يقول الله تعالى فى سورة الأعراف: ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[الأعراف].

وإذا كان زيادة علم الإنسان بطبيعة الأشياء تؤدى إلى تقليل الخوف منها، وزيادة قدرته عليها – فإن زيادة العلم بالله – سبحانه وتعالى – يزيد من خشيته. يقول الله تعالى فى سورة فاطر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ﴾[فاطر:٢٨]، ويقول الرسول ﷺ: **«والله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»** [رواه الشيخان من حديث عائشة]. ويأمرنا الله تبارك وتعالى بأن نخافه، يقول تعالى فى سورة آل عمران: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[آل عمران].

ولكن ما الأفضل لكِ: أن تخافى الله أم ترجين رضاه وتطمعى فى عفوه؟وفى أى الأحوال يكون إحداهما أفضل من الآخر؟

يقول الإمام الغزالى فى إحيائه: «أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء؛ وذلك لأجل غلبة المعاصى. فأما التقى الذى ترك ظاهر الإثم وباطنه وخفيه وجليه، فالأصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه؛ ولذلك قيل: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا، وروى أن عليًّا – كرم الله وجهه – قال لبعض ولده: «يا بنى خف الله خوفًا ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك، وارج الله رجاء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك، ولذلك قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «لو نودى ليدخل النار كل الناس إلا رجلًا واحدًا لرجوت أن

أكون أنا ذلك الرجل، ولو نودى ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلًا واحدًا، لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل»[(١)].

ولذلك فعلينا يا أختاه الطمع فى مغفرة الله تعالى، مع الخوف منه، فلا خوف خالص ولا رجاء خالص؛ فكلاهما لا يصلح للمؤمن، ولا تستقيم به حياته.

هذا إذا كان الطمع للدنيا أو للآخرة، ولكن ماذا لو أراد المسلم أن يطمع فى الاثنين؟أو أن يكون له حسن ثواب الدنيا والآخرة؟ .. هكذا كانت دعوة سيدنا إبراهيم الخليل ومدرسته وسنته.

يقول الله تعالى فى سورة الشعراء: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

فهذا الطريق فى الدعاء الذى رسمه لنا أبو الأنبياء لنخطو خطاه، يشهد أن تدعو الله لخير ما فى الدنيا، وخير ما فى الآخرة النعيم المقيم.

وكان الرسول محمد ﷺ، يدعو الله تعالى لما فيه صلاحه فى الدنيا وصلاحه فى الآخرة. عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبى ﷺ، قال: **«اللّهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير، واجعل الموت راحة لى من كل شر»** [رواه مسلم][(٢)].

وكان أكثر دعاء الرسول ﷺ: **«اللّهم آتنا فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»** [متفق عليه].

وإذا كان الإنسان يطمع ويرجو الله فى حياته الدنيا فى دار العمل، فكيف يأتى فى دار الحساب ويطمع فى مغفرة الله أو فى جنته؟ وهل لهذا الطمع جدوى، ومن هؤلاء الطامعون فى الجنة؟ ومتى يطمعون فيها؟ ولكى نجيب عن هذه التساؤلات للطمع يوم الحساب، نقرأ

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ٢٥٥.

(٢) مسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٢٠/ ٧١).

معا بعض آيات من سورة الأعراف، قال تعالى فى سورة الأعراف: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾[الأعراف].

وفى الآيات الكريمات إخبار عن ثلاث فئات: فئة أصحاب الجنة يحاورون أصحاب النار، وفئة الأعراف الذين يقفون على الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة، وهم يلقون السلام على أهل الجنة، ويطمعون أن يدخلوها، ويخافون أن يكونوا من أصحاب النار، ثم يأمر الله تعالى أن يدخلوا الجنة، ويأتى الحوار بين أصحاب النار وأصحاب الجنة، فيطلبوا منهم أن يفيضوا عليهم من الماء أو مما رزقهم الله، ولكن أصحاب الجنة يقولون لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾[الأعراف].

وبعد هذا التصنيف للطمع، هل صنفتِ نفسك داخل نوع منها؟ وما هو ذلك النوع؟ هل هذا النوع هو الذى يرضيك؟ أم ستتخذين نوعًا آخر؟ ومتى ذلك؟ وكيف؟

إن إجاباتك عن هذه الأسئلة كفيلة بوضعك فى تصنيف من هم أصحاب الجنة، أو فيمن هم أصحاب النار، أو فيمن ينتظرون عفو ربهم ومغفرته يوم القيامة.

ستدركين كم وزن الدنيا عندك، وما مقدارها، وما هى قيمتها الحقيقية فى نظرك. ستدركين مقدار حبك لله ولرضاه، ومقدار خوفك من سخطه وعذابه، سيكون عندك منظار حقيقى، تستطيعين من خلاله رؤية الناس وتقديرهم للماديات فى الدنيا، وستجدين إجابات شافية لصدرك عما يحدث من اعتداءات، وقتل، واغتصاب، وخصام، وتفرقة، وكراهية، وبغضاء بين الناس.

لقد استطاع الإنسان أن يبتكر نظارة، تمكن مستخدمها من رؤية الأشياء فى الظلام، ألا يكون الأجدر للمؤمن أن يكون لديه أعظم من هذه النظارة الزجاجية؛ إنها قلب المؤمن الذى يستطيع أن يحس ويعقل ما لا يستطيع غيره ذلك.

تعظيم الخطأ:

فما تحسينه هينًا هو عند الله عظيم، قال تعالى فى سورة الشعراء: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الشعراء]، وعن أبى هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، قوله: حين دعى إلى آلهتهم: ﴿ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الصافات]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ [الأنبياء:٦٣]، وقوله لسارة: إنها أختي»[(١)].

فهذه الآية وهذا الحديث يضع أمامنا خطوطًا عريضة تحت كلمة الخطأ، الذى يستوجب التعظيم.

فإلى أى حدٍّ نرى أخطاءنا وأخطاء الآخرين؟ وإلى أى حدٍّ نعترف بها؟ وإلى أى حدِّ نشعر بالألم لارتكابها؟ وإلى أى حدِّ نجتهد فى الامتناع عنها؟ وإلى أى حدٍّ ندعو الله أن يغفرها لنا؟وإلى أى حدٍّ نأمل مغفرة الله لذنوبنا؟

فالأمر يحتاج إلى درجة عالية من المراجعة والمحاسبة للنفس، ليس كل يوم، ولكن فى كل لحظة؛ فمن يدرى بلحظة الموت، وانتهاء العمل وبداية الحساب؟ يقول الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران:٣٠]، ويقول الله تعالى فى سورة الحج: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [الحج:٣٠]، والحرمة: هى كل ما يجب احترامه من حقوق الله وما منع من انتهاكه، وهى تتطلب من الأخت المؤمنة أن تعرف هذه الحقوق، وتؤمن بها، وتعظمها فى قلبها، وتجتهد فى احترامها وعدم الابتعاد عنها، وتذكير نفسها دائمًا بها، وكذلك تتعرف على ما نهى الله عنه؛ لتجتنبه وتتركه، بحيث لا تقع فيه، وإذا وقعت فيه فتسرع بالاستغفار، وتصحيح مسارها، وتجديد إيمانها بالله تعالى.

---

(١) البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٣٥٩).

وهنا تظهر فضيلة المحاسبة لدى الأخت المؤمنة؛ فهى دائمًا تنظر فى أعمالها بعد الفراغ منها، ثم تزنها بميزان الطاعة لله والعبودية له، فترى ما إذا كانت خفت موازينها أم ثقلت، وذلك قبل أن توزن عليها، وربما ضاق الوقت عليك، وأخذتك مشاغل الحياة، إلى أن ينتهى اليوم وأنت مستلقية على السرير؛ لتنهى يومًا شاقًّا مليئًا بالمتعاب، وربما ينتهى بك اليوم دون أن تحسى بأنك قد قصرت فى أداء عمل، أو أحدثت ما يغضب الله، فتنامى مرتاحة البال وراضية عن نفسك، وربما يأتى المساء ولم تكملى أعمالك التى قررتيها، فتنامى وأنت تحملين كيف ومتى ستنجزينها؟

فهذه ظروف وأوضاع يمكن أن تقابلك، فهى كثيرًا ما يعيشها الناس، فالأمر شائع ولكنه شائك وخطير، فهذه الظروف هى التى صرفت كثيرًا من الناس عن محاسبة أنفسهم وتقويمها، فعاشوا فى تعب وشقاء وظلام وراءه ظلام، إلى أن يأتى بهم يوم الساعة فيحلفون أنهم لم يلبثوا غير ساعة.

ولكن ما الذى ستضعينه على الميزان؟ هل الصمت أم الكلام؟ هل الإقبال أم الإبار؟ هل الطاعة أم المعصية؟ هل نفسك أم عقلك أم جوارحك؟ هل أعمالك مع نفسك أم مع غيرك؟ وأين الوقت والعقل اللذان يوفران الإجابة؟

فربما الوقت لا يكفى والعقل لا يستطيع، والنفس لا تهوى المحاسبة، فما السبيل إذن؟

لقد كان الرسول ﷺ يستغفر الله فى اليوم مائة مرة[١]، وعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبى ﷺ، قال: «**يا معشر النساء تصدقن، وأكثرن من الاستغفار؛ فإنى رأيتكن أكثر أهل النار**»، قالت امرأة منهن: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: «**تكثرن اللعن، وتكفرن العشيرة (الزوج)**» [رواه مسلم] [٢].

فهذان سبيلان للاستغفار والصدقة، وعن أبى هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبى ﷺ، قال: «**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة (أول النهار)، وشىء من الدلجة (آخر النهار)**» [رواه البخارى] [٣].

---

(١) مسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٢/ ٤١).

(٢) مسلم فى الإيمان (٧٩/ ١٣٢).

(٣) البخارى فى الإيمان (٣٩).

وليكن لنا فى الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ قدوة أيضًا، فقد كان عمر بن الخطاب يراجع نفسه فى كل كلمة ينطق بها، ويسمح لغيره أن يراجعه، ويصحح أخطاءه ولو كانت امرأة، وكان يعترف بذلك، فقد قال: أصابت امرأة وأخطأ عمر، وكان وقافًا عند كلام الله - عز وجل - وكانت السيدة عائشة كثيرًا ما تسأل الرسول ﷺ؛ لتصحح لنفسها ولغيرها من المسلمين والمسلمات؛ فلا يكفى أن تقيم المسلمة نفسها، ولكن عليها أن تستعين بمن هم أفضل منها فى تغييرها، ولا تجد بأسًا فى انتقادها ممن هم أقل منها سنًّا، أو مركزًا، أو علمًا.

فلنقل كما قال عمر: رحم الله امرأ أهدى إلىَّ عيوبى، فالعقل وحده لا يستطيع أن يحصى كل ما قامت به الجوارح، فالإنسان لا ينظر إلى نفسه، بل ينظر إليه الآخرون، وربما يفسر ذلك بعض أسباب انتقاد الناس لغيرهم قبل أنفسهم، ونفس المرء أمارة بالسوء، فرحم الله من قال: حاربوا أهواءكم كما تحاربون أعداءكم، فالنفس تميل إلى اتباع الهوى، وقد كان رسول الله ﷺ يدعو الله: **«اللّٰهم آت نفسى تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»**[(١)].

وهناك ميزان من موازين الرسول ﷺ، وهو ميزان الإثم، وهو ما حاك فى صدركِ، وكرهت أن يطلع عليه الناس، فإذا وجدت فى نفسك ذلك، فهذا معيار لمحاسبة النفس وتعديل اعوجاجها.

وهناك أيضًا الجار والصاحب، وهما من موازين الرسول ﷺ، عن أبى هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبى ﷺ، قال: **«الرجل على دين خليله** (الصديق)**، فلينظر أحدكم من يخالل»**[(٢)].

الاجتماع على التوبة والذكر:

قال تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة].

---

(١) الطبرانى فى الكبير (١١/ ١٠٦) (١١١٩١)، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٤١) وإسناده حسن.

(٢) أبو داود فى الأدب (٤٨٣٣)، والترمذى فى الزهد (٢٣٧٨)، وقال: «حسن غريب».

هكذا كان الاجتماع على العمل الصالح، والاجتماع على الدعاء، والاجتماع على التوبة، فهل لنا فى سيدنا إبراهيم الخليل أسوة حسنة، وهل لنا فيمن تبعه من الأنبياء الصالحين وخاتم النبين ﷺ نور وهداية؛ لنقتدى بهم، ونسير على سيرهم وهداهم؟

يقول الله تعالى فى سورة الكهف: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف:٢٨].

فالاجتماع مع الصالحين أمر من الله، والصبر على ذلك ضرورى لمن أراد وجه الله، فالأخت الصالحة لها أن تجتمع مع أخواتها فى المنزل أو مع أسرتها، ولها أن تجتمع مع زميلاتها فى المدرسة أو الجامعة، ولها أن تجتمع مع الأخوات الصالحات فى أماكن العمل، ولها أن تجتمع مع الأخوات العابدات فى المساجد، ولها أن تجتمع مع صديقاتها فى أماكن الترفيه عن النفس، فالمسلمة لابد لها أن تعيش مع نفسها وتعايش الآخرين؛ ليصححوا لها، وتصحح لهم، ويكونوا معًا عونا على الطاعة بإذن الله.

وربما يزداد حبك لذكر الله مع صديقاتك وأخواتك عندما تعلمين: **«أن لله تعالى ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله – عز وجل – تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم – وهو أعلم: ما يقول عبادى؟ قال: يقولون: يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك ويمجدونك، فيقول: هل رأونى؟ فيقولون: لا، والله ما رأوك، فيقول: كيف لو رأونى؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا. فيقول: فماذا يسألون؟ قال: يقولون: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا، والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: يتعوذون من النار، قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها؟ فيقول: كيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافة. قال فيقول: فأشهدكم أنى قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة؟ قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»** [متفق عليه] (١).

---

(١) البخارى فى الدعوات (٦٤٠٨)، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٨٩/ ٥).

هل تحاسبين نفسك الآن: من تجلسين معهم؟ وفيم تتحدثون؟ هل تذكرون الله وتستغفرونه؟ أم تذكرون الناس وتغتابونهم؟

كيف يكون حال الجلساء؟ هل هن مطمئنات هادئات؟ أم ترتفع أصواتهن ويكثر لغوهن؟ كيف يكون ختام الجلسة؟هل توبة واستغفار، أم وداع وشجار؟

شتان بين الجلستين، أسرعى واختارى ولا تحارى؛ إنها جلسة تشهدها الملائكة، لا يشقى فيها أى جليس، بدايتها ذكر، ونهايتها مغفرة من الله العزيز الحكيم، وذكرٌ لكم عند ربكم، إنها رياض الجنة، فارتعى فيها؛ فإن جبريل أخبر الرسول ﷺ بأن الله تعالى يباهى بكم الملائكة.

أختاه ربما تجلسين بمفردك فى المنزل، ولا يتاح لك فرصة الاجتماع على التوبة والذكر، ولكن انظرى حولك، ستجدين من تجتمعين معهم، وأنت لست منهم فى الجلسة، إنها جلسات العلم فى محطات الإذاعة والتلفزيون، وفيها برامج تتيح لك أن تجلسى معهم، وأحيانًا تتيح لك الاتصال بهم مباشرة، فهذه الأشياء مما أنعم الله علينا بها فى هذا العصر، فحاولى معرفة مواعيد هذه الجلسات وانتظريها، وبلغى صديقاتك بها؛ حتى تجتمعوا معًا فى ذكر الله دون لقاء، ثم ربما يكون بينكن حوار وجلسات بعد ذلك.

وهناك شكل آخر من جلسات العلم، أنعم الله بها علينا، يمكن أن تتم عبر الحديث من خلال الإنترنت فى البرامج التى تتيح الحوار بين أكثر من اثنين؛ فليبدأ الحوار بالتسبيح، والتهليل، والتحميد، وذكر الله، ولينتهى بطلب الجنة، وكل عمل يقرب إليها، والاستعاذة بالله من النار، وكل عمل يقرب إليها، ولتسمح الأخوات لمن يريد الانضمام إليهن بالدخول، والمشاركة فى جلسات العلم؛ حتى تتسع الحلقة، ولتكن نية الاجتماع لله والافتراق عليه، والدعاء لله بأن يتقبل هذا العمل، وأن يكون خالصًا لوجه الله الكريم.

التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة لقبول التوبة [لماذا، وما هى، ومتى؟]:

يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة]

تعلمنا الآيات التوجه إلى الله تعالى بالدعاء أثناء القيام بالأعمال الصالحة، وأن نرجو تقبل الله لأعمالنا، فنرجو تقبله لصلاتنا وصيامنا وزكاتنا وصدقاتنا ولسائر أعمالنا، وأن ندعو



لأنفسنا ولأهلنا ولمن جاء بعدنا، وأن يكون دعاؤنا - دائمًا - فيه التوبة والاستغفار، فلنكثر من دعواتنا لله أثناء القيام بالأعمال الصالحة، ربما تكون طلبًا لمنافع دنيوية، وربما ننسى تجديد التوبة إلى الله، بينما تكثر التوبة عند القيام بإثم أو معصية.

لذلك فعلينا أن نكثر من الأعمال الصالحة، بنية التوبة إلى الله، حتى ولو لم تسعفنا الذاكرة، ولم تعترف نفوسنا، ولم نواجه لومًا، أو خصومة من أحد، فلابد من الاعتراف بأن كل بنى آدم خطاء، فهذه الصفة كافية لدواعى التوبة والاستغفار، فما لا أعتبره خطأ اليوم، ربما أدركت مدى خطورته وخطأه غدًا، وما لم يعاتبنى الناس عليه اليوم، ربما يكون سببًا للخصومة غدا، وما أحسبه هينًا، ربما يكون عند الله عظيمًا.

والأعمال الصالحة قد تكون من خلال أعمال القلوب: بذكر الله، ودوام التفكر فيه وحب الله، وحب كل عمل يقرب إليه، وحب كل من يحبه، وأن يكون حبه أحب إلى القلب من الدنيا وما فيها، وأن يشع هذا الحب على جميع خلقه. ومن الأعمال الصالحة، جميع الأقوال من خير، ودعاء، وذكر، واستغفار، ومن الأعمال الصالحة، العبادات من صيام، وصلاة، وصدقة، وحج، وجميع ما أمرنا به الله ورسوله، مثل: بر الوالدين، والصدق، والجهاد فى سبيل الله، وعلينا جميعًا أن نسارع فى الخيرات، والأعمال الصالحة، والتى يقابلها سرعة فى المغفرة بإذن الله. يقول الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾[آل عمران]، وقد علمنا الرسول ﷺ هذه السرعة كعلاج للذنب: **«أتبع السيئة الحسنة تمحها»**(١).

وعن أبى هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: **«بادروا بالأعمال الصالحة؛ فستكون فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا، ويمسى كافرًا، ويمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا»**(٢).

فهذا الحديث ربما يثير فيك سرعة القيام بالعمل الصالح، فلا تدرى نفس ماذا ستكون الدنيا غدًا، فكل يوم هو فى شأن.

فبعض الناس يعتقدون أن أعمالهم اليوم تكفى غدًا وبعد غدٍ، وربما اغتروا بهذه الأعمال، واعتبروها هى المنجية، وأنهم فى أمان ومأمن من مصائب الدنيا وتقلباتها، فيدفعهم هذا

---

(١) أحمد (٥/ ١٥٣).

(٢) مسلم فى الإيمان (١١٨/ ١٨٦).

الإحساس إلى التراجع، والاكتفاء بالقليل من العمل الصالح؛ فتكون العاقبة الوقوع فى الإثم، والانحراف عن الطريق المستقيم.

وقد فند الرسول ﷺ لنا سبعة أحوال؛ يجب أن تكون دافعًا لقيامنا بالمبادرة بالأعمال الصالحة، فى حديث عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: **«بادروا بالأعمال سبعًا: هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا، أو غنى مطغيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا مُفندًا، أو موتًا مُجهزًا، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر»** [رواه الترمذى، وقال حديث حسن][(١)].

فالغنى لا يدوم، وربما يتحول الغنى اليوم إلى فقير غدًا، فلا يستطيع أن يعطى، أو يتصدق، أو يقوم بالأعمال الصالحة، وإذا دام الغنى فقد يطغى صاحبه، فينسى الفقراء ويظلمهم، ويظلم أصحاب الحاجة.

والصحة لا تدوم، فيأتى المرض ليفسد على الإنسان حياته، والشباب مرحلة ويأتى بعدها الهرم؛ فيقل التفكير، والتذكر، والفهم، وغيرها من عمليات العقل، والحياة قصيرة، والموت يأتى بدون إنذار. وهذه أحوال يعيشها كل إنسان، ولكن الرسول ﷺ ذكر حالتين من الغيب؛ وهما الدجال الشر الغائب المنتظر، والذى سيقع فى الإيمان به كثير من الناس، ثم يوم القيامة والتى لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى؛ إذن فهذا الحديث لا ينتفع به غير المتقين، الذين يؤمنون بالغيب.

❊ ❊ ❊

(١) الترمذى فى الزهد (٢٣٠)، وقال: حسن غريب.

الفصل الرابع

سنة يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة

نظرة على قصة يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

من أراد أن يدخل فى هذه المدرسة، ويتعلم منها دروسًا فى التوبة من سيرة نبى من أنبياء الله، عليه أن يعرف شيئًا عن صاحبها؛ ليزداد تقديره لها، ويتسع صدره لقبول وتفهم المنهج، والصبر عليه.

فهذا يونس بن متى، الذى قال عنه سيدنا محمد ﷺ، **«لا ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى»** [رواه مسلم][1].

بعث الله تعالى نبيه يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى أهل (نينوى) من أرض الموصل بالعراق، فدعاهم إلى الله - عز وجل - فكذبوه وتمردوا عليه، فلما طال ذلك عليه من أمرهم، خرج من بين أظهرهم، ولما تحققوا نزول العذاب بهم، قذف الله فى قلوبهم التوبة والإنابة، وندموا على ما كان منهم مع نبيهم، وكشف الله العظيم - بحوله وقوته ورأفته ورحمته - عنهم العذاب.

قال تعالى فى سورة يونس: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس].

وفى هذه الأوقات كان لسيدنا يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قصة وعبرة للمؤمنين، يقصها علينا القرآن الكريم فى سورة الأنبياء: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء].

فالآيتان فيهما انفعال صاحب الحوت، وهو سيدنا يونس، الذى ترك قومه غضبان، وظن أن الله لن يضيق عليه، ولكنه عندما وقع فى الغم، أدرك أنه كان من الظالمين، فدعا الله بدعاء

---

(١) مسلم فى الفضائل (٢٣٧٧/ ١٦٧).

لم يدع به قبله إنس ولا جان، **«فأقبلت هذه الدعوات تحت العرش، فقالت الملائكة يا رب: صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة، فقال: أما تعرفون ذاك؟**

قالوا: لا يا رب، ومن هو؟ قال: عبدى يونس، قالوا: عبدك يونس، الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مجابة؟! قالوا: يا ربنا أولا ترحم ما كان يصنعه فى الرخاء، فتنجيه من البلاء؟ قال: بلى، فأمر الحوت فطرحه فى العراء» [عن أنس بن مالك، ورواه ابن جرير].

يقول الله تعالى فى سورة الصافات: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾[الصافات].

ويقص علينا القرآن الكريم كيف التقمه الحوت، وظروف ذلك، وكيف أنقذه الله تعالى فى سورة الصافات: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾[الصافات].

فقد ذهب يونس غضبان أسفًا، وركب فى السفينة، ووقع على يونس القرعة فألقى فى البحر؛ وذلك تخفيفًا لحمل السفينة، ولضمان نجاتها بعد أن تكررت القرعة، وبدلًا من أن تحمله السفينة، حمله بطن الحوت، فألهمه الله التسبيح والدعاء فى موضع لم يعبده أحد فى مثله، فاستغل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الكرب الذى وقع فيه، والظلمات والألم والخوف فى التوجه إلى الله بالدعاء، بعدما أدرك أن ذلك كان ظلمًا من نفسه وقع عليه، واستغل غربة المكان، وعدم إدراكه للزمان، فهو فى ظلام، ليلًا ونهارًا، فأنعم الله عليه، بأن أمر الحوت فقذفه فى الساحل وهو سقيم مريض، وأنعم عليه بالدواء والغذاء، إلى أن شفى وأذهب عنه كربه العظيم.

الآيات التى سننطلق منها لاتباع سنة يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة:

- قال تعالى فى سورة الأنبياء: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[الأنبياء:٨٧]؛ لمعرفة أن الغضب من أسباب الوقوع فى الذنب.

- قال تعالى فى سورة القلم: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾[القلم]؛ لمعرفة أن عدم الصبر من أسباب الوقوع فى الذنب.

- قال تعالى فى سورة الأنبياء: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[الأنبياء]؛ لمعرفة فائدة الدعاء لله - عز وجل - فى أوقات الأزمات فى تقبل التوبة.



منهج التوبة

الغضب كسبب من أسباب الوقوع فى الذنب:

يقول الله تعالى فى سورة الأنبياء: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء].

غضب سيدنا يونس من قومه، بعدما كفروا برسالته جميعهم، فتركهم لقوم آخرين؛ عسى أن يؤمنوا به، بدون إذن من ربه، فكانت له قصة وقوعه فى البحر، والتقام الحوت له، فعاش فى ثلاث ظلمات: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، وحينئذ أدرك أنه كان من الظالمين، فتذكر ربه ودعاه فى الظلمات؛ فاستجاب له الله، ونجاه من الغم.

أين نحن من هذه الذنوب وهذا الغضب؟! هل أحست الأخت التى تركت أخوات لها، وتوقفت عن مواصلة العمل معهن، وطلبت غيرهن غضبًا منها لعدم طاعتهن لها، بأنها قد كانت من الظالمين؟ هل أحست الأم التى غضبت من أولادها لعصيانهم لها، فتركتهم مع أبيهم لتبحث عن مكان آخر وأناس آخرين، أنها قد كانت من الظالمين؟ هل أحست المدرسة فى الفصل أنها كانت من الظالمين عندما تركت الفصل لعدم هدوئه، أو التزامه دون أداء واجبها واستكماله؟ هل أحست الأخت الكبيرة، أو المسئولة فى المنزل، بأنها قد ظلمت نفسها عندما تركت أخواتها يفعلن ما يشاءون، ولم تقم على رعايتهم كما كان موكولًا لها؟ عندما تجد الإجابة لها، لم يحس أحد منهم بالظلم، سنتأكد أنهم جميعًا لم يدخلوا مدرسة يونس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة، وسندرك مدى أهمية هذا المنهج النبوى فى إصلاح أحوالنا، ووصولنا إلى بر التوبة فائزين ناجين.

وربما تقولين: كيف لا أغضب، أليس الغضب فينا ومن صفاتنا؟! وإلا لم غضب الأنبياء ومنهم محمد ﷺ، فعن أبى هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«اللّٰهم أنا بشر**

أغضب كما يغضب البشر، فأيما مسلم سببته، أو لعنته، أو ضربته، فاجعلها منى صلاة عليه، وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة» [أخرجه مسلم][(١)].

هكذا كان اعتراف الأنبياء بصفاتهم البشرية، التى لم ينفكوا عنها، ولم يتجردوا منها، وإنما جعلوها لله شكرًا له وقربة إليه.

وإذا كان انفعال الغضب طبيعيًّا فى النفس البشرية، فكيف تستطيعين كأخت مسلمة، أن تستغلى هذا الانفعال فى صالحك، وألا يكون عاقبته الإثم، أو البغى على النفس، أو الناس؟

إذا حاولت الأخت المسلمة أن تجعل غضبها هذا لله سبحانه وتعالى، فتغضب لغضب الله، وتغضب لانتهاك حرمات الله، والتقصير فى أداء فروضه وواجباته، سواء أكان ذلك من نفسها أو من الآخرين - بهذا يكون هذا الانفعال ضروريًّا لكل مسلم ومسلمة؛ لكى يصحح عبادته وإسلامه وتستقيم أموره.

وهذه أمثلة يمكن أن تقرب إليك هذا المفهوم:

- أن تغضبى لعدم أداء فريضة صلاة الفجر من جانب أفراد أسرتك، وأن تحسى بالألم النفسى لذلك؛ مما يدفعك إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

- أن تغضبى لعدم التزام أختك بالحجاب الذى أمرها الله به.

- أن تغضبى للتقصير فى بر الوالدين.

- أن تغضبى لعدم أداء فريضة الصلاة فى أماكن العمل، أو الدراسة وتأخيرها، وربما نسيانها.

- أن تغضبى لعدم طاعة الزوجة لزوجها، وعدم حفظها لماله ولنفسها فى غيابه.

وهذه الأمثلة ربما تفتح أمامك أبوابًا أخرى للغضب المشروع والمحمود، ولكن يجب أن تختارى طريقك فى الغضب، أو فى التعبير عنه، فهل سيكون بالحكمة والموعظة الحسنة، أم سيأتى الغضب بما لا تحمد عقباه؟

لقد أدى انفعال الغضب الذى كانت نيته لله إلى إحجام العديد من الناس عن الالتزام بالدين، أو اختياره كأساس للحياة؛ ولذلك جاء كظم الغيظ من الفضائل التى يتحلى بها المسلم، إلى أن تستطيعى إحسان التفكير والتعقل، واختيار أفضل السبل للعلاج وللإصلاح،

---

(١) مسلم فى الفضائل (٢٣٧٧/١٦٧).

بعد الوصول إلى حالة الهدوء النفسى، بعد الثورة النفسية والعقلية التى يحدثها الغضب فى صاحبه.

وتذكرى أن غضب سيدنا يونس كان غضبًا لله، ولكنه اختار طريقًا لم يأمره الله به، فترك قومه باحثًا عن أناس آخرين من الممكن أن يقبلوا دعوته، ويؤمنوا بالله الواحد القهار. فمدرسة يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة، تعلمنا لمن نغضب، وكيف نستغل هذا الانفعال ونحسن الوقت فى الاستجابة له، ونحسن كيفية الاستجابة، وهى أمور تحتاج إلى تدريب ورياضة للنفس، ومحاسبة دائمة لها؛ لكى نقوم انفعالاتها فيما يحب الله ويرضى، فنسأل لماذا غضبت؟ لنفسى أم لله؟ وإذا كان لله هل تم كيفما يرضاه؟

ولكن ماذا تفعلين عندما تجدين نفسك وقعت فى انفعال الغضب، ووجدتى آثاره على قلبك فى شكل حقد أو حسد أو حزن لسرور الغير، أو فرح لحزنهم، أو وجدت آثاره على لسانك بالشتم أو التلفظ بالفحش من القول، أو إذا وجدت آثار الغضب على جوارحك، فأخذتى بالضرب أو الاعتداء على الغير بقسوة ودون رحمة؟

- فلتفكرى فى فضل كظم الغيظ الذى فاتك، وفوت عليك حب الله، والوصول إلى درجة الإحسان التى لا ينالها إلا من كظم غيظه وعفا عن الناس: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران]، وتفكرى أن الشديد هو الذى يملك نفسه عند الغضب، وخاصة على من قدر عليهم.

- أن تتذكرى قدرة الله عليك، وأنه لا يحب الظالمين.

- أن تحذرى نفسك من عاقبة العداوة، والانتقام، والخصومة، والكراهية، وقطع الرحم والخسارة فى النفس والمال.

- أن تتفكرى فى قبح صورتك عند الغضب، كيف تتقلص عضلات الوجه ويحمر لونه، ويرتفع الصوت ويغلظ، وتجحظ العينان، ويكون شكل الإنسان لا تقبله نفسه قبل الآخرين.

- أن تعلمى أن غضبك كان سببه هو تعجبك من قدر الله، وكيف يسير الشىء أو الناس على غير ما تريدين، فالفتاة التى ترغب فى الخروج يوميًّا من البيت؛ للنزهة وضياع الوقت، وتقصر فى واجباتها، فتغضب عندما يمنعها والدها من الخروج أو الإسراف فيه، أو الخروج

فى أوقات معينة لا يأمن فيها عليها - فهى تسأل نفسها لماذا جعل الله طاعة الوالدين، وتنظر إليها كأنها من معوقات حرية الفرد، التى تتمنى أن تحصل عليها دون قوانين أو رقابة أو التزامات.

فهذا عن التفكر والعلم، ولكن ماذا عن القول والعمل؟

- أن تقولى عند الغضب: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

-أن تتوجهى إلى الله بالدعاء أن يذهب غيظ قلبك، ويبعد عنك الفتن؛ فهذا دعاء علمه الرسول ﷺ لعائشة زوجته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **«اللّهم رب النبى محمد، اغفر لى ذنبى، وأذهب غيظ قلبى، وأجرنى من مضلات الفتن»**[١].

- أن تذهبى وتتوضئى وضوءك للصلاة؛ فقد قال ﷺ: **«إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء»**[٢].

- أن تمتنعى عن الكلام نهائيًّا بالسكوت، وعدم النظر إلى ما يغضبك، فقد قال الرسول محمد ﷺ: **«إذا غضبت فاسكت»** [أخرجه أحمد والطبرانى][٣].

- تغيير الوضع بتغيير حركة الجسم من الحركة للسكون، أو من السكون للحركة، وقد قال رسول الله محمد ﷺ: **«إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»**[٤].

- وضع الخد على الأرض، وهو أمر عن الرسول محمد ﷺ لنا. قال الرسول محمد ﷺ: **«ألا إن الغضب جمرة فى قلب ابن آدم، ألا ترون إلى حمرة فى عينيه، وانتفاخ أوداجه، فمن وجد من ذلك شيئًا فليلصق خده بالأرض»** [حديث أبى سعيد، أخرجه الترمذى][٥].

ومن هذه النقاط يكون علينا العمل فى ثلاثة اتجاهات؛ **الاتجاه الأول:** هو النفس، بسرعة إدراك حالتها وتذكر الله، **والاتجاه الثانى:** هو التوجه إلى الله بالدعاء والاستعاذة به من

---

(١) أحمد (٦/٣٠٢).

(٢) أبو داود فى الأدب (٤٧٨٤).

(٣) أحمد (١/٢٣٩)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٢١٣٦): «إسناده صحيح»، والطبرانى فى الكبير (١١/٣٣) (١٠٩٥١)، وقال الهيثمى فى المجمع (٨/٧٣): «رجال أحمد ثقات».

(٤) أبو داود فى الأدب (٤٧٨٢).

(٥) الترمذى فى الفتن (٢١٩١)، وقال: «حسن صحيح».

الشيطان الرجيم، **والاتجاه الثالث:** هو الشيء أو الشخص الذى غضبتِ بسببه، بالابتعاد عنه وعدم النظر إليه، أو مخاطبته، فلا يصر على الاستمرار فى حالة الغضب التى وقع فيها، يقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[آل عمران].

عدم الصبر كسبب من أسباب الوقوع فى الذنب:

قال تعالى فى سورة القلم: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [القلم]. الأمر لسيدنا محمد ﷺ متمم الأخلاق للإنسانية جميعًا، والنهى له فى عدم اتباعه طريق يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ فى عدم الصبر على قومه؛ ليكون خلقه القرآن، ويكون قرآنًا يمشى على الأرض. فقد أنزل الله تعالى الآيات على سيدنا محمد ﷺ، تخبره بقصص الأنبياء؛ ليكون له ولمن تبعه عبرة وموعظة، ينتفع بها المؤمنون. فقد استبطأ سيدنا يونس إيمان قومه، وظن أن الله لن يضيق عليه بالبقاء بين هؤلاء القوم المعاندين، وقد كتب الله لهم جميعًا الإيمان بعد أن تركهم؛ ليكونوا آية للمسلمين جميعًا، وهداية للمؤمنين.

فمن منا لا يحتاج إلى الصبر فى حياته؟! وقد خلق الإنسان هلوعًا، إذا مسه الشر جزوعًا، يقول الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[آل عمران].

فهو أمر للمؤمنين جميعًا بالصبر واحتماله؛ فهو فضيلة تسبق فضائل أخرى؛ كالشجاعة والرباط والقتال والثبات، ويصف الله تعالى الصابرين بالصدق والتقوى فى سورة البقرة: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[البقرة]. والصدق هنا هو الصدق مع الله سبحانه وتعالى ومع النفس، فلا يعنى الصدق سرعة التعبير عما يدور فى ذهن أحدنا، أو فى نفسه وقلبه، فتقولين: إننى صادقة؛ فهنا تقع كثير من الأخوات فى الذنب بسبب هذا الصدق غير المطلوب، وقد كانت بحاجة إلى كظم الغيظ، أو الصبر والصدق مع الله تعالى؛ لإصلاح النفس وإصلاح الغير. وقد قرن الله تعالى الصلاة والصبر - كوسيلتين - يستعين بهما المؤمن فى طاعة الله، وعلى ما يصيب المؤمن من المصائب، يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة]، وقد كان لنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة؛ فقد صبر ﷺ على أذى الكفار وإهانتهم، إلى أن أتم الله الدين عليه وعلى المسلمين.

وعلينا أن ندرك أن الصبر ليس سلبيًّا، فكل بلاء تستطيعين أن تدفعيه عنك، لا تؤمرى بالصبر عليه؛ إنما عليك أن تقومى بدفعه بما أعطاك الله من قوة وعلم ودين، وكذلك الصبر ليس عملًا سلبيًّا، يتطلب من الأخت السكون، أو أن تتحمل آلامًا ومشاق على الدوام، ولكنه فترة وفضيلة، يستخدمها المسلم لتقوية نفسه، ونيل حب الله له، وهو اختبار لمدى قدرة الأخت على تحمل الصعاب، أو المشكلات، فهو قدرة فى النفس تمكنها من الاحتمال بغير تبرم، يؤدى إلى ضياع الحقوق أو ظلم النفس أو الغير.

وعندما ننظر إلى أعمالنا وما أصابنا من ذنوب أثناء اليوم، سندرك أن كثيرًا منها كان يمكن ألا يتم إذا استعنا بالصبر والصلاة.

وإليك هذه الأمثلة لتقريب الفكرة إلى الذهن:

- إذا صبرنا على إتمام العمل كما يحب الله ويرضى، وراجعناه وقيمناه وحاسبنا أنفسنا، هل ستكون النتيجة الخطأ أو النقصان؟ ثم الشعور بالذنب تجاه النفس المقصرة.

- إذا صبرنا على أداء الصلاة والمحافظة عليها، وإتمامها كما أمرنا الله تعالى، وصبرنا على أهلنا فى الأمر بها: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾[طه:١٣٢]، هل سيكون أحد فى المنزل لا يؤديها، ثم نقع فى الذنب إذا أهملنا؛ لأن «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**»[(١)] .. حتى الخادم، فقد جعله الإسلام مسئولًا فى عمله.

- إذا صبرت الأخوات الصغيرات على النظام والنظافة فى المكان اللاتى يجلسن فيه، كما تصبر على مظهرها وجمالها، هل سيحس من حولها بأى تقصير فى أداء واجباتهن؟

- إذا صبرت الأخوات على العلم هل ينتظرن إلا التفوق بإذن الله؟

- إذا صبرت الزوجة على زوجها، هل تنتظر غير الحب والتقدير والعرفان بالجميل من جانب زوجها؟، وإذا لم تنل ذلك هل تنتظر غير توبة الله عليها ودخول الجنة؟

- إذا صبرت الأخت على دعوة أخواتها إلى الله وطاعته فيما يأمرنا به، والابتعاد عما نهانا عنه، هل ننتظر إحجامًا منهن أو نفورًا؟! فلتتذكر بأن الله مع الصابرين، وأن الله يحب الصابرين.

لذلك نجد أن الأمثلة كثيرة فى مجال الصبر، وهو ما يعنى أننا نحتاجه فى كل لحظة وفى كل حال، ونتيجته لا تقع فقط على من يقوم به، وإنما على كل من حوله من إنسان وحيوان وجماد

(١) البخارى فى العتق (٢٥٥٨).

ونبات، فالخير فى الصبر للجميع، كما أن نتيجته تأثيرها طويل من حيث الزمن، وقوية من حيث التأثير، فربما تذكر إحدانا فى نفسها أنها لو لم تصبر فى الماضى على فلان لكان الحال غير الحال، ولو لم تصبر على الدراسة لما كانت الآن فى هذا المكان، ولو لم تصبر على بر الوالدين فى حياتهما، لخسرت بعد موتهما الكثير، ولو لم تصبر على زميلاتها وأخواتها فى الله لوقعت فى الإثم والمعصية، ولكان حالها غير الحال، ولو لم تصبر على الألم والمرض، لكان إحساسها به أعظم وأكبر.

الدعاء لله وتقبل التوبة:

الدعاء فى أماكن لا يذكر فيها الله كثيرًا، وفى أوقات الأزمات، وبأفضل الدعاء. قال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾[الأنبياء].

لقد ألهم الله تعالى سيدنا يونس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الدعاء فى مكان لم يذكر فيه الله، وهو بطن الحوت، وألهمه الله دعاء لو دعا به المؤمنون فى أوقات كربهم لاستجاب الله لهم، ودعا الله تعالى فى وقت الشدة والضيق، فلم يكن فى ظلمة واحدة، وإنما كان النبى فى ظلمات ثلاث؛ ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت. فما أصعب الوقت!، وما أصعب الظروف!، وما أصعب المكان!، ولكن كل هذه الصعوبات والظلمات تحولت - بفضل قوة اليقين والإيمان - إلى مرحلة سيأتى بعدها الفرج: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥﴾[الشَّرح].

فهذه مدرسة يونس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ تعلمنا أن ندعو الله ونتقرب إليه فى أماكن لا يذكر فيها الله كثيرًا، وما أكثرها فى هذا الزمان، فربما تكون وسيلة من وسائل المواصلات، وربما تكون مكانًا من أماكن اللهو والترفيه، وربما تكون فى الأسواق والمحلات التجارية، وربما تكون فى أماكن الدراسة التى لا يذكر فيها الله كثيرًا.

فعلى الأخت المسلمة المؤمنة أن تكثر الدعاء والاستغفار فى وقت غفلة الناس عن الذكر، فربما تذكر نفسها وتذكر غيرها، فتفوز بالاستجابة للدعاء، وتسعد فى دينها ودنياها.

ولنا فى الأنبياء أسوة حسنة، وعلاج للكرب فى الوقت العصيب، ولنتذكر حديث الرسول ﷺ، الذى يحكى لنا فيه قصة لثلاثة رجال وقعوا فى أزمة، ولم يخرجهم منها إلا الدعاء والتضرع لله والتقرب إليه بالعمل الصالح.

فعن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار. فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم. قال رجل منهم: اللّهم كان لى أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبقُ (لا أقدم فى الشرب) قبلهما أهلًا ولا مالًا، فنأى بى طلب الشجر يومًا، فلم أرُح (أرجع) عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غَبُوقَهُمَا، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلًا أو مالًا فلبثت - والقدح على يدى - أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر (ظهر ضوؤه) والصبية يتضاعون عند قدمى (يصيحون من الجوع)، فاستيقظا فشربا غَبُوقَهُمَا. اللّهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج منه. قال الآخر: اللّهم إنه كانت لى ابنةُ عم، كانت أحب الناس إلىّ. وفى رواية: كنت أحبها كأشد ما يُحب الرجال النساء، فأردتها على نفسها (طلبت منها ما يطلب الرجل من زوجته) فامتنعت منى، حتى ألمت بها سنة من السنين (أى نزلت بها سنة من السنين المجدبة) فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار، على أن تُخلِّى بينى وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها، قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه (أى لا تزل عفافى إلا بالزواج)، فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلىَّ، وتركت الذهب الذى أعطيتُها. اللّهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث: اللّهم إنى استأجرت أُجَرَاءَ وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد، ترك الذى له وذهب، فثَّمرتُ أجره حتى كثُرت منه الأموال، فجاءنى بعد حين، فقال: يا عبد الله، أدِّ إلىَّ أجرى، فقلت: كل ما ترى من أجرِكَ: من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبد الله، لا تستهزئ بى! فقلت: لا أستهزئ بكَ، فأخذه كله فاستاقه، فلم يترك منه شيئًا. اللّهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون**» [متفق عليه][1].

وفى هذا الحديث دروس وعبر للمؤمنين، فالدعاء عند الكرب يفرجه، والتوسل بالعمل الصالح يخفف الهم، وكذلك فضل بر الوالدين وخدمتهما، وفضل العفاف وأداء الأمانة والمحافظة على العهد والصدق، أما إخلاص العمل لله وحده، فهو أساس تقبل الله للعمل؛ فما كان لله بقى ودام، وما كان لغيره فهو أبتر.

---

(١) البخارى فى الإجارة (٢٢٧٢)، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٤٣/ ١٠٠).

الفصل الخامس

سنة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة

نظرة على قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ



قال تعالى فى سورة مريم: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١﴾ [مريم].

هو موسى بن عمران، جده يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، أراد الله أن يمن عليه وعلى بنى إسرائيل، ويجعلهم أئمة، ويمكن لهم فى الأرض، ويرى فرعون وهامان منهم ما كانوا يحذرون، وبعد رؤيا لفرعون مصر، بأن نارًا أقبلت من نحو بيت المقدس، وأحرقت دور مصر وجميع القبط إلا بنى إسرائيل .. سأل فرعون الكهنة عن هذه النار، فقالوا له: إنه غلام يولد من بنى إسرائيل، فأمر فرعون بقتل الغلمان وترك النساء. ولكن الله منّ على موسى، وأوحى إلى أمه أن تقذفه فى اليم، بعد أن وضعته فى صندوق؛ حتى يحميه من الغرق، وأوحى الله لها أنه سيرده إليها، وسيجعله من المرسلين، فاطمئن قلبها، وطلبت من أخته أن تراقبه، وأراد الله تعالى أن يلتقطه آل فرعون؛ ليكون لهم عدوًّا وحزنًا، وألقى الله عليه محبة منه وأرجعه إلى أمه؛ كى تقر عينها ولا تحزن.

وتربى فى بيت فرعون، ولبث فيهم من عمره سنين، وكان قرة عين لامرأة فرعون، ووضعه الله تبارك وتعالى على عينه، فتغذى بأطيب الطعام، ولبس أحسن الثياب، حتى شب قويًّا، ولم ير ما رأى بنو إسرائيل من العذاب والإهانة والإيذاء، وهكذا حفظه الله إلى أن بلغ أشده، فآتاه الله العليم الحكيم حكمًا وعلمًا، فهذه النشأة القوية العزيزة، أعطت له عزة ومكانة فى أهل مصر وبنى إسرائيل.

كما كانت سببًا لأحداث كثيرة جاءت على إثرها، ففى يوم دخل موسى المدينة فرأى رجلين يقتتلان، أحدهما قبطى والآخر من بنى إسرائيل، فتدخل موسى، بعد أن استغاثه الرجل الإسرائيلى، فوكز موسى القبطى فقتله، وهو ما يدل على مدى قوته، ولكنه لم يقصد

قتله، فأناب إلى الله، واعترف أنه ظلم نفسه، وأن ما فعله من عمل الشيطان، وهذا من الحكم والعلم الذى آتاه الله إياه، فأدرك أن الإسرائيلى غوى مضل، وعزم على عدم الرجوع إلى مثل هذا، وأنه لن يستخدم نعم الله عليه من القوة والعلم فيما يؤذى الناس أو يضرهم، ولن يكون نصيرًا للمجرمين، وصدق النية لله.

فعندما جاءه الإسرائيلى مرة ثانية لينصره على رجل آخر، أدرك ما فعله وما وعد الله به، فلم يقبل على مساعدته أو مناصرته، وأنعم الله عليه، بأن أرسل إليه رجلًا لم يكن من المدينة نفسها؛ ليحذره وينصحه بترك البلد؛ خوفًا عليه من انتقام الناس، فخرج موسى منها خائفًا مترقبًا ماذا سيحدث له اليوم أو غدًا أو بعد غد، ودعا الله أن ينجيه من القوم الظالمين. وتمتد قصة موسى فى الذنب والتوبة؛ ليرى بعدها ما لم يتوقع وما لم يره أو يسمعه أحد من البشر، إنها الرحلة التى أوصلته إلى تحمل مشاق الرسالة السماوية، وتحمل أعباء النبوة، تحمل فيها مشاق السفر، فلم يذكر أنه كان معه رفيق أو أنيس، وإنما يرجو هداية الله له إلى سواء السبيل.

فهداه الله إلى شيخ كبير، طلب منه العمل معه لمدة ثمانى سنوات، أو عشر إن استطاع، مقابل أن يزوجه إحدى ابنتيه؛ وذلك على صنيعه معهما، فقد سقى لهما لضعفهما، وضعف أبيهما، وكبر سنه.

وأعان الله موسى على قضاء السنوات العشر فى العمل، ثم سار بأهله ليرى النار التى هى نور من عند الله، فكلمه الله تكليمًا، وأعلمه أنه الله رب العالمين العزيز الحكيم، وأن يعبد الله ويقيم الصلاة، وأن يؤمن بيوم القيامة، ولا يصده عن ذلك من لا يؤمن بها، ومن يتبع هواه.

وأعطاه الله دليلًا لنبوته يعرضه على من سيتوجه إليه، وكان هذا الدليل فى شكل آيات ومعجزات لا يقدر عليها البشر، فقد كان يسلك يده فى جيبه، فإذا هى بيضاء للناظرين، ويلقى عصاه فإذا هى ثعبان، فإذا أخذها عادت إلى سيرتها الأولى، وأنزل على أهل فرعون آيات أخرى، منها الضفادع والقمل والدم والطوفان والجراد. إلا أنهم استكبروا وكانوا قومًا مجرمين، وقالوا: ﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [الأعراف]، واستمر الذنب يلاحق موسى حتى بعد نبوته وتكليمه لله رب العالمين؛ فقد كان اختبار الله له ولمقدرته على الجهاد الأكبر، وهو كلمة حق عند سلطان جائر؛ إنه فرعون الذى رأى منه بنو إسرائيل من لم تره أمة فى زمانهم، وكان لخوف موسى من ذنبه، أن طلب من الله رب

العالمين أن يرسل معه أخاه هارون، فقد كان أفصح من موسى فى كلامه، فأراد موسى أن يكون معه معينًا على أداء رسالته، فتقبل الله منه الدعاء، وأرسل معه أخاه هارون نبيًّا، فشد من أزره، وقوى من عزيمته، بعدما بشره الله تعالى بأنه ومن تبعه هم الغالبون.

فعندما ذهبا إلى فرعون وقالا: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الشعراء]، وطلبا منه أن يرسل معهما بنى إسرائيل، فذكره فرعون بفضله عليه، وأنه رباه فى بيت الفرعون، وتمتع بكل خيراته، ثم ذكره بذنبه الذى فعله، وهو قتل القطبى، ثم بكفره بفرعون وخروجه عن حكمه.

إلا أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ اعترف له بذنبه فيما يخص قتل القبطى، وأنه فعل ذلك وهو من الضالين، وكان ذلك سببًا لفراره منهم وخوفًا على نفسه، فوهب الله له حكمًا وعلمًا، وجعله من المرسلين، فخاف أن يتبعه أهل مصر، فأراد أن يثبت ملكه، ويعلى من شأن نفسه أمامهم، ويهزم موسى وهارون؛ ليكونا عبرة لكل من سمع بهما أو شاهدهما.

وأراد موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يكون هناك لقاء بينه وبين فرعون أمام الملأ فى يوم العيد؛ فهذا أدعى للنشر والتصديق، وليراه الصغير والكبير والأقباط وبنو إسرائيل، وهدد فرعون موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنه لو اتخذ إلهًا غيره ليكونن من المسجونين، فألهمه الله تعالى أن يستخدم الآيتين، وهما يده والثعبان، إلا أن فرعون اعتبر ذلك سحرًا، ورأى أن يقابل السحر بالسحر والكلام بالكلام؛ ظنًّا وجهلًا أنه على الحق، وأن ما عدا ذلك الباطل، وشتان بين كلام البشر وآيات الرحمن، وقد أراه الله الآيات كلها، إلا أنه كذب وعصى.

وعندما جاء اليوم المشهود نصح فرعون السحرة أن يجمعوا كيدهم ويأتوا بما يستطيعون من علم السحر لهزيمة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ووعدهم بأنهم سيكونون مقربين لفرعون إذا استطاعوا أن يهزموه ويكونون هم الأعلى فى السحر والمكر، فيمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين؛ فثبت الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنه لا يفلح كيدهم، وأنه هو الأعلى، وهو المنتصر.

وظهرت بوادره عندما ألقى موسى عصاه، فإذا هى ثعبان ضخم يلقف ويأكل كل ما صنعه السحرة، وسحروا به أعين الناس، وكانت آية مبصرة لكل من حضر اليوم، فآمن له السحرة قبل أن يأذن لهم فرعون؛ فقد كانت الآيات أكبر من فرعون وهامان وجنودهما، فدعوا ربهم عند العذاب الذى ألحقه بهم فرعون: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف]، وقالوا لفرعون: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس].

وخشى فرعون وملؤه أن يترك موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيؤمن به الكثيرون ويتركوه ويزول ملكه، فقرر فوعون أن يقتل أبناء المسلمين الذى آمنوا بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويقهرهم أجمعين ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ﴾ [الأعراف:١٢٨]، وقال لهم: ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [يونس].

وأنعم الله على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد أن قرر فرعون قتله ومن معه، برجل من آل فرعون يكتم إيمانه، أعطى النصيحة لفرعون، وجاهد أفضل الجهاد، فحاول بالعقل والمنطق، فقال لفرعون وملئه: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [غافر].

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [غافر].

وأرسل الله على فرعون وقومه الآيات والعذاب، فجاء الطوفان، والجراد والقمل والضفادع والدم، فطلبوا من موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يدعو الله لهم، فإن كشف عنهم العذاب فسيؤمنون به وسيرسلون معه بنى إسرائيل، فلما كشف الله عنهم الرجز والعذاب إذا هم ينكثون.

ودعا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على فرعون وملئه: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يونس]. فاستجاب الله لدعائه عندما تراءى الجمعان: جَمْعُ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ المسلمون وجَمْعُ فرعون الكافرون، فأوحى الله لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يضرب بعصاه البحر، فانفلق وغرق فرعون وأهله، ولم تنفعهم أموالهم ولا سلطانهم ولا جناتهم ولا مقامهم. قال تعالى: ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الشعراء].

غرقوا جميعًا ولم ينفعهم إيمانهم حين رأوا عذاب الله، فهذا وقت لا ينفع فيه التوبة ولا الإيمان، يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر].

أما فرعون فقد نجاه الله ببدنه؛ ليكون لمن خلفه آية، ولم يقبل الله له توبة. يقول الله تعالى فى سورة يونس: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس].

وقد عرف المسلمون هذا اليوم الذى كان يصومه اليهود، وهو يوم عاشوراء، فقال الرسول ﷺ لأصحابه: **«أنتم أحق بموسى منهم فصوموا»**[1].

وبعد نصر المسلمين وهم الجماعة التى آمنت بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والتى اختارها الله لتكون الجماعة المؤمنة، كان لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قصة أخرى معهم فى التوبة. فبعد أن جاوزوا البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم. فطلب قوم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ منه أن يجعل لهم إلهًا كما لهم آلهة، فقال لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأعراف].

وذكرهم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بنعم الله عليهم؛ فقد جعل منهم الأنبياء، وجعلهم ملوكًا، وطلب منهم أن يدخلوا الأرض المقدسة، ولكنهم خافوا ممن فيها من الملوك الجبارين، وأنهم لن يدخلوها إلا بخروجهم منها، ولكن فى كل قوم نجد فيهم أصحاب عقول ينيرون لغيرهم الطريق، فقال اثنان منهم: ﴿ٱدْخُلُوا عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة]، إلا أنهم رفضوا دخولها، فدعا عليهم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يفرق الله بينه وبين القوم الفاسقين، واستجاب الله لدعائه، فجعلها محرمة عليهم أربعين سنة، يتيهون فى الأرض.

وقصة أخرى لقوم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ توضح ظلمهم لأنفسهم، فقد أنعم الله عليهم بعد نجاتهم من الغرق بالطعام الطيب والشراب اللذيذ، والغمامة التى تقيهم حر الصحراء، إلا

---

(١) البخارى فى التفسير (٤٦٨٠).

أنهم طلبوا من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يدعو لهم ربه ليخرج لهم مما تنبت الأرض، وذلك كما كانوا يرون فى مصر، فهم يطلبون أن تزرع الصحراء التى لا ماء فيها كما تزرع أرض مصر، وأن يأكلوا منها كما كانوا يأكلون فى مصر، فقال لهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[البقرة:٦١].

فهذه نعم الله عليهم، وهذا الجحود أوقعهم فى الذنب وغضب الله عليهم.

ولموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قصة أخرى فى التوبة إلى الله، والتى فيها يطلب منه - عز وجل - أن يراه؛ فهو لم يكتفِ بكلامه. يقول الله تعالى فى سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾[الأعراف].

وقد طلب قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الطلب نفسه من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا أنهم وضعوا هذا الطلب شرطًا لإيمانهم، فعاقبهم الله بالصاعقة، ثم تاب عليهم، وبعثهم من بعد موتهم. يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾[البقرة] .

ولما رجع موسى من ميقات ربه، وبشره الله بأنه اصطفاه على الناس برسالاته وبكلامه، وكتب له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلًا، وأمره بأن يأخذها بقوة، ويأمر أهله بأن يأخذوا بأحسنها - وجد قومه قد اتخذوا من حليهم عجلًا جسدًا، وكانوا ظالمين لأنفسهم، فقال لهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ .

ولكنهم ندموا على ما فعلوا: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[الأعراف]، وهو اعتراف بالذنب، وطلب للمغفرة من ربهم، فقال لهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾[البقرة]. قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[الأعراف] .. فهذه توبة



أخرى لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يتوب فيها لنفسه ولبنى إسرائيل، الذين عبدوا العجل، وهم السفهاء، وهو إحساس منه بالمسئولية تجاههم، حتى وهو ليس معهم.

وقد توجه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى الله؛ طالبًا المغفرة له ولأخيه على ما فعله قومه عند غيابه عنهم، وعبادتهم للعجل الذى صنعه لهم السامرى، وهو فرد منهم، فأضلهم واتبعوه، وكادوا يقتلون هارون، فقال لهم: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ [طه].

قال له موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ [طه]، فقال له هارون: ﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [طه]، قال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف].

وكانت عاقبة من اتخذوا العجل غضبًا من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا، ولكن الله سبحانه وتعالى، الرحمن الرحيم، قبل توبة من تاب إليه، قال تعالى فى سورة الأعراف: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأعراف].

الآيات التى سننطلق منها لاتباع سنة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

قال تعالى فى سورة القصص: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص:١٦]؛ للإحساس والاعتراف بظلم النفس.

قال تعالى فى سورة القصص: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص]؛ لسرعة التوبة والإنابة إلى الله – عز وجل.

قال تعالى فى سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأعراف]؛ للإحساس بالمسئولية تجاه الآخرين.

قال تعالى فى سورة الأعراف: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف]؛ لحدود علم الناس بالله تعالى.



منهج التوبة

الإحساس والاعتراف بظلم النفس:

قال تعالى في سورة القصص: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص] .. أدرك موسى أنه وقع فى الذنب، فظلم نفسه، وطلب من ربه أن يغفر له ذنبه، فاستجاب الله دعاءه قبل نبوته ونزول التوراة. ولكن هذا ما بين المذنب وربه، أما ما بين الإنسان ومن ظلمه، فلا يقبل المظلوم أن يتعدى عليه شخص، ثم يلجأ إلى الله ليستغفر وتنتهى حقوقه وتنتهى مظلمته. ولذلك لم تنته هذه المشكلة واستمر الذنب يلاحق موسى سنوات بالخوف والترقب، وترك الأرض.

أما توبة الله على موسى، فقد قبلها، وقبل دعوته، وهداه إلى سواء السبيل، ووجد من يستأجره، ويؤمنه، ويعيش معه إلى أن بعثه الله بالنبوة، وحتى بعد النبوة، وقبول دعوته، ومؤازرة أخيه هارون له بعد أن أصبح معه نبيًّا، فلم ينته خوفه من الذنب واحتمال قتله، ولكن رغم ذلك اعترف لفرعون بهذا الذنب، وأنه فعل ذلك ضلالة منه، إلا أن الله وهب له الحكم، وجعله من المرسلين.

فهذه توبة موسى قبل النبوة، وقد اشتملت على عناصر التوبة، وهى الاعتراف، والإقلاع عن الذنب، وعدم الرجوع إليه بالعزم والإصرار، مع الندم والاستغفار والدعاء إلى الله، أما ما يتعلق بالعنصر الخاص بالمظلوم، فلم يتحقق وهو رد مظلمته. وهو ما جعل الإحساس بظلم النفس، والخوف من القصاص، يلاحقه، إلى أن طمأنه الله وأعلمه أنه معه، وثبته بالآيات التى سيواجه بها فرعون قومه.

يقول الله تعالى فى سورة الأحزاب: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب]، وقيل إن الأمانة هى الفرائض، وقيل: الطاعة، وقيل: الدين والفرائض والحدود، وقيل: إنها التكاليف بقبول الأوامر والنواهى بشروطها.

فظلم الإنسان وجهله من أسباب وقوعه فى الذنب؛ فهو لا يدرى عظم الدور الذى خلق من أجله، فهو خليفة الله فى أرضه، وهو موكل بحفظ هذه الأرض وإعمارها، وحفظ أماناتها، التى لم يستطع غيره من المخلوقات تحمل هذه الأمانة.

ولكن متى يكون الإنسان ظالمًا لنفسه؟ هل عندما يلحق بها الضرر، أم يلحق بغيرها، أم لا يلحق بنفسه أو بغيره، ولكنه لا يرى ولا يتحرك للظلم حوله؟ وقد أكرمنا الله تعالى بالقرآن الكريم، هدى ونورًا للمتقين، فلنأخذ من هذا النور آيات؛ لنضيء بها ظلمة الظلمات.

يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾[البقرة]، فقد ظلموا أنفسهم، ووقعوا فى أكبر الكبائر، وهو الشرك بالله، فكانت عاقبتهم قتل أنفسهم؛ ليتوب الله عليهم.

ويقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ [البقرة]. ويقول الله تعالى فى سورة النساء: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾[النساء].

فهذا الظلم للنفس قد ألحق بها ضررًا بالموت والقتل والحرمان للطيبات، كما أوقعهم فى أكبر الظلم، وهو الشرك بالله.

وقد يكون الإنسان ظالمًا لنفسه عندما يقع ظلمه على الناس، يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾[البقرة].

فإذا ظلم الزوج زوجته، أو ظلم الرجل مطلقته، فإنه بذلك يكون قد وقع فى ظلم النفس؛ وذلك لأنه حملها ذنوبًا لا تستطيع تحملها، وهى عدم تقوى الله.

إذن فظلم النفس قد يكون بأن يرتكب الإنسان ذنبًا فى حق نفسه، أو فى حق الناس، أو فى حق رب العالمين، وهى أعظمها ظلمًا للنفس. وعلى من وقع فى ظلم نفسه أن يحسن إليها بالأعمال الصالحة قبل أن يأتى يوم الحساب. يقول الله تعالى فى سورة النمل: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾[النمل]. ويقول فى سورة المائدة: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾[المائدة].

أما فى يوم الحساب فتجزى كل نفس بما عملت، يقول الله تعالى فى سورة غافر: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾[غافر].

ربما نستطيع بعد هذا التقسيم لظلم النفس أن نحدد مع أنفسنا، أين نحن من هذا الذنب، ويجب أن نعطى الظلم العظيم الأهمية التى يستحقها.

فعندما نزلت الآية فى سورة الأنعام: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام]، شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، أينا لم يظلم نفسه؟! قال: إنه ليس الذى تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[لقمان]، إنما هو الشرك(١).

فعندما نقول: لا إله إلا الله، فيجب أن نعنى ذلك حقًّا، وعندما نقول: الله أكبر فيجب أن يكون أكبر من كل شىء فى الوجود، وعندما نحمده ونشكره، فيجب أن يكون نابعًا من اعتقاد راسخ فى القلب، بأن الشكر لله وحده على نعمه التى لا تحصى ولا تعد، وأننا لا نحصى ثناءً عليه.لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير. هو الأول والآخر، وهو الظاهر والباطن، ولا حول ولا قوة إلا به.

وأعظم ثمرة يعطيها الله لمن يؤمن به ولا يشرك به شيئًا فى الحياة الدنيا هى الأمن: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾[الأنعام:٨٢]، فهم لا يخافون أحدًا إلا الله؛ فيعيش المؤمن هادئًا مطمئنًا فى جميع أحواله، كما تعجب من حاله الرسول ﷺ، فهو خير فى كل حال؛ إذا أصابه خير شكر فكان خيرًا له، وإذا أصابه شر صبر فكان خيرًا له .. فهذه هى الأمن والهداية، وهى تحمل معانى الأمن؛ من أمن نفسى وأمن روحى وأمن جسدى، فيا حبذا لو كانت حياتنا خالصة بالإيمان بالله الواحد الأحد، ننعم بالأمن فى الحياة الدنيا، ونفوز بجنة الرضوان فى الآخرة، اللّهم آمين.

وإذا اطمأنت الأخت إلى هذه الحالة من الإيمان، فعليها أن تبحث عما إذا كانت ظلمت نفسها فى حق الآخرين. وتستفيد من مدرسة موسى فى التوبة، فتندم على فعلتها، وتقلع عنها، وتعزم على عدم الرجوع إليها، وتتوجه إلى الله بالدعاء وطلب العفو والمغفرة، ثم لا تنسى أن ترد مظلمة من ظلمت نفسها فيهم، فإذا كان شيئًا ماديًّا ردته إليهم، وإذا كان أخلاقيًّا حسنت

---

(١) البخارى فى التفسير (٤٦٢٩).



أخلاقها واعتذرت، وأكثرت من فعل الخيرات، وخاصة إذا لم تستطع الرجوع لمن ظلمتهم؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات.

ثم تبحث الأخت عما إذا كانت قد ظلمت نفسها بإلحاق الضرر عليها أو على صحتها وجسدها، وربما يكون ذلك فى بعض الأحيان بالإسراف فى الطعام أو الإقلال منه، أو الاكتفاء بنوع معين، أو تعاطى أدوية مضرة، أو الكسل والركون اللذين يؤديان إلى السمنة والمرض، وقد يكون الضرر فى علمها؛ كأن تختار نوعًا من العلم يناسبها ولا تستفيد منه، فتضيع وقتها فيه ومالها وصحتها، ثم يذهب هباء كأن لم يكن، وقد يكون الضرر فى نفسها، بأن تترك لها هواها، فتشقى أو تتكاسل فى تزكيتها وإصلاحها ورياضتها، بحيث تقوم اعوجاجها وجموحها نحو الباطل أو الرذائل.

فلتبحث الأخت عن أى نوع من هذا الظلم للنفس قد وقع عليها، ولتدقق فى ذلك. ولتكن أمينة مع نفسها؛ حتى تستطيع أن تجد العلاج بالتوكل على الله، وإخلاص النية له فى التوبة النصوح، والتى لا ينتظر من بعدها إلا الغفران من لدن غفور رحيم.

سرعة التوبة والإنابة إلى الله - عز وجل:

قال تعالى فى سورة القصص: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص].

سرعة إدراك الخطأ من أهم عوامل تصحيحه، فإذا لم يدرك موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن هذا العمل من عمل الشيطان، واعتبر أن هذا دليل على قوته، لاستخدم هذه القوة بعد ذلك، وخاصة عندما تعرض للموقف نفسه فى اليوم التالى، ولأخذ صفة الكبر والظلم ممن نشأ فى بيتهم، وخاصة فرعون وأعوانه.

وإذا أخذنا من الآيات السابقة فى سورة القصص منهجًا للتفكير، قال الله تعالى فى سورة الأعراف: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف]، فربما فتحت لنا مواقف، ندرك فيها أهمية سرعة التوبة والرجوع إلى الله للاستغفار وطلب العفو والرحمة من لدن غفور رحيم.

- ألم تسمعى قول بعض الفتيات: إنها تؤجل الحجاب إلى بعد الزواج رغم اقتناعها به!

- ألم تؤجل بعض الزوجات مصالحة أم زوجها، وتركت ذلك للأيام؛ لعلها تصلح ما فى النفوس !

- ألم تترك بعض الأخوات الأمراض البسيطة فى قلبها، إلى أن رانت على قلبها، فلم تستطع علاجها !

- ألم يمت بعض المظلومين قبل أن يفيق ظالموهم ويعطوا لهم حقهم!

- ألم تسافر بعض الأخوات، ولا تستطيع الرجوع لترد مظالم ألحقتها بغيرها!

- ألا ننسى كثيرًا مما نقول ونعمل!

- ألم يدرك الموت بعضنا وهو فى غفلة عن هذا!

- ألم نخطأ فى تقديرنا للأمور وعواقبها!

- ألم تلهنا الدنيا - بما فيها - عن ذكر الله، فاتبع البعض أهواءه؛ أملًا فى الفوز بها!

- ألم يستحوذ الشيطان على بعضنا، وأنساهم ذكر الله، والرجوع إليه!

- ألم تؤجل بعض الطالبات بر والدتها والإحسان إليها إلى ما بعد الامتحانات!

- ألم تؤجل بعض الأخوات الصلاة عن موعدها، إلى أن حانت موعد الأخرى!

فهذه بعض من كل، أو قليل من كثير، وما علينا إلا التفكر والتفكير؛ للفور بمقام المقربين لله رب العالمين: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران].

ألم تسألى نفسك؟ لماذا السرعة فى هذا الأمر، طالما أن الله غفور رحيم، ربما تجيب عليك السطور القليلة القادمة عن هذا السؤال، وربما تجدين فى نفسك إجابات أخرى، وربما يجيبك آخرون، ولكن الجواب الفصل فى هذا الأمر، هو السرعة وعدم التسويف فى التوبة إلى الله.

هل العمر يعلمه أحد من الخلق؟ بالطبع لا، فلكل أجل كتاب يعلمه خالق الخلق الواحد الأحد، هل الفتاة التى تؤجل طاعة ربها بارتدائها للحجاب، تعلم أن العمر سيمتد لها إلى ما بعد الزواج؟ فربما تموت وهى نائمة، أو وهى فى الشارع تمشى مطمئنة على الرصيف، عندما تأتى مركبة فتصدمها،وهى تفكر كيف تستثمر جمالها وشبابها؛ لكى تجذب الرجال، فتحظى

بفرد منهم يتزوجها، فيسعدها فى الحياة الدنيا، والتى انتهت فى لحظة التفكير. فلا يصح لها أن ترجع إلى الدنيا فتعمل عملًا صالحًا؛ فقد انتهت حياتها عند هذا الحد، فكشفت عورتها فى الدنيا، فهل تنتظر أن يسترها الله يوم القيامة؟! إنها أنهت حياتها بالمعصية، فجاءها الموت فجأة، وكان عاقبتها الخسران المبين.

وكذلك الحال لمن تركت فريضة من فرائض الله، سواء أكانت صلاة أو صدقة، فهل تضمن أن يمتد عمرها إلى وقت الصلاة القادمة؟!

- وهل تضمن أن يمتد عمرها لتصالح من خاصمتهم وترد مظلمته؟!، وهل تضمن أن يمتد عمر من ظلمتهم لترد لهم مظلمتهم؟!، فربما توفى من وقع عليه الظلم، فلا تستطيع حينئذ أن تعتذر أو تطلب الصفح والمصالحة معه؛ فتندم على هذا، وتنظر يوم الحساب لكى يأخذ من حسناتها، وإذا فنيت يطرح عليها من سيئاته. ألا نخشى هذا اليوم؟!

هل يمكن أن تبقى الصغيرة صغيرة؟ أعنى صغائر الذنوب .. هناك قاعدة تقول: إنه لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار.

فتراكم الصغائر يمرض القلب والنفس. يقول الله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطفِّفين].

فالقلب يران عليه من كثرة المعاصى، ويصدأ ولا يستطيع أحد أن يجلى هذا الصدأ إلا بكثرة الاستغفار، وذكر الله هو الوسيلة لجلاء هذا الصدأ، أما إذا رضيت الفتاة بهذا القلب المطموس بالمعصية، فعليها أن تنتظر اليوم الذى تحجب فيه عن ربها، ثم دخول النار - والعياذ بالله!. إذن فلتنظرى إلى الصغائر مهما صغرت وتجليها أولًا بأول. وربما تجد الفتيات مثالًا قريبًا لهن فى ذلك وهو «جهاز البوتوجاز» أو موقد الغاز، إذا قامت بتنظيفه أولًا بأول من كل وسخ ولو صغيرًا، فسيسهل عليها تنظيفه، وإذا تركت الأوساخ تتراكم فلا جدوى بعد ذلك، وحتى إذا استطاعت تنظيفه بقدر الإمكان، فسوف يترك أثرًا وبقعًا للاتساخ. وكذلك الحال فى الملابس التى تترك بها بقعة صغيرة إلى العام المقبل، فستجدين صعوبة، وربما تستعصى إزالة هذه البقعة.

وفى المقابل ما أجمل الفتاة التى تحاسب نفسها، وتستغفر ربها، وتسرع فى الاستغفار!، فربما كان هذا الذنب نظرة حق على أختها، أو عدم وفاء بالوعد واللقاء فى ميعاد محدد، أو تأخير قضاء الحاجة لوالدتها إلى أن تنجز عملها الخاص، أو إسراف فى الحديث فى التلفون، أو لغو

فى الحديث بما لا يفيد، أو عدم استثمار الوقت فيما يرضى الله، أو عدم إكمال العمل، أو تأخيره، أو عدم إتقانه، أو الامتناع عن زيارة مريض، أو عدم التبسم فى وجه أختها، أو عدم إلقاء السلام عليها، أو عدم مشاركتها فى عملها فى وقت فراغها، أو عدم الاهتمام بمظهرها ونظافتها وطهارتها، أو عدم اختيار محاسن الألفاظ والكلمات، أو إسرافها فى أمرها بكثرة الشراء لمتطلباتها، وعدم الاكتفاء بما يقضى لها حاجتها، أو عدم تبليغ رسالة وكلت بتبليغها، أو الإثقال على والديها بالمطالب التى لا قبل لهما بها، أو إحداث ضوضاء فى مكان يستحب فيه الهدوء، أو وقت يستحب فيه الراحة، أو عدم تنظيم حياتها وشئونها، أو عدم تعلمها ما ينفعها فى دينها ودنياها، بأن تتعلم أشياء تافهة، أو تتعمد الكذب على أخواتها؛ من أجل مصلحتها الخاصة.

فهذه أخطاء أو ذنوب ربما لا نلقى لها بالًا، وربما لا نحس بها؛ من كثرة تكرارها حولنا، وربما لا يستغفر لها البعض، ولا يحاسبون أنفسهم عليها، ولكن إذا حاسبت الأخت نفسها على هذه الذنوب أولًا بأول، فستقى نفسها من الوقوع فى الكبائر، مثل الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقول الزور. وإذا حاسبت الأخت نفسها عليها فستنقى قلبها، وتطهر وتزكى نفسها من اتباع الهوى، واستحواذ الشيطان عليها، ونسيان ذكر الله. وإذا حاسبت الأخت نفسها عليها، فستكون قدوة لغيرها من المقربات إليها، وتحذو حذوها الكثيرات من المؤمنات.

فالحرص على الغير وأدب المعاملة والاعتذار عند الخطأ، كلها أخلاق يمكن أن تقتدى بها الكثير من الأخوات.

❋ لتسأل الأخوات أنفسهن: هل يدوم الحال فى معظم الأحوال؟

يقال: إن دوام الحال من المحال، فلا أحد يعيش حياته فى مرحلة واحدة، ولا أحد تدوم له صحته وعافيته إلى الكهولة، فكل يوم هو فى شأن غير سابقه.

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: **«بادروا بالأعمال سبعًا، هل تنتظرون إلا فقرًا مُنسيًا، أو غنى مُطغيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا مفندًا، أو موتًا مجهزًا أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر!»** [رواه الترمذى، وحديثه حسن][1].

---

(١) سبق تخريجه، ص٧١.



فكل هذه الأحداث والأحوال قد تمر على أحدنا، فتغير مساره وحياته، فلا يستطيع أن يقدم عملًا كان سهلًا عليه بالأمس وميسرًا، ولكن يصبح فى وضع النسيان، أو الطغيان، أو الفساد؛ الضعف العقلى أو الموت الفجأة، ومثل هذه الأحوال لا يستطيع أحد أن يضمنها لنفسه، وهو ما يؤكد على سرعة القيام بالأعمال الصالحة، والتوبة إلى الله؛ فما هو سهل اليوم قد يكون صعبًا عسيرًا غدًا.

فإذا كان لديك اليوم مال، هل تفكرين فى رد أمانات الناس عندك، أم تفضلين أن تشترى لوازم لك أو حاجيات، ربما لا تكون أساسية أو ضرورية، وتؤجلين دفع أموال اقترضتيها.

وإذا كنت تتمتعين بصحة جيدة ووقت فراغ، هل تستخدمين هذه الصحة وهذا الوقت فى معاونة الآخرين، أم تدخرينها لغدٍ؛ لتؤدى عملًا خاصًّا بك؟

وإذا كان لديك علم نافع لغيرك، هل ستقومين بتعليمه لهن؟ أم ستفضلين التعلم دون التعليم، وتؤجلين ذلك لوقت آخر؟

وإذا كان لديك ملابس متراكمة فى دولابك منذ سنوات، فهل ستتصدقين ببعضها أو كلها هذا العام؟ أم ستضعين عليها ما زاد عن حاجتك هذا العام، وتؤجلين ذلك؛ فلربما تحتاجينه فى أعوام مقبلة؟

وإذا رزقك الله بحلوى كثيرة من زائرات لك وأخوات يجاملنك، فزادت عن حاجتك واستهلاكك، هل ستضعينها فى الثلاجة لشهور مقبلة؟ أو هل ستبحثين عمن تعطينه بعضها وتتركين ما يكفيك والقليل؟

هذه أمثلة من كثير، ولكن إجاباتك ستكون منبهًا لتفكيرك، ومقيمًا لدرجة إيمانك بالله، ودرجة طلب العفو والمغفرة الصادقة، وعلى أية حال يجب أن نعطى قبل ألا نستطيع، وأن نعمل قبل أن نعجز عن العمل، وأن نتوب قبل أن نموت فنبعث على ما متنا عليه.

ولأهمية الوقت ومحدودتيه دور فى ضرورة سرعة التوبة، ولتسأل الأخت نفسها: ماذا إذا ضيعت وقتها فى الأخطاء والذنوب؟ هل ستبقى لها أوقات للطاعة والاستغفار؟ أم سيضيع الوقت فى حل المشكلات، ورد المظالم، وطلب العفو من الناس، وعقد الجلسات للتصالح، وإما أن تنتهى بالوفاق، ويكون هذا من فضل الله، وأما أن تنتهى كما بدأت، وأما أن تنتهى بأكبر مما بدأت، وتزداد وتتعقد الأمور - والعياذ بالله؟

فأين إذن الوقت لطاعة الله وعمل الصالحات؟ ألا نوفر وقتنا لما هو أطيب وأفضل عند الله؟ وهو ذكر الله والطيب من القول، وإشغال القلب والنفس والجوارح بطاعة الله فى السر والعلن وفى كل لحظة، فسنستفيد ونفيد، ونعلى من الدرجات، ونُعلى معنا غيرنا. أهذا أفضل أم الأمراض والعلاج؟! فالمرض ألم وعذاب، والعلاج إما يشفى بعد تذوق المر والدواء، وإما يزيد الداء داء.

ولتأخذ الأخوات مثالًا لذلك، فى ورقة الامتحان فى لجنة المدرسة أو الجامعة، فهذه الورقة محدودة بعدد معين من الصفحات، والوقت للحل محدود بعدد معين من الساعات، فعليها أن تجيب عن الأسئلة المحددة فى ورقة الامتحان.

فإذا بدأت الإجابة بعدد من الأخطاء، ثم انتقلت إلى السؤال الثانى، ووقعت فى عدد آخر من الأخطاء، ودخلت على إجابة السؤال الثالث فأخطأت فى حل بعض الأمثلة، ثم بدأت تراجع الإجابات، هل تستطيع أن تصحح الإجابات التى أخطأت فى حلها كلها قبل أن ينتهى الوقت؟ وماذا ستكون شكل ورقة الإجابة بعد هذا التصحيح؟ وإذا أخطأت مرة ثانية هل تستطيع تدارك هذا الخطأ؟

إن الأمر بالغ الصعوبة، وخاصة إذا كانت الأخطاء كثيرة، وحتى لو كانت صغيرة، فكثرتها ستجعل من العمل شيئًا غير مرض على الإطلا، ولكن هذا المثال لا ينطبق على جميع الحالات، فالخطأ والنسيان من صفات البشر؛ ولذلك فهو شىء متوقع، ولكن كثرة الخطأ هو محل الكلام. وكذلك المراجعة ضرورية لتصحيح الأخطاء، ولكن إذا زادت لا يسعف الوقت أى إنسان. فهكذا الحياة.

فلنسرع بالتوبة من قبل أن يأتى أحدنا الموت، فيقول: ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون].

ولنسرع بالتوبة قبل أن تكبر صغائرنا من الذنوب.

ولنسرع بالتوبة قبل تغير الحال والأحوال.

ولنسرع بالتوبة قبل فوات الأوان: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون].

اللَّهم إنا نستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب آتيناه فى ضياء النهار وسواد الليل، فى ملأ أو خلاء، وسر وعلانية يا حليم.

الإحساس بالمسئولية تجاه الآخرين:

قال تعالى فى سورة الأعراف: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾[الأعراف].

تقص علينا هذه الآيات موقفًا لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأخيه هارون مع قومهما، وكيف طلب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من ربه المغفرة، وأحس بالمسئولية تجاه خطأ القوم فى غيابه. فقد غاب عنهم لميقات ربه تعالى، وتعجل فى تركهم على أمل منه أنهم سيسيرون على نهجه، وأنه ترك لهم أخاه هارون، فلم يتركهم بدون مرشد، ولم يضع فى اعتباره، ولم يفكر فيما يمكن أن يحدث منهم تجاه عبادتهم لله الواحد الأحد، رغم أنهم كانوا قد طلبوا منه هذا الأمر قبل ذلك، وقد أخبره الله بأنهم قد ضلوا، واتبعوا السامرى، وهو رجل منهم، صنع لهم عجلًا من ذهب المصريين، الذى أخذه اليهود منهم، فاتبعوه وعبدوه، وأحس بعضهم أنهم قد ضلوا، فطلبوا المغفرة والرحمة من الله – عز وجل – إلا أن البعض الآخر استمر فى ضلاله، وكادوا أن يقتلوا هارون، واستضعفوه، فتوجه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بطلب المغفرة له ولأخيه، وأن يدخلهما الله فى رحمته.

أما السامرى فقد كان لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ موقفًا وحديثًا معه، يقول الله تبارك وتعالى فى سورة طه: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾[طه].

فقد دعا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على السامرى ألا يمس أحدًا؛ معاقبة له على مسه ما لم يكن له مسه، وهو أثر فرس جبريل، الذى أخذ منه قبضة، واستخدمها فى صناعة العجل، وتوعده فى الآخرة بأن له موعدًا لن يخلفه.

أما الذين أطاعوه ولم يتوبوا، فإن الله لم يقبل منهم توبتهم إلا بعد أن يقتلوا أنفسهم.

يقول الله تعالى فى سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾[الأعراف].

ربما تكون فى هذه الآيات إشارات لدروس عريضة ومتنوعة، لا يجوز أن نتركها، منها: أهمية الالتزام بالوقت، وأن التعجل فى أمور العبادة يمكن أن يأتى بنتائج لا تحمد عقباها: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾[طه].

وأن هناك فتنًا يمكن أن يتعرض لها المؤمنون، والذين على الهدى، وهو ما يجعل المؤمن دائمًا فى رجاء لرضاء ربه عليه، وفى خوف لعدم التوفيق فى أى من الأمور. فقد يكون المؤمن قد وقع فى ضلالة سابقًا، ولم يتطهر منها كما يجب، وبقيت منها جزء فى قلبه، يمكن أن تنبت إذا وجدت الظروف لذلك، ففى البداية كان الطلب: ﴿يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾[الأعراف:١٣٨]، وفى النهاية كانت: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [الأعراف:١٤٨].

إنه لا يضركم من ضل إذا اهتديتم. فبعض المؤمنين أدركوا أنهم على ضلالة ولم يكملوها، وتوجهوا لله بالتوبة والاستغفار: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأعراف]، وبعضهم رفضوا التوبة: ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾[طه].

﴿ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾[الأعراف:١٤٨].

وقبل الله توبة من استغفر فى وقت الضلالة، أما الذين أصرور على حالهم، فنالهم غضب من ربهم، وذلة فى الحياة الدنيا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾[الأعراف].

إذن فهذه ثلاثة أمور: (أهمية الالتزام بالوقت، حسن التطهر، حسن الرجوع إلى الله والتوبة إليه).

كان يجب أن نذكرها قبل الدخول فى منهج موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى تحمل المسئولية. لعلنا نتسائل: لماذا توجه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بطلب العفو والمغفرة والرحمة له ولأخيه على إثر عبادة قومه للعجل؟ هل قصر موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع قومه؟ هل قصر أخوه هارون فى مهمته ورسالته؟ ألم يكن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى مهمة أكبر، وهى تلقى الرسالة من ربه؟ وهل يمكن أن يقوم بهذا العمل غيره؟

لقد أحس موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قبل لقاء قومه ورؤيتهم، بأنه قد أخطأ عندما سأله الله تعالى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣﴾[طه]، فهذه عجلة وتسرع، وليس فى حق نفسه، ولكن فى حق قومه. فلم يكن الإيمان قد رسخ فى قلوبهم جميعًا، وقد بقيت آثار للجاهلية والضلالة فى قلوبهم، وهو ما ظهر عند طلبهم منه أن يجعل لهم آية صنمًا كما لغيرهم، مما شاهدوهم، وقد ظن موسى أن ما بلغهم به كان يكفى لتمام إيمانهم وعدم ضلالتهم، وأن أخاه هارون سيكمل دوره حين غيابه، ولكنهم لم يرضوا به أن يقوم مقام موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأصروا على حالهم حتى رجوع موسى.

وغضب موسى لله، وليس لنفسه، وذهب لكى يصلح ما أفسده السامرى، والقوم الذين اتبعوه، ويبلغ رسالة ربه إليهم، ويعلمهم كيف يتوبون ويتوب الله عليهم.

أما أخوه هارون، فقد أمرهم باتباعه وطاعته، وخشى أن يتركهم ويذهب لموسى لإبلاغه، وأعلمهم أن هذه فتنة حلت عليهم، ويجب أن يتوبوا منها. ولكن كل هذا لم يشفع له، وحمل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ المسئولية الكاملة لهذا العمل على نفسه وأخيه، فتوجه إلى الله بالاستغفار له ولأخيه، وأحرق العجل وقذفه فى البحر، وثبت عقيدة قومه، بأن الله واحد لا شريك له، وأمر قومه الذين اتخذوا العجل، أن يتوبوا بقتل أنفسهم؛ حتى يتوب الله عليهم، ثم بعد ذلك أخذ الألواح: ﴿وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ١٥٤﴾[الأعراف]، فلم يبدأ بإبلاغ الرسالة الجديدة إلا بعد أن عالج ما أفسده الضالون، وتاب إلى الله.

- أين نحن من هذا الإحساس بالمسئولية تجاه أخطاء الآخرين؟ نحن لم نصل بعد إلى الإحساس بالمسئولية تجاه أخطائنا، فكثير منا لا يعترف أنه أخطأ فى حق الله أو الناس أو نفسه، وهو ما يعرقل ويؤخر، وربما يمنع التوجه إلى الله بالاستغفار. فهؤلاء اللاتى لم يعترفن

بأخطائهن، لا يمكن أن يتخطين هذه الدرجة إلى ما تليها، فيحسن بالمسئولية تجاه الآخرين؛ ولذلك فلا نحس بالمسئولية تجاه الآخرين إلا عندما نحس بالمسئولية أمام الله تجاه أعمالنا وأنفسنا.

ولهذه الدرجة عناصر مهمة يجب الاهتمام بها، وهى:

١ - الإخلاص لله فى جميع الأعمال والأوقات والحالات.

٢ -الصبر.

٣ - مراقبة الله.

٤ - تقوى الله.

٥ - التوكل على الله.

٦ - حب الله.

١- الإخلاص لله وتحمل المسئولية:

المسئولية الأولى عليك هى الإخلاص لله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البيِّنة].

وعن أبى هريرة - عبد الرحمن بن صخر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»** [رواه مسلم][(١)]، فعند إدراك الأخت المسلمة لهذه الآية وهذا الحديث، فإن تحملها المسئولية فيما تقوم به من أعمال يجب أن يزيد بزيادة إيمانها بالله وآياته وبرسوله وسنته ﷺ.

فتجعل جميع أعمالها عبادة لله سبحانه وتعالى، وتنظر إلى هذه الأعمال: هل يرضى الله عنها أم لا؟ هل هى خالصة له أم لنفسها أم أشركت فيه غيره - سبحانه وتعالى؟

فربما تقوم بأداء فريضة كالصلاة وهى ترائى الناس، وترغب فى رضاهم عنها، أو أن يقولوا: إنها مؤمنة، فهنا لم تخلص العبادة لله، وربما تكون أختًا مخلصة حتى فى أعمالها الدنيوية وليست فى أداء الفروض، مثل إتقانها فى العمل وإكمالها إياه؛ عملًا بسنة رسول الله ﷺ، أن من عمل عملًا فليتقنه، فتكون هنا على درجة من الإخلاص لله سبحانه وتعالى، وترجو تقبل الله لهذا العمل.

(١) مسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٦٤/ ٣٣).

٢ - الصبر وتحمل المسئولية:

﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣﴾[طه].

إن معظم الأعمال تحتاج إلى صبر لكى تتم على أكمل وجه، حتى ما تقوم به الأخت من صلاة فى وقت قد يحتاج إلى خمس دقائق فقط، فلكى تتم صلاتها يجب أن تتحلى بالصبر فى أدائها، وعدم التعجل أو التسرع لقضاء أعمال أخرى، وهو ما يخرجها أثناء صلاتها من الصلاة وهى فيها.

فكلما فكرت الأخت فى مسئوليتها تجاه الله فيما تقوم به من فروض وأعمال، وجدت أنها لابد أن تتحلى بنعمة الصبر، وإن لم تكن فيها: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾[آل عمران:٢٠٠]، فهو أمر من الله - سبحانه وتعالى - وهو أفضل معين فى تحمل المسئولية، وخاصة عند الشدائد، وعند الغضب، وعند القيام بالأعمال التى تحتاج إلى وقت لإنجازها، وعند القيام بالأعمال التى تحتاج إلى دوامها. فلكى تصلى إلى درجة التعود على العمل، لابد أن يسبقها درجة الصبر عليه.

٢ - مراقبة الله وتحمل المسئولية:

إذا وجدت أختًا لك فى موقع عمل لا تتقن واجبها، هل تتوقعين أنها تراقب الله فى هذا العمل؟ بالطبع لا؛ فهى أولًا تراقب هواها وراحتها الجسدية أو العقلية، ولا تلقى بالًا برضاء الله عليها أو غضبه، فالمدرس داخل الفصل لا يراه المدير أو المفتش عليه، فإذا قام بأداء واجبه كما يحب الله ويرضى، فقد راقب الله فى عمله، وإذا لم يقم بذلك فليس عنده خوف من الله، ولا مراقبة له.

يقول الله تعالى فى سورة الحديد: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾[الحديد:٤]. ويقول الله تعالى فى سورة غافر: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾[غافر].

والإسلام يدرب المؤمن - منذ صغره - على هذه الصفة؛ لتحمل المسئولية فى صغره قبل بلوغه ووضعه فى مكان المسئولية، يقول الرسول ﷺ: **«يا غلام، إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»** [رواه الترمذى][1].

---

(١) الترمذى فى صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح.

فهل انتظر الرسول ﷺ إلى أن يكبر الغلام ويصل لسن التكليف لكى يعلمه هذا الكلمات؟، أم كان عليه أن يعلمه إياها فى صغره؟! فهذه المراقبة تكون حصنًا من الوقوع فى الذنب أو الخطأ صغيرًا أو كبيرًا، وهى ما يستدعى ربطها بالتوبة إلى الله - عز وجل.

٤ - تقوى الله وتحمل المسئولية:

يقول الله تعالى فى سورة التغابن: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن:١٦]، فعند تحملك المسئولية تحتاجين إلى ضرورة تقوى الله - سبحانه وتعالى - على قدر الاستطاعة، بما يعين على أداء العمل وإكماله، فإذا وقعت فى مشكلة - وهذا أمر عادى وطبيعى - فإن تقوى الله والخوف منه هما المخرج: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢﴾[الطلاق]، وإذا ضل الطريق وصعب، فإن تقوى الله هى الفرقان، وإذا أخطأتِ ووقعتِ فى الذنب والإثم، فإن تقوى الله والخوف منه - أينما كنت - هو المكفر عن هذه السيئات والذنوب، يقول الله تعالى فى سورة الأنفال: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفال].

٥- التوكل على الله وتحمل المسئولية:

«بسم الله توكلت على الله، اللّهم إنى أعوذ بك أن أضل أو أُضل أو أذِل أو أُذل، أو أظِلم أو أُظلم، أو أجهل، أو يُجهل علىّ»[(١)].

كان يقولها ﷺ عند الخروج من البيت.

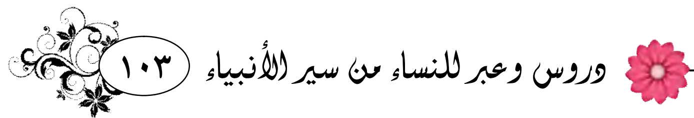
وهل كان يخرج الرسول ﷺ من بيته إلا ليحمل مسئولية تبليغ رسالة ربه إلى الناس كافة. وهل هناك مسئولية أعظم من هذه المسئولية التى وكل الله بها أنبياءه والمرسلين لتبليغ رسالته للناس؟!

فأنت تحتاجين إلى التوكل على الله فى جميع ما وكل لك من أعمال، وهذا التوكل يجعلك تتمين العمل كما يحب ويرضى الله - سبحانه وتعالى - فهو أداء للعمل على أكمل وجه، وتوكل واستعانة بالخالق القادر على كل شىء.

وإذا كان من يتوكل على الله فى الدنيا فهو حسبه وكافيه، فإن فى الآخرة هم ممن يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. هل تحبين أن تكونى ضمن هؤلاء؟

---

(١) الترمذى فى الدعوات (٣٤٢٧)، وقال: «حسن صحيح».



٦ - حب الله سبحانه وتعالى وتحمل المسئولية:

يقول الله تعالى فى سورة المائدة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[المائدة].

فمن لم يتحمل مسئولية الدين وتركه وارتد عنه، فلا ينتظر أن يحبه الله، ولا يكون محبًّا له على الإطلاق، وقد وضح الله لنا فى الآيات صفات هؤلاء الذين يحبون الله ويحبهم الله تعالى؛ فهم أذلة على المؤمنين وأعزة على الكافرين، وهم الذين يجاهدون فى سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، من رئيس أو صاحب عمل.

وحب الله واتباع رسوله ﷺ هما الطريق للغفران من الذنوب، يقول الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾.

إذن فمن تريد أن تنجح فى مدرسة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة، يجب عليها أن تتعلم وتتقن كيف تتحمل المسئولية تجاه الآخرين، سواء أكانوا أهلها أو أخواتها أو زميلاتها فى العمل أو أقاربها وجيرانها، وأن تتذكر حديث الرسول ﷺ: **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»**[(١)]، فكل أخت تعتبر مسئولة عمن حولها، ومن وكلت بتحمل مسئوليتهم بالخصوص، ولا يجب أن ترمى المسئولية على من حولها فى جميع الأعمال، بل يجب أن ترى نفسها فى موقع المسئولية، وربما تكون هذه المسئولية هى تحمل الأمانة التى أبت السموات والأرض والجبال أن تحملها، وحملها الإنسان.

وربما تقول الأخت: كيف تكون مسئولة عن أعمال غيرها؟ ألا يكفى أن تتحمل هى مسئولية عملها فقط؟ فلتنظر الأخت إلى أخطاء الغير وذنوبهم، وتتساءل: هل هذه الأخطاء التى جرت من حولها وقعت على أصحابها فقط؟ أم عليهم ومن حولهم؟

ستجد أن كثيرًا من الأخطاء تشمل مرتكبيها، وأناسًا آخرين لم يكن لهم يد فى الخطأ أو الذنب.

إذن، فهل تحمل نتائج العمل القائم به فقط أم تحمله غيره معه؟ فكما أن الإجابة هنا أن النتائج لم تقع على مرتكب الخطأ فقط، فكذلك المسئولية لا تقع على عاتق فرد فقط. ونحن لا

---

(١) البخارى فى العتق (٢٥٥٨).

يجب أن ننظر إلى المسئولية من الجانب الذى يدعو للتنصل منها وتحميلها على عاتق الآخرين، ولكن المسلم ينظر للمسئولية ويحملها على نفسه أولًا، فهل تستطيعين أن تتحكمى فيمن حولك أو تسيطرى عليهم بدرجة تؤثر على أعمالهم كما ترغبين؟ أم الأسهل – والذى تحت يديك – هو نفسك؟ الأخت قادرة على التحكم فى نفسها وتوجيهها كيف شاءت، وقادرة على رياضة هذه النفس وتزكيتها ؛ ولذلك فهذا هو الطريق الذى يجب أن تتبعه الأخوات تجاه أعمال غيرهن، وهو ما يعطى المؤمنة درجة تحمل المسئولية، والتى لا تستطيع أن تتحملها غير المؤمنات الصالحات، وهذه المسئولية ستجعل من الأخت نورًا يهتدى به غيرها فى ظلمات الطريق، وسيجعلها دائمًا على أهبة الاستعداد؛ للمساعدة المادية والمعنوية، ولا تألو جهدًا فى تقديم الخدمات لغيرها، وهى أكثر حساسية وشعورًا بأحوال من حولها، فتستطيع أن تدرك الخطأ قبل الوقوع فيه، فتنتبه له، وتدعو إلى تجنبه، وتوضح السبل للنجاة وتصحيح الطريق، وهى لا تغضب لنفسها، بل تغضب لله، وهو ما يدعوها إلى الصبر على أخطاء الآخرين.

والأخت التى تتحمل المسئولية تجاه الآخرين، تحظى بحب وثقة من حولها؛ فهى طوق النجاة لهن، ولا يراد منها غير الخير لهم ولغيرهم.

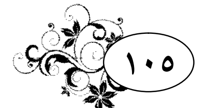
وهى تتمتع بدرجة عالية من الإيثار، يجعلها تقضى أوقاتًا طويلة فى خدمة غيرها، وحل مشكلاتهم، والوقوف بجانبهم وقت الأزمات.

والأخت القادرة على تحمل مسئولية غيرها، أوسع إدراكًا وخبرة؛ لكثرة تعاملها مع القضايا والمشكلات التى تعرض عليها، والتى تراها هى بنفسها وتحاول حلها. وهى قائدة فى أى موقع وضعت فيه، وهو ما يعنى أن لديها علمًا بأكثر الأمور حولها، وعلمًا بكيفية التعامل مع المواقف المختلفة بجدية.

كل هذه الصفات يصعب على المتكاسلات – واللاتى أبين أن يحملن الأمانة – أن يتحملنها؛ فهن يتميزن بعكس هذه الصفات، مثل حب النفس والغضب لها، واتباع الهوى، وحب الدنيا وحب العزلة وتفضيلها، وتحميل الغير مسئولية أعمالها. فكيف تكون مثل هذه الصفات فى أخت مسلمة آمنت بالله، وكان الله ورسوله أحب إليها مما سواهما؟!

ولذلك علينا مراجعة أنفسنا؛ لنرى من هم الذين يجب أن نتحمل مسئوليتهم، وكيف. وسأضع بين يديك هذه السطور؛ لترى أهمية تحمل المسئولية تجاه الآخرين.

– أخت داومت وحافظت على صلواتها، ولم تأمر أخواتها فى المنزل أو أهلها بالصلاة



ونسيت الآية الكريمة: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه:١٣٢]، ولم تحس بالمسئولية تجاه من حولها، فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأداء الفرائض. فهل رضيت بأضعف الإيمان، وهو مواجهة المنكر بالقلب دون اليد أو اللسان؟ أم ستضع نفسها بعد ذلك فى موضع المسئولية تجاه الكبير والصغير فى بيتها.

وكذلك الحال للأخوات الملتزمات فى المدرسة أو الجامعة، هل أغلقن على أنفسهن العلم، وتركن غيرهن فى مستنقع الجهل والرذائل؟ أم سيأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر ويتحملن مسئولية جهل غيرهن على أعناقهن ويتألمن لذلك؟

- أم أعطت الثقة الكاملة لبناتها فى الإقامة بمفردهن فى بلد بعيدة واطمأنت لذلك، ولم يخطر لها على بال أنهن سيقعن فى الرذيلة؟ هل تحمل نفسها مسئولية ذلك؟ أم تحملها على والدهن؟ أم على البنات؟

فكيف تكون أمًّا وراعية فى بيت زوجها، ولا تتحمل مسئولية بناتها أمام ربها؟

- إن تحمل المسئولية تجاه الغير لا يعنى فرض السلطة عليهم، وتعجيزهم عن العمل، وتحمل مسئولية أنفسهم. كما لا يعنى إلقاء العبء والمسئولية الكاملة على أى الأطراف، فالفهم الخاطئ لتحمل المسئولية، يسبب الطغيان والأنانية وحب النفس والتسلط على الآخرين ومضايقتهم، وكثيرًا ما تقع الأخوات الأكبر سنًّا فى هذا الوضع، فلا يحصدن غير الكره والعناد.

فهذه أخت اعتبرت نفسها مسئولة عن بعض الأخوات، فأخذت فى تجميع معلومات عنهن بقدر ما استطاعت، ثم بدأت تنحرف عن طريق المسئولية الحقيقية، إلى طريق التسلط وفرض الرأى وإجبار غيرها على تنفيذه، فهى لا ترى الحق إلا معها، ولا ترى الباطل إلا من غيرها؛ ولذلك فقد أساءت لنفسها ولدورها فى موقع المسئولية، وكانت قدوة سيئة لغيرها.

إن تحمل المسئولية تجاه الغير لا يعنى استغلالهن لمصلحة القائم عليهن؛ فالبعض يستغلون موقعهن المسئول، فيعكفن على جمع ما تستطيع جمعه من هدايا وأشياء مادية، أو ترغب فى الحصول على التقدير والاحترام الأكثر من اللازم، وإلا أساءت لغيرها. فهل هذه تحملت مسئولية غيرها؟ أم تحملت وزرهن جميعًا، وباءت بغضب من الله عليها؟!

- إن تحمل المسئولية تجاه الغير، يتطلب من الأخت التصحيح والتعديل، والتطوير يعنى تصحيح الأخطاء، وتعديل المسار، وتطوير الأعمال؛ لذلك فهو من أكثر الأساليب الإيجابية

فى التعامل مع الغير وتحمل مسئوليتهم، فهو لا يحافظ على الوضع على ما هو عليه؛ فهناك دائمًا الأفضل، ولا يحمل غيره ما لا يستطيع، ويعين الغير فيما لا يستطيع ولا يقدر عليه.

حدود علم الناس بالله تعالى:

قال تعالى فى سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف].

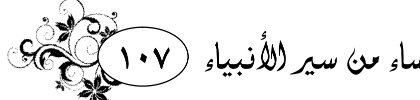
أدرك موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه أخطأ فى حق نفسه عندما طلب من ربه أن ينظر إليه، فلا يعنى اصطفاء الله له على الناس أن يكتسب صفات خارج نطاق البشر، والتى حددها له الله تعالى، فإذا كان الله قد مكنه من سماع كلامه، والحديث معه، فإن ذلك لا يعنى إمكانية عينه المحدودة - بصفات الرؤية البشرية والتى لم يهبها الله أكثر من ذلك - أن ترى الله سبحانه وتعالى.

وقد طلب قوم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يروا الله جهرة، ووضعوا هذا الطلب شرطًا لإيمانهم برسالة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وكانت عاقبتهم أن أخذتهم الصاعقة وهم لا ينظرون. طلبوا أن يكون لديهم صفات خارقة، وأن يتميزوا عن الخلق برؤية الله كشرط للإيمان به، رغم أن هؤلاء كانوا من خيرة بنى إسرائيل.

يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة].

وربما تسألين أيتها الأخت المؤمنة: هل الإيمان بالله يقتضى معرفة الله كما يعرف الإنسان المخلوقات حوله؟ ليس الخالق كالمخلوق؛ فالخالق يعرف كل شىء عن مخلوقه، ولا يعرف المخلوق عن خالقه إلا ما سمح ووهب له خالقه من صفات تمكنه من ذلك، فالإيمان بالله وحده لا شريك له، يقتضى الإيمان بأنه رب كل شىء ومليكه وخالقه، وأنه هو المستحق وحده للعبادة وطاعته فيما يأمر، والابتعاد عما نهى عنه، وأنه الكامل فى صفاته وأسمائه.

وهذه الصفات هى الثابتة فى الكتاب والسنة، والتى تنزه الله سبحانه وتعالى أن يكون له شريك أو مثيل. يقول الله تعالى فى سورة الشورى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]،



فالإيمان واجب على كل مسلم، بأن الله تعالى له الصفات التى وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله، ولا يتجاوز القرآن والحديث النبوى.

ولكن السؤال عن ماهية هذه الصفات وكيفيتها، لا يصح للمؤمن؛ ولذلك فقد قال الكثير من السلف الصالح عن كيفية استواء الله عز وجل: إن الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

والصفات التى ورد ذكرها فى الكتاب والسنة نوعان: صفات ذات وصفات فعل.

فأما الصفات الذاتية: فهى التى لا تنفك عن الله سبحانه وتعالى؛ كالنفس والعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والكلام والوجه والقدم والملك والعظمة والكبرياء والعلو والغنى والرحمة. وضابط هذا النوع من الصفات الملازمة لذات الله – عز وجل – أنها قائمة فى الله سبحانه لا ينفك عنها.

أما صفات الفعل: فهى ما تعلق بمشيئة الله وقدرته؛ كالاستواء والنزول والمجىء والعجب والضحك والرضا والحب والكره والسخط والفرح والغضب والمكر والكيد والمقت.

والواجب فى هذه الصفات بنوعيها إثباتها لله – عز وجل – على حسب المعنى الذى يليق بكمال الله تعالى، وهو المعنى الحقيقى لها، الذى ليس فيه تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف.

أما أسماء الله – عز وجل – فهى أعلام عليه، أخبرنا بها الله فى كتابه، والرسول ﷺ فى سنته. وكل اسم من هذه الأسماء يدل على صفة أو صفات لله سبحانه، وكل اسم منها مشتق من مصدره، كالعليم والقدير والسميع والبصير، ونحوها فالعليم مشتق من العلم، وهو يدل على صفة العلم للبارى.

والاسم الجامع لمعانى الأسماء كلها، والصفات كلها هو (الله).

أما عدد أسماء الله – جل وعلا – يقول الرسول ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا؛ مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة، إنه وتر يحب الوتر» [أخرجه البخارى والترمذى][(١)].

وهناك أسماء لم يخبرنا بها الله تعالى، واستأثر بها فى علم الغيب عنده .. روى عن الرسول

(١) البخارى فى الشروط (٢٧٣٦)، والترمذى فى الدعوات (٣٥٠٦).

ﷺ أنه قال: «**ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن، فقال: اللّهم إنى عبدك وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتى بيدك، ماضٍ فىّ حكمك، عدل فىّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى، وذهاب همى وغمى، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحا**»، فقيل: يا رسول الله، ألا نتعلمها؟ فقال: «**بلى. ينبغى لمن سمعها أن يتعلمها**»(١).

ومعنى إحصاء أسماء الله هو معرفتها وحفظها وفهمها، والإيمان بها وحسن المراعاة لها، والمحافظة على حدودها فى معاملة الله بها، ودعاء الله - عز وجل - بها(٢).

وقد جمع السلف الصالح أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين من القرآن، ويمكن للأخوات الصالحات أن يقمن بحفظها، وتدبر معناها، ومعرفة حظهن من هذه الأسماء على مقتضى العبودية لله تعالى.

فمثلًا حظ الأخت المسلمة من اسم الله الرحمن على مقتضى العبودية، هو أن تكون رحيمة بكل مخلوقات الله تعالى، حتى ما تقوم بذبحه، ولتقتدى بالرسول ﷺ، بأن تحد الشفرة، وتريح الذبيحة من الطيور أو الحيوانات التى يأكلها الإنسان، ولتتذكر أن لكل ذى كبد رحمة، وأن من لا يرحم لا يُرحم، وأن نرحم من فى الأرض؛ ليرحمنا الرحمن الرحيم.

ويمكن أن تتذكر الأخت أسماء الله الحسنى فى كل حياتها وظروفها، وتسأل نفسها: أين حظها منها على مقتضى عبودية الله - عز وجل؟ هل رحمت من يستحق الرحمة؟ هل عفت عمن ظلمها وطلبت العفومن ربها؟ هل أقسطت وعدلت فيما تحت يدها؟ هل نفعت غيرها من المؤمنات والمسلمات؟ هل حفظت نفسها ومالها وما تعوله وما هو تحت مسئوليتها؟ هل شكرت الله سبحانه وتعالى على كل ما أعطاها من نعم لا تحصى ولا تعد كما يحب الله ويرضى؟ فلنتذكر معًا هذه الأسماء:

هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن - الرحيم - الملك - القدوس - السلام - المؤمن المهيمن - العزيز - الجبار - المتكبر - الخالق - البارئ - المصور - الغفار - القهار - الوهاب - الرزاق - الفتاح - العليم - القابض - الباسط - الخافض - الرافع - المعز -

---

(١) أحمد (١/٣٩١)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٣٧١٢): «إسناده صحيح».

(٢) محمد نعيم ياسين: الإيمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ص (٢٢.١٥).



المذل - السميع - البصير - الحكم - العدل - اللطيف - الخبير - الحليم - العظيم - الغفور - الشكور - العلى - الكبير - الحفيظ - المقيت - الحسيب - الجليل - الكريم - الرقيب - المجيب - الواسع - الحكيم - الودود - المجيد - الباعث - الشهيد - الحق - الوكيل - القوى - المتين - الولى - الحميد - المحصى - المبدئ - المعيد - المحيى - المميت - الحى - القيوم - الواجد - الماجد - الواحد - الأحد - الفرد - الصمد - القادر - المقتدر - المقدم - المؤخر - الأول - الآخر - الظاهر - الباطن - الوالى - المتعالى - البر - التواب - المنتقم - العفو - الرءوف - مالك الملك - ذو الجلال والإكرام - المقسط - الجامع - الغنى - المغنى - المعطى - المانع - الضار - النافع - النور - الهادى - البديع - الباقى - الوارث - الرشيد - الصبور.

وقد أجمع أهل السنة والجماعة قاطبة - متقدمهم ومتأخرهم - على إثبات الصفات التى وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسول الله ﷺ على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل، كما قال تعالى فى سورة الشورى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى].

***

الفصل السادس

سنة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فى التوبة

نظرة على قصة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ

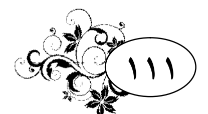


داود من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، أنعم الله بكثير من النعم عليه - فضلًا منه ورضوانًا - فكان يسبح، فتسبح معه الجبال والطير، وهذا من تسخير الله المخلوقات للبشر، وأعطاه الله القوة، وعلمه صناعة يتكسب منها، وأعطاه قدرة على ذلك، فكان يصنع الدروع من الحديد، وكان يأكل من عمل يده.

وكانت صلاته أحب الصلاة إلى الله تعالى، وصيامه أحب الصيام إلى الله تعالى، فقد أخبرنا الرسول محمد ﷺ، أنه كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه. وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا. وآتاه الله الزبور، وهو الكتاب الذى أنزله عليه، وعلمه من آياته وحكمه، فكان عنده الحكم النافذ، والفصل فى الأمور، وحسن الحكم بين الناس، وآتاه الله الملك، فجمع له الله - عز وجل - بين الملك والنبوة، وخيرى الدنيا والآخرة.

وأخبرنا الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة].

فانتصار داود على جالوت قوة وقدرة وفضل، أعطاه الله له، وهو ما جعل له مكانة وفضلًا فى قومه، فأصبح ملكًا عليهم وحكمًا عادلًا، ولكن الله تعالى الذى يصطفى رسله من بين البشر ويصنعهم على عينه، وهذا الملك والحكم وفصل الخطاب، لم يمنع النبى من الخروج عن طبيعته البشرية والإنسانية، من تسرع ووقوع فى خلاف الأَوْلى، فكان الاختبار لكبير الحكام والقضاة، فلا محل للاغترار وفرط الثقة والتسرع على أى حال من الأحوال، وأى درجة من العلم والحكمة.



فأرسل الله - عز وجل - ملكين يختصمان، فدخلا عليه وقت عبادته فى المحراب، ودخلا من السور؛ مما أدخل الخوف فى قلب النبى، وطلبا منه أن يحكم بينهما بالعدل، فأشار أحدهما إلى أخيه، واتهمه بأنه يملك تسعًا وتسعين نعجة، وأنه لا يملك إلا واحدة، فأراد أخوه أن يأخذها منه. وقبل أن يسمع داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الآخر، وقبل أن يتأكد فأسرع بالحكم على من لم يتكلم أو يعرض مظلمته، فحكم عليه بالظلم لأخيه، ولكنه بنعمة من ربه أدرك أنه فتن، وأن ذلك يُعد اختبارًا من ربه، فاستغفر ربه وخر راكعًا، راجعًا إلى ربه، طالبًا عفوه ومغفرته، فغفر الله له ذلك.

فكان قدوة لكل ولاة الأمور والحكام والقضاة، بأن يحكموا بين الناس بالعدل والحق، ولا يتبعوا أهواءهم؛ حتى لا يلقوا العذاب الشديد يوم الحساب.

الآية التى سننطلق منها لاتباع سنة داود فى التوبة:

قال تعالى فى سورة ص: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[ص:٢٦]. لدراسة اتباع الهوى ومعرفة أسباب ارتكاب الذنوب.

***

منهج التوبة



اتباع الهوى من أسباب الوقوع فى الذنب:

قال تعالى فى سورة ص: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص].

الهوى: هو ميل النفس إلى الشيء، خيرًا كان أو شرًّا، أو هو ميل النفس إلى الشهوة.

أنعم الله تعالى على سيدنا داود بكثير من النعم التى لم ينعم بها على أحد قبله ولا بعده من الناس، ولا من الأنبياء والمرسلين، فقد فضل الله تعالى الأنبياء بعضهم على بعضهم؛ فمنهم من كلم الله تكليمًا مثل موسى، ومنهم آتاه الكتاب والحكم والنبوة، وقد آتى داود الزبور، وهو الكتاب المقدس الذى أنزله الله عليه، فعلمه فيه كيف يدعو الناس إلى الحق، وكيف يقوم برسالته كما يحب الله ويرضى، فأمره الله - عز وجل - بأن يحكم بين الناس بالعدل وعلمه كيف يكون ذلك، وما هى الفتن التى يقع فيها صاحب هذه الرسالة، فوقع تحت اختبار وتدريب؛ لعله يتذكر النعم والآيات.

ويبين الله له كيف يحذر اتباع الهوى، وما هو نتيجة ذلك وخطورته على هذه الرسالة والوظيفة، فهما لا يجتمعان ولا يصحان معًا الحكم بالحق واتباع الهوى.

أحب داود عبادة الله، وجعل له وقتًا من اليوم ليتعبد فيه ويترك وظيفة الحكم بين الناس، فأغلق عليه المحراب ليصفو فى عبادته، فإذا بالخصمين يأتيان فى وقت غير مناسب، ولكنه لم يعطِ للوظيفة حقها من الوقت والجهد والتمحيص، فوقع فى الفتنة، فلجأ إلى ربه مسرعًا، طالبًا للمغفرة والعفو. تذكر داود الآيات والنعم، فكان شرط الحكم بين الناس، هو الحق وعدم اتباع الهوى.

ويعلمنا قرآن ربنا نعمة منه وفضلًا على المسلمين، كيف يدخل هذا المرض إلى قلب الإنسان، وأين يوجد، فبصرنا به؛ لنتوقاه ونحذره، فلا نقع فيه، ولا ننحاز إليه.

فهذه مدارس الأنبياء وسيرتهم، وهذه آيات الله فى القرآن الكريم، تقرن بين الهوى، وتشرح صفات أو حالات يكون عليها الإنسان، فتكون علامة لاتباع الهوى، وهى:

١ - عدم العدل واتباع الهوى:

يقول الله تعالى فى سورة النساء: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟﴾ [النساء:١٣٥]، فإذا كانت مدرسة داود فى التوبة تعلم المسلمة شروط الحكم بين الناس، وهو العدل أو عدم الظلم، وعدم اتباع الهوى، فإن هذه الشروط واجبة أيضًا فى ظروف الحياة العادية، وليس خاصة بوظيفة معينة، وإن اختلفت أهميتها وخطورتها من وظيفة إلى أخرى، ومن حال إلى حال.

فإذا كان هناك نهى صريح بعدم اتباع الهوى، فهناك أمر صريح بالعدل بين الناس.

فربما تقول بعض الفتيات: إن هذه النصيحة والآيات لينتفع بها الرجال والحكام والقضاة، أما نحن فلا نقع فى مثل هذه الظروف، ولا نحتاج لمثل هذه الدروس. ولكن الواقع أن طبيعة الحياة والعلاقات الاجتماعية بين الناس، وطبيعة الإناث من حيث حب الحديث، والثرثرة وكثرة الكلام فيما يفيد وفيما لا يفيد، ودخول وسائل اتصال حديثة؛ من تلفون جوال وإنترنت - جعلت هذه الظروف وغيرها الحكم بين الناس فى كثير من الأمر، أمرًا سهلًا بين الناس سريعًا، ودون إحساس أو تأنيب لضمير.

فكم من الفتيات اللاتى يتحدثن فى التليفون عن أخوات لهن أو زميلات أو جيران أو أمهاتهن أو آبائهن أو غير ذلك، فتأخذ فى سرد القصة التى هى طرف فيها، والآخر غير حاضر وغير سامع.

ما الذى نتوقعه من السامع أو السامعة؟ هل السكوت؟! ما أكثر ما تبدأ السامعة فى إعطاء الحكم السريع على الغائب بالظلم والخطأ فى حق متحدثتها. فيطول الحديث، ويبدأ فى الدعاء على الظالم، وترتيب كيفية التعامل معه، وكيفية عقابه جزاء فعلته.

أليس حديث الزوجات مع أمهاتهن بقريب، ألم تقع العديد من الزوجات فى حياة تعسة مع زوجها جراء هذه الأحكام والمتبعة بالنصائح الهادمة !

ألم تفقد الأخوات علاقتهن الطيبة مع أخواتها فى الله؛ نتيجة أحكام مثل هذه !

ألم تفسد العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة عندما يتسرع رب البيت بإعطاء الحكم السريع بين الأولاد، بمجرد سماع شكوى واحدة منهم! فتأتى الأم بالضرب والشتم والحكم

على أحد أولادها دون السماع منه، أو إحكام العدل بين أولادها؛ فتسوء العلاقة بين الأولاد، وتسوء صورة الذات للمظلوم المحكوم عليه، وربما تتطور الأمور إلى أسوأ؛ فيزداد الظالم ظلمًا، أو ينقلب المظلوم إلى ظالم؛ للدفاع عن النفس.

المقصود أن الخسارة واقعة على الجميع؛ الظالم والمظلوم والحاكم بينهما، وهى خسارة طويلة الأجل فى الدنيا والآخرة.

ولنتذكر حديث الرسول محمد ﷺ: **«إن القضاة ثلاثة؛ قاضٍ فى الجنة، وقاضيان فى النار، قاضٍ عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة، وقاضٍ عرف الحق فجار متعمدًا فهو فى النار، وقاضٍ قضى بغير علم فهو فى النار»**. قالوا: فما ذنب الذى يجهل؟ قال: **«ذنبه ألا يكون قاضيًا حتى يعلم»** [رواه أبو دود][(١)].

وضع لنا هذا الحديث أهم شرط من شروط الحكم، وهو العلم، وتعطى لنا مدرسة داود فى التوبة باقى الشروط، وهى:

- اختيار الوقت المناسب للحكم فى الأمور، فلا يتم فى وقت الشغل بقضاء واجبات مهمة أو عاجلة.

- أن يعطى الوقت المناسب للحكم فى الأمور، فلا يتم على عجلة من الأمر ويحذر التسرع.

- أن يستمع من المدعى والمدعى عليه أو من الطرفين؛ إما أن يكونا حاضرين معًا أو ينتظر لحضور الطرف الغائب.

- ليست هناك قوالب جامدة ثابتة للحكم بين الناس؛ لاختلاف الظروف والأعراف والأحوال، وإلا أصبحت المهمة ميكانيكية آلية يمكن أن يقوم بها الحاسب الآلى.

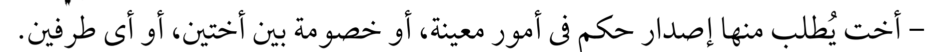
- استشعار معية الله والخوف منه، وهى وقاية من الحكم الجائر أو اتباع الهوى، للحاكم والمدعى والمدعى عليه؛ فقد يكون أحدهم ألحن بحجته من الآخر، فيحكم بذلك الحاكم ظلمًا.

فلتنتبه الأخوات لهذه الشروط والضوابط ولتتذكرها جيدًا، وهى فى هذه المواقف:

- أخت تطلب من أخت لها النصيحة، وإصدار قرار بشأن صديقتها أو أمها أو زوجها أو جارتها، أو أى طرف تتعامل معه.

---

(١) أبو داود فى الأقضية (٣٥٧٣)، والترمذى فى الأحكام (١٣٢٢)، وابن ماجه فى الأحكام (٢٣١٥)، وصححه الشيخ الألبانى.



- أخت يُطلب منها إصدار حكم فى أمور معينة، أو خصومة بين أختين، أو أى طرفين.

- أخت دائمة الشكوى والإحساس بالظلم الواقع عليها، ولا تنظر إلى المشكلات على أنها مسببة لها، ولكن هى الضحية.

- أخت تحب أن ترضى صديقتها وتجاريها فى الحديث؛ لقضاء الوقت، أو لإظهار قدرتها على العلم والحكم فى الأمور.

ولكن إذا كانت مثل هذه الأمور كثيرة، وأصبحت عادة لدى الكثيرات فى البيت، فى الجامعة، فى المدرسة، فى أماكن اللهو، فى أماكن العبادة صباحًا ومساء، فهل تبدأ الأخت بنفسها؟ أم الحل عند غيرها؟ أم تلجأ إلى ربها؟

إن مثل هذا الذنب لا يتعلق بعلاقة العبد بربه فقط، ولكنه متعدد الأطراف، والظلم وقع على النفس والغير؛ لذلك فالطريق متعدد الاتجاهات، والعمل متشعب الأدوار.

فالبداية مع النفس، بالإقلاع عن هذا العمل، ومجاهدتها فى كل الأحوال، بعدم الخوص فى هذه المعصية، سواء بالحكم على الناس أو بالشكوى منهم، ثم الندم وتأنيب النفس على هذا العمل، والعزم على عدم الرجوع إليه، وكثرة الاستغفار، وطلب العفو من الله سبحانه وتعالى، سرًّا وعلنًا، وأثناء الوجود فى مثل هذه الظروف، أما ما بين الأخت وما وقع عليه الظلم، فلا يكفى ما سبق، ولكن لابد من رد مظلمته بحسب ما وقع عليه من الظلم والاستقامة فى ذلك بالله والدعاء وحسن النية والإخلاص والتوبة النصوح والتزود فى العبادات بالقراءة للقرآن الكريم والصلاة والصدقة والصيام، والله المستعان.

٢- عدم الاستقامة واتباع الهوى:

يقول الله تعالى فى سورة الشورى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾ [الشورى:١٥] .. الاستقامة على طاعة الله والامتثال لأوامره، هى الواقية من الوقوع فى اتباع الهوى، وهى تلى الإيمان بالله، ولها ثمارها فى الدنيا والآخرة، يقول الله تبارك وتعالى فى سورة هود: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ [هود:١١٢]، وفى سورة فصلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فُصِّلَت].

وفى سورة الأحقاف: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[الأحقاف]، وعندما سأل رجل رسول الله محمدا ﷺ عن قول فى الإسلام لا يسأل عنه أحدًا غيره، قال ﷺ: **«قل: آمنت بالله ثم استقم»** [رواه مسلم][1].

فهذه الآيات والحديث ترسم صورة الاستقامة المطلوبة من المسلم، فهى لا تأتى من فراغ، ولكنها إيمان وعمل، وهو ما يعطيها قوة مجاهدة النفس والمناعة النفسية لعدم اتباع الهوى، فإذا خرج المسلم عن دائرة الإيمان والعمل به، لا يجد نفسه إلا فى دائرة اتباع الهوى.

إذن، فعلاج الهجمة الشرسة لمتع الدنيا التى أصبحت تحيط بالفرد فى كل مكان وكل وقت، وما يصاحبها من وسوسة الشيطان ونزغه، وكثرة الكماليات التى لا تغنى ولا تسمن من جوع، وإغواء أصحاب الهوى لغيرهم لاتباع سبيلهم، الطريق الوحيد لتقوية مناعة المسلم هنا هو الاستقامة، ولزوم طاعة الله تعالى، والبحث فى كتابه وسنة رسوله عما أمرنا به، وما نهينا عنه لتستقيم أمور حياتنا؛ لنفوز بالأمن فى الدنيا، والسلامة والجنة فى الآخرة بإذن الله.

إذن فواجبات الأخت المسلمة هنا تدور حول هذه الأمور:

- إصلاح وتصليح حالها لإعادة استقامة طريقها مع الله، وهنا البدء بالنفس وإصلاح حالها مع الله.

- البعد - بقدر الإمان - عن أماكن الهوى، وما أكثرها الآن، وهى تتسع لتشمل أماكن اللهو ودور السينما والمسارح والنوادى الفاضحة، والمسماة الدسكو، أو نوادى الرقص والعُرى، كما تشمل الأماكن بعض المواقع الفاضحة على الإنترنت، والتى لا يرضى عنها الله، والتى تثير غرائز الإنسان الحيوانية، بعرضها للصور الثابتة والمتحركة والصوت والرسوم والألوان، وكلها عناصر جذب ومؤثرة، لمن أراد أن يدخلها، ويحرق بنارها فى الدنيا والآخرة، وتشمل الأماكن محطات التلفزيون التى تحمل مضمونًا وصورًا ولقطات غير لائقة للمسلمة أن تشاهدها، وهى كثيرة الآن مع انتشار المحطات الفضائية، وهمها وشغلها هو الهوى، لا تكتفى بالمضمون المستتر، ولكنه واضح شكلًا ومضمونًا وعنوانًا، فتسمى البرامج (بالهوى هوانا)، وتسمى المحطات (على الهوا سوا).

---

(١) مسلم فى الإيمان (٣٨/٦٢).



- البعد - بقدر الإمكان - عن البنات الهوائيات اللاتى يتبعن أهواءهن؛ فهن من العوائق الأساسية للاستقامة، فتخرج الأخت من استقامتها، وتنسيها بر أبويها، وطاعة الله ورسوله أمام فتن الدنيا؛ من ملابس، ومنتزهات، وأحاديث لغو، ودعوات على موائد طعام عامة، فإذا بالمناعة النفسية للأخت تقل رويدًا رويدًا، إلى أن تخرج من دائرة الاستقامة دون أن تحس، فإذا رجعت كان صعبًا عليها؛ لما تجده من مرارة العلاج والدواء.

ولا تعنى هذه النقطة العزلة والبعد عن المجتمع، إذا كان معظمه من هذه النوبة الهوائية، ولكنه يعنى عدم المصاحبة، أو اتباع طريقهن، أو الانحراف عن الطريق المستقيم التى ارتضته لنفسها الأخت المسلمة بعد أن آمنت بالله، ورسمت لنفسها طريق الاستقامة، وأصبح هواها هو العدو الأول لها.

- تنظيم الوقت بدقة، والالتزام بهذا التنظيم فى ملء اليوم بالأعمال الصالحة، وأن يكون كل يوم تطويرًا وزيادة لما قبله، وإعدادًا لما بعده، فلا يصبح للأخت وقت تقضيه فيما نهى الله عنه.

- الاهتمام بعنصر التوازن فى حياة الأخت؛ حتى لا تدع هواها يتحكم فى أمورها، فتقبل على ما تحب وتهوى، وتحجم عما لا تحب وتهوى، فيحدث التوتر والقصور، ومثال على ذلك: الطالبة التى تذاكر ما تحب وتترك ما لا تحب، فتأتى النتيجة انعكاسًا لهذا السلوك.

والأخت فى المنزل تحب التنظيم، ولا تحب المطبخ أو الطبخ، وهى مسئولة عن الاثنين، فتقضى يومها كله فى التنظيم وتترك الطبخ، فيأتى إخوتها أو أولادها فلا يجدوا ما يأكلون وتحدث المشكلة، والفتاة تحب أن تجلس مع إحدى صديقاتها فى الجلسة الجماعية أو اللقاء الجماعى، وتترك باقى صديقاتها، فإذا بها تفقد حبهن واحترامهن لها، وتدخل فى دائرة من الظن وسوء الحديث، ويجرها ذلك إلى ما لا يحمد عقباه.

٢ - تزيين العمل للنفس واتباع الهوى:

يقول الله تعالى فى سورة محمد: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾ [محمد].

يقارن الله بين نوعين من البشر: أحدهما:كان على يقين وعلم وبينة، واستقام على ذلك، والثانى: زين له سوء عمله، وذلك سواء من الناس أو من نفسه أو من الشيطان، فإذا كان صاحب مركز أو ملك، زين الناس حوله له أعماله، ولو كانت سيئة، وإذا كان صاحب سوء،

زين لصاحبه سوء عمله، وأقنعه أنه على حق وعلم ومعرفه، وما سواهما على الباطل والجهل، وينبئنا الله - عز وجل - بالأخسرين أعمالًا فى سورة الكهف: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف]، فسوء تقدير الأمور واضح لمن اتبع هواه وعاقبته فى الدنيا والآخرة؛ فربما يكون هناك نوع من المنفعة الظاهرة المؤقتة - كمنصب أو صيت - يحصل عليه الفرد، أو زيادة فى المال، أو حصوله على مسكن أو مركبة هنيئة، أو غير ذلك من المتاع الزائل، إلا أن السعادة فى الدنيا والآخرة لا تحسب بالظاهر فقط، فكم من غنى بائس فقير النفس والأخلاق، وكم من حاكم محكوم عليه بالخوف والرعب، لا يستطيع حتى السير بمفرده؛ جزاء بما صنع وظلم الناس وأخذ حقوقهم، فلا يستطيع أن يرى الناس إلا فى الحجرات المغلقة، وكم من الزوجات زين لها سوء عملها، فظلمت أولادها وزوجها، فجلبت التعاسة والشقاء على نفسها وبيتها، وكم من الفيتات حسبت أنها تحسن صنعًا، فخسرت أعمالها.

ويعلمنا القرآن الكريم أن هذا العمل لابد أن يصاحبه اتباع الهوى، وهو ما يعنى توالى الخسائر والأخطاء، والبعد عن اتباع الطريق المستقيم.

فإذا وجدت الأخت فى نفسها شيئًا من هذا، فلتبدأ سريعًا بالتصحيح، وربما تنفع النقاط التالية:

- لا تقوم الأخت بتقدير الأمور من منظورها الشخصى؛ فقدرتها العقلية محدودة، وثقافتها قليلة، وخبرتها فى الحياة بسيطة.

- توسع دائرة علاقتها مع الصحبة الطيبة، وهى لها أماكنها الطاهرة الطيبة، ولها منشأها الصالح وعلاقتها المتزنة، والتى لا يشوبها الرذائل أو النقص والتقصير، فلا تستشير من هى أقل منها علمًا أو خبرة أو التزامًا بالدين، ولا تستشير من هى فى صراعات دائمة مع أهلها أو أقرانها، فمثل هذه الشخصية غالبًا ما تكون مشغولة ومهمومة بحياتها البائسة، وتنظر إلى الحياة بمنظار أسود، فترى كل شيء سيئًا، وكل الناس يكذب ويسرق ولا تأمن أحدًا.

- أن تقتنع أن الخطأ والنسيان من صفات البشر، فلا يعيب أن تخطئ ما دامت تصحح خطأها فور معرفتها، فتتداركه وتصحح مسارها.

- أن تقلل دائمًا من قيمة ما تقوم به من أعمال؛ لأن كل جميل له أجمل منه، والكمال لله



وحده. فليس هناك الحل الوحيد فى كل وقت، وفى كل مكان، وفى كل الظروف؛ فكثير من الناس يرى أن رأيه أو طريقته هى الحل الأمثل والأوحد والأفضل لكل الناس.

- أن تتزود دائمًا بتقوى الله؛ فخير الزاد التقوى، فما هو جميل من وجهة نظرها قد يكون غير ذلك عند الله تعالى، فتلجأ إلى الله دائمًا بالدعاء، بأن يديم الله عليها نعمه وفضله، وأن يسدد خطاها، وأن يهديها لما يحب ويرضى.

- أن تكون فى تطور مستمر مع نفسها ومع الناس ومع الله، فمن يتبع هواه، ويزين له سوء عمله، يريد أن يبقى على حاله، فلماذا يغيرها؟! فهى أفضل شىء من وجهة نظره.

أما المسلمة فلا يجب أن تكون على هذه الحالة، فالقيم والخير فى نفسها له درجات تعلو وتسمو فى الإسلام، ولا حدود للفضائل، فلا يكفى أن تكونى كريمة؛ فهناك الجود ولا يكفى أن تكونى جوادة بالخير، فهناك الإيثار، وعلى ذلك تبدأ فى تقييم نفسها وتطويرها.

ومع الناس لا يكفى أن تكفيهم شرك، ولكن أن يعم خيرك على الأقربين، ولا تكتفى بالأقربين، بل يعم على الجيران، ولا يكفى أن يعم خيرك على الأقربين والجيران، ولكن على الناس جميعًا، أو كل من تتعاملين معهم؛ فقد قال رسول الله محمد ﷺ: **«أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس»**[1].

فهذا الدين هو دين للعالمين، وخيره للناس جميعًا، يقول الله تعالى فى سورة الإسراء: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾[الإسراء].

- أن توسع ثقافتها وقراءتها واحتكاكها بالصالحين وأصحاب السير الطيبة؛ فقراءتها لسنة الرسول ﷺ والصحابة والتابعين وزوجاتهم والأخوات المسلمات، سيضع أمامها أمثلة وقدوة، تستطيع أن تنير لها الطريق وتستزيد منها، فتخرج من نور إلى نور، ومن هداية إلى هداية، والله نور السموات والأرض، وهو يهدى من يشاء.

٤ - الطبع على القلوب واتباع الهوى:

قال تعالى فى سورة محمد: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٦﴾ ﴾[محمد].

---

(١) الطبرانى فى الكبير (٣/٢٠٩)، والحديث أورده الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٩٠٦)، وقال: «هذا إسناد حسن».

من يهده الله فما له من مضل، ومن يضلل فما له من هاد.

يختار الناس طريقهم فى الحياة الدنيا، فما عليهم إلا أن يسيروا فيه، إما الهداية فمن يهتدى فلنفسه، وإما الضلال، ومن يضل فعليها، وكل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت من الإثم والبغى، فيستمر الظالم ظالمًا لنفسه، فيأتى بالإثم على الإثم، إلى أن يطبع قلبه ظلمًا، فلا يرى نورًا ولا هداية، وهو جزاء لما اختار من طريق، ولما اتبع من أهواء.

يقول الله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطفِّفين] .. فهذه الآية توضح أن عمل الإنسان هو خير شاهد، وأفضل دليل على ما يكسبه فى الدنيا والآخرة، وأن ثمرة من يحجب قلبه عن نور الله فى الدنيا وهدايته، هى حرمانه من رؤية نور الله تعالى فى الآخرة، فهم محجوبون عن ربهم؛ جزاء بما كانوا يعملون.

وعلى الأخوات المسلمات مراعاة هذه النقاط:

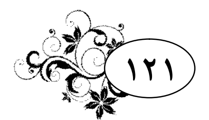
- عدم استصغار الذنب؛ فلا صغيرة مع إصرار عليها، وكثرة الذنوب وتراكمها تجعل القلب مضغة سوداء مطمسة، لا يرى النور ولا يدخل إليه، فلو وضعت ستائر رقيقة فى غرفتك طبقات فوق بعضها، ألا تظلم هذه الستائر الحجرة، وتمنع دخول الضوء والشمس؟! فهذا مثال للدقائق من الذنوب، التى تأتى فوق بعضها، فتعمل عمل الكبائر.

- أن عدم قبول العلم، وعدم الإيمان بالآيات، وعدم تصديقها، يعتبر جزاءً وعقابًا لصاحبه عن سوء عمله، وكثرة ذنوبه، وتقصيره فى الأمور.

- ليس فى الإسلام غير طريقين؛ إما الإيمان وإما الكفر واتباع الهوى، كما أنه لا يجتمع العلم والجهل فى أمر من الأمور؛ فهما طريقان لا يلتقيان عند أى نقطة، ولا ينتهيان لمصير واحد، فمن اختار الهوى، فليس له فى الإيمان من نصيب.

ولكن هذا لا يعنى تحديد مصير الناس، وعدم القدرة على التوبة من الذنوب، ولكن الغرض هو أن من اختار هواه واتبعه، لا يستطيع أن يصمد ويستمر ويصدق فى إيمانه بالله والواحد القهار، إلا أن يستغفر ويتوب، ويترك طريق هواه؛ ليكمل إيمانه، ويثبت بأمر الله تبارك وتعالى.

فالفتاة التى تذهب إلى قاعات الدسكو؛ لتسهر وترقص مع الشباب بالليل، هل تستطيع أن تقوم لتصلى الفجر وتخشع فى صلاتها أمام ربها؟ فهل تجتمع الطاعة والمعصية، وهل يؤمن المؤمن ببعض كتاب الله ويكفر ببعض؟ هل يكفى للفتاة أن تصلى وتصوم وتقوم بباقى



الفرائض، ثم لا تبر والديها، وتظلم أخواتها وجيرانها؟ لقد كان مصير من تصوم وتصلى وتؤذى جيرانها أنها فى النار، فلم تجتمع الطاعة والمعصية، ولم يوصلا إلى هدف واحد، فأى الطريقين تختارين؟!

الأخت المسلمة دائمًا فى حالة حساب وتقييم ومحاسبة لنفسها ليس مساءً، وليس صباحًا؛ بل فى كل وقت؛ لسرعة تعديل الطريق واستقامته على الهدى، وهى دائمًا فى صراع مع هواها وحرب، فهو أشد من الأعداء، أقرب إليها من العدو الخارجى، إنه داخلها فكيف تنتصر عليه؟! معها زاد الذكر والدعاء والصحبة الطيبة، ونور الله الذى أنزله رحمة للعالمين هو القرآن الكريم، والذى عن طريقه تهتدى فى ظلمات الطريق، وتعدل به اعوجاجه، وتساوى به منعطفاته، فلا تنزلق قدمها فى هوٍ، ولا تسقط من علو.

- إنه من طبع على قلبه ليس أمامه إلا الرعاية المركزة، فهو يحتضر ولا ينفع معه علاج واحد، فيحتاج إلى نوع من العزلة التامة عن مصادر وأماكن الهوى، ومحاولة لاستعادة عمل جهازه المناعى مرة أخرى، فيقبل بشدة ويدبر بشدة، يقبل على الله بقلبه وعقله ونفسه، ويدبر بشدة عن هواه بكامل إرادته وعزيمته، ويحدد هدفًا واضحًا وطريقًا مستقيمًا قصيرًا، ويغلق جميع منافذ الهوى؛ من أصدقاء وكتب وتلفزيون ومسرح وسينما ونوادٍ وأماكن لهو وكمبيوتر وأغانٍ وملابس وأطعمة وأسلوب حياة كاملة .. أقصد منها كل ما لا يرضى عنه الله ورسوله، ويعرف ذلك ويقيمه من مصادر المناعة القوية من القرآن والسنة، فكلما عرف آية أو حديثًا قيم به عمله، فما كان يرضى الله ورسوله بقى عليه، وما كان غير ذلك امتنع عنه امتناعًا تامًّا، مخلصًا العمل لله تعالى.

٥ - عدم ذكر الله واتباع الهوى:

يقول الله تعالى فى سورة الكهف: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف].

أمر الله سبحانه وتعالى بعدم طاعة الغافلين عن ذكره؛ لأنهم متبعون لأهوائهم ومفرطون فى أمورهم، ولذلك فطاعتهم فى كل الأحوال مرفوضة، حتى إذا كان ظاهرها خيرًا، فالله أعلم ببواطن الأمور، وقد علم الله تعالى عباده فى القرآن الكريم كيف يكون الذكر ومتى ولماذا، فيقول عز وجل فى سورة البقرة: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾ [البقرة:٢٠٠]، ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾

[آل عمران:١٩١]، ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١﴾ [الأحزاب]، ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف]، وفى سورة النساء: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ﴾ [النساء:١٠٣]، وقال الرحمن: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥].

فهذه الآيات تضع أمام الأخت المسلمة واجباتها العملية، والتى من خلالها تنتهى عما نهى الله عنه، وهو اتباع الهوى، ويمكن تصور هذه الواجبات فى النقاط التالية:

- المسلمة لا يجب أن تكون إمعة، فتسير وراء صديقاتها أينما ذهبوا فى الحياة، وأعنى بذلك طريقة حياتهن جميعها؛ من اختيار ملابس، وطريقة تحدث، واختيار كلمات الحديث، ونبرة الصوت، وشكل الوجه وحركاته أثناء الحديث، وحركة اليد أثناء الكلام، وطريقة المشى، وأسلوب التعامل مع الغير، ومع وسائل الإعلام والاتصال ومع الوالدين و... فيكون لديها قدرة على اختيار من تسير معهم ومن تختار.

وقد علمنا القرآن أن من علامة اتباع الهوى هو الإفراط فى الأمور، وهى تعنى الأمور بشكل واسع؛ كالتبذير فى المصاريف الشخصية، وضياع الوقت فيما لا يفيد؛ كالجلوس أمام الحاسب الآلى بالساعات، فهذا إفراط فى الأمور، وكثرة شراء الملابس، وكثرة الخروج والتنزه والفسح، وكثرة الحديث فيما لا يفيد، وتقيس على ذلك باقى طريقة الحياة.

ومن علامة اتباع الهوى التى أمرنا الله ألا نتبعها، البعد عن ذكر الله، فستجد الأخت المسلمة كثيرًا من البنات، أو من تتعامل معهم لا يذكرون الله إلا قليلًا، وربما لا يذكرونه طوال اليوم؛ فهم مشغولون بأهوائهم وأعمالهم، وهم الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

- أن تذكر الله فى كل أحوالها وجميع أوقاتها، وتبدأ جميع أعمالها بذكر الله، وتنهيها بذكر الله، فيكون جميع أوقاتها وحياتها ذكرًا؛ فتفوز بمنزلة الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، والذين أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، ففازوا بالمغفرة، وفازوا بالنعيم المقيم.

- أن تتعلم صيغة الذكر التى علمها لنا الرسول محمد ﷺ، وهى كثيرة وسهلة والحمد لله، ونذكر منها:

* **«سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»**، وهما الثقيلتان في الميزان[(١)]. ومن قال: **«سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة»**[(٢)].

* **«أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر - لا يضرك بأيهن بدأت»**[(٣)].

* **«ما على الأرض رجل يقول: لا إله إلا الله والله أكبر، وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»**[(٤)]، وقد قال عنهم الرسول محمد ﷺ: **«الباقيات الصالحات»**[(٥)].

* **«من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كل يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك»** [(٦)].

- أن تتعلم ذكر الله في النفس؛ فهذا أفضل علاج لتقويمها وسرعة علاجها، فلا يُطلق لها العنان لتحب ما تحب وتكره ما تكره، ولكن تنظر ماذا يحب الله وماذا يكره، فيكون حالها على ذلك.

- أن تذكر الله دون الجهر من القول، فتتمكن من سماع صوتها دون أن تزعج غيرها بالصوت، ولكن من يراها يجدها من الذاكرات، فيكون دافعًا لغيرها بتذكر الذكر والاقتداء بها.

- أن تجعل صلاتها ونسكها وحياتها ومماتها لله رب العالمين، فالله معها في كل وقت، فتحفظ عن الرسول محمد ﷺ أدعية الصباح والمساء والغدو والآصال، وأدعية الرسول ﷺ المأثورة في كل الأحوال، منذ أن تستيقظ وإلى أن تنام، وعندما تقوم الليل أو تقلق أثناء النوم. ولها أن تستعين بكتاب المأثورات، إلى أن تحفظ منه ما يكفيها طوال اليوم ذكرًا.

---

(١) البخاري في الدعوات (٦٤٠٦)، ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٤/٣١).

(٢) الترمذي في الدعوات (٣٤٦٤)، وقال: «حسن صحيح غريب».

(٣) فتح الباري (١١/٢١٠) عند شرح حديث (٦٤٠٨).

(٤) أحمد (٢/١٥٨)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٦٤٧٩): «إسناده صحيح».

(٥) أحمد (١/٧١)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٥١٣): «إسناده صحيح».

(٦) البخاري في الدعوات (٦٤٠٣)، ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩١/٢٨).

٦- الظلم واتباع الهوى:

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة الروم: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٩﴾ [الروم].

الظلم: هو وضع الشىء فى غير موضعه، ويعبر القرآن الكريم عن الظلم؛ للدلالة على عدم إعطاء النفس حقها، وعدم إعطاء الغير حقهم، وعدم إعطاء الخالق حقه فى العبادة، وهو الظلم الأكبر، وهو الشرك بالله. يقول الله تعالى فى سورة النمل: ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾[النمل:٤٤]. وفى سورة النساء: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا﴾ [النساء:٧٥]، وفى سورة لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾[لقمان].

والظلم صفة من صفات الإنسان وليس الخالق، يقول الله تعالى فى سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾[النساء:٤٠]، وفى سورة إبراهيم: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم]، وبرحمة من الله ومغفرة يتوب الله تعالى على من تاب وأصلح، يقول تعالى فى سورة المائدة: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ﴾[المائدة:٣٩].

وللأخت المسلمة أن تبحث عن الأسباب التى توقعها أو توقع غيرها فى الظلم، وتقيم أعمالها إذا كانت قد وقعت فى الظلم لأى الأطراف الثلاثة [النفس والناس والله]، ثم تبدأ فى الاعتراف الصريح والندم.

ومن المواقف أو الأعمال التى تظلم فيها البنات نفسها:

- أن تجلس مع فتيات غير ملتزمات بأخلاق الإسلام، فيكثر الكذب والغيبة والنميمة، والحسد، وضياع الوقت باللغو فيما لا يفيد، فقد وضعت نفسها هنا فى غير الموضع اللائق بها.
- أن تصر على مواصلة الطريق مع أصدقاء الهوى؛ بحجة قيمة الصداقة، فيزين الشيطان لها ذلك بأنه إخلاص ووفاء للصديق، وهو فى الحقيقة بعد عن الحق، وانزلاق فى المهالك.
- أن تقوم بأعمال غير ذات أهمية، وتضيع أعمالًا مهمة، وواجبات ضرورية؛ فتصبح مقصرة فى حق نفسها، فتبدو كذلك فى نظر الآخرين، على الرغم من أنها تشغل وقتها فى العمل، ولكنها لم تقيم أهميته وضروريته، ولم ترتب أعمالها بالأهم، ثم المهم، ثم الأقل أهمية.

فمثلًا تقوم بزيارة صديقة مريضة، وتترك أمها مريضة فى البيت تحتاج إلى وجودها لتمريضها، أو لرعاية إخوتها، أو لاستقبال الزائرين، فهذا العمل أولى وأهم مما قامت به، على الرغم من أنه عمل صالح أيضًا.

- أن تقوم بتقييم نفسها من منظورها الخاص، فليس لها مرآة إلا نفسها أو هواها، فلا تستمع لآيات الله، ولا تمتثل لأوامره، ولا تستمع لنصائح الأخوات الملتزمات الصالحات، فترى ذلك تكبرًا عليها وتدخلًا فى أمورها الشخصية.

- ألا تحسن استغلال طاقاتها وإمكاناتها ونعم الله عليها، فهى كثيرة ومتنوعة، ولكل وقت نعمة، ولكل عمر طاقاته، فلها أن تغتنم الصحة قبل المرض، والشباب قبل الهرم، والغنى قبل الفقر، والحياة قبل الموت، فعليها أن تبادر بالأعمال الصالحة.

وهناك مواقف قد تجد فيها البنت ظالمة لغيرها من الناس، نذكر منها:

- الظلم النفسى أو المعنوى للغير، كأن تحدث نوعًا من الحزن أو الغضب، أو تنمية حقد أو حسد لدى الآخرين؛ فهى تفعل شيئًا خاصًّا بها، ولكن لا يرضى والديها، ويدخل الحزن على قلبيهما، فهنا تعتبر ظالمة لهما، فلا يصح أن تقول: إن هذا أمر خاص بها؛ فطاعة الوالدين واجبة فيما لا يغضب الله عنه.

- الظلم المادى؛ كأن تحدث ضررًا ماديًّا بأخذ حقوق للغير، أو إحداث ضرر فى أموال أو أشياء الغير.

- ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ كأن يكون لديها علم ودين، فتعيش بهذا العلم والدين لنفسها، ولا تعلمه لغيرها، ولا تنقله لهم.

- عدم الإحساس بالألم النفسى تجاه الغير، أو محاولة مساعدتهم لإدخال السرور عليهم، أو قضاء دين لهم، أو فك كربة عنهم.

- منع أو تأخير ما عليها من واجبات والتزامات تجاه الغير؛ من بر الوالدين، أو زيارة المريض، أو قبول الدعوة، أو تحمل أعباء من تحملوا عنها وساندوها وقت الشدة، وصلة الرحم، وإكرام الصديق والضيف.

- عدم الإحساس بالمسئولية تجاه الغير فى كل الأحوال، أو فى بعضها؛ بحجة أن كل إنسان مسئول عن عمله، ومثل هذا الإحساس ما يصنف البنت تحت صفة السلبية، أو صفة حب النفس، فلو أحست الأخت بمسئوليتها تجاه أخطاء الغير؛ لفتحت لنفسها أبوابًا للخير فى الدنيا وفى الآخرة، ولأصبحت حياتها كلها مليئة بالأعمال الصالحة؛ فهى دائمًا فى خير مع نفسها ومع الناس ومع ربها؛ لأنها تعمل من أجل إرضاء الله وكسب حبه ورضاه.

❊ أما أكبر الظلم وأعظمه، الذى لا يغفره رب العالمين، فهو الشرك بالله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ

لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان] .. لم يخف الرسول محمد ﷺ من أن يعبد المسلمون إلهًا آخر، ولكنه خاف عليهم من الشرك الأصغر، فقال محمد ﷺ: **«إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»** قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: **«الرياء»** يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم: **«اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء»** [أخرجه أحمد، وهو حديث صحيح] (١).

وقال ﷺ: **«يقول الله عز وجل: من عمل لى عملًا أشرك فيه غيرى، فهو له كله، وأنا برىء، وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك»**(٢). ويقول الله تعالى فى سورة الماعون: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾﴾ [الماعون].

لقد خاف الرسول ﷺ علينا من هذا الشرك؛ لأن الإنسان يعيش فى وسط الناس، فيشاهد أعمالهم ويشاهدون أعماله، وهو يضع فى اعتباره من حوله كما يضعه من حوله فى اعتبارهم.

وهناك نوازع الخوف من الناس، وحب الظهور، وحب المصلحة الذاتية، ورجاء قبول الناس له. ومثل هذه النوازع إذا وضعها الإنسان فى اعتباره وكانت ظاهرة فى أعماله، فكيف يرجو إخلاص العمل بعد ذلك لله العزيز الكريم.

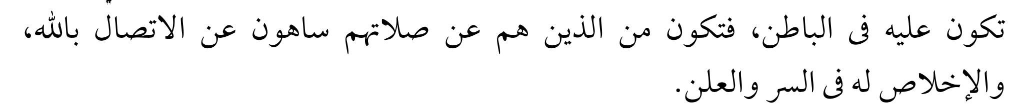
إنها نوازع تحتاج إلى رياضة وتدريب نفسى مستمر ومحاسبة دائمة؛ للتخلص منها ليلًا ونهارًا، وللتجرد منها اليوم لا يأمن على نفسه التجرد منها غدًا، وهو ما يتطلب حياة إيمانية وارتباطًا ربانيًّا مستمرًّا وقويًّا بالذكر والاستغفار والدعاء وقراءة القرآن والتذكر والتدبر والإخلاص، وربما توضح الأمثال التالية بعض ما يقع فيه البنات من رياء فى سياق حياتهن الدنيا وأمور العبادات:

- أن تضع البنت فى اعتبارها أثناء تأدية الصلاة من حولها، فتطيل فى الصلاة عن المعتاد أو تكثر القراءة وتتقنها، أو تظهر نوعًا من الخشوع فى حركات الصلاة، التى لا تقوم بها وهى بمفردها، وترغب من وراء ذلك أشياء ممن حولها من الناس؛ كالمدح، أو اعتقاد بقوة إيمانها، أو انشغالها فى العبادة لله، أو قدرتها على حسن القراءة أو غير ذلك، فما يبدو فى الظاهر لا

---

(١) أحمد (٥/٤٢٩).

(٢) مسلم فى الزهد والرقائق (٢٩٨٥/٤٦).



تكون عليه فى الباطن، فتكون من الذين هم عن صلاتهم ساهون عن الاتصال بالله، والإخلاص له فى السر والعلن.

- أن تحب القيام بالعمل عند المدح والثناء والتقدير من الناس، وتقف عن هذا العمل إذا كان الأمر غير ذلك من الثناء والتقدير، وتقف موقف العداء والكراهية لمن ينصحونها، فتعتبر ذلك تدخلًا فى أمورها، أو إحباطًا لأعمالها وتعطيلًا لها، أو غيرة منهن، أو كرهًا لها.

أما إذا كانت ناصحة لغيرها فتقوم بهذا العمل؛ إرضاءً لنفسها ولتشبع لديها حب التفوق على الناس أو الظهور أو الاستعلاء عليهم، فتحس غيرها أن هذه ليست نصيحة، وإنما فضيحة أمام الناس، وإذا كان الأمر بين الاثنتين فتشعرها بأنها أفضل منها فى كثير من الأمور، ففى الحالتين ناصحة أو منصوحة، كان الرياء واضحًا.

- التغيير فى طريقة الكلام بالتصنع بالأدب أو خفض الصوت أو إظهار حلاوته من خلال الحديث فى التلفون أو أمام الضيوف أو أمام الزملاء فى العمل أو الدراسة أو الجيران، ولا تكون البنت على هذه الحال فى بيتها أو مع أخواتها أو والديها، فتسمعهم الصوت العالى أو أسوأ الألفاظ أو خشونة الحديث والصوت على غير ما تبدو به أمام الناس.

وكذلك الحال فى الملبس، فتكون فى بيتها غير منظمة وغير نظيفة، وعلى غير هذا الحال أمام الناس، وقد يكون الأمر عكس ذلك أيضًا؛ بغرض المراءاة، وتظهر ذلك فى بعض المجتمعات التى تظهر الالتزام بالتقشف، وهى على غير ذلك فى بيتها.

وكذلك الحال فى إظهار العمل أو بعضه عند الناس كأن تقوم البنت بتنظيف حجرة زميلتها إظهارًا لها بنظافتها وهى على غير ذلك فى بيتها.

- إذا كان ذلك فى أمور الدنيا من مأكل ومشرب وملبس وأعمال، فكيف يكون فى أمور العبادات والآخرة؟! فالمراء فيها كثير، والأمثلة لا تحصى، فهذه تذهب لتحج أو تعتمر كل عام؛ ليقال: إنها الحاجة فلانة، أو إنها قادرة على العمرة كل عام، فهى من مستوى اجتماعى ميسور أو عال.

وهذه تتصدق أمام صديقاتها وجيرانها؛ ليقال عنها: كريمة أو كثيرة الصدقة، وهذه تذهب للصلاة فى المسجد وحضور حلقات الذكر والدروس الدينية؛ ليقال عنها: إنها متدينة وملتزمة بالإسلام، وهذه تصوم فى يوم حفلة؛ لتظهر لصديقاتها أنها صوامة.

- كثير من الكلمات الدارجة بيننا تنم عن الرياء وتبعث عليه، مثل: «اعمل ده علشان

خاطر فلان»، «اعمل ده علشان فلان يحبك، اعمل ده لحسن فلان يزعل»، فهذه أمور فى ثقافتنا تشجع على الرياء وعدم الإخلاص فى العمل لوجه الله، فيضع الفرد فى اعتباره الغير أولًا وأخيرًا، ويسعد ويحزن بناء على ذلك.

ومثل هذه الأمثلة من أحوال الرياء التى تقع فيها البنات مرض وله علاج، فالبنت يجب أن تحس أولًا فى نفسها أن ما تفعله ليس خالصًا لله وأن أعمالها ترجو منها نفع الذات ورضاء الآخرين من العباد. فتبدأ فى التدريب على الإخلاص بالعمل والقول مع النفس ومع الناس، وأن تتحرى الصدق لله مع النفس والغير، وأن تكمل ما تقوم به من أعمال، سواء أخذت دعمًا ماديًّا أو معنويًّا كالجوائز أو الثناء أو لم تأخذ، فلا يهمها تقدير الناس ولا تفرح ولا تحزن بناء على ذلك، ولكن تجعل فرحها وحزنها لرضاء الله عنها أو سخطه عليها، وأن تحاول وتجتهد وتبذل قصارى جهدها فى أداء الأعمال كلها، وأن تكون على أحسن حال فى العزلة وفى الاجتماع بالناس، وفى أمورها العادية، وفى الظروف الطارئة أو غير العادية، وهذا يعنى أنها جميلة فى كل الأحوال، نظيفة فى كل الأوقات، منظمة مرتبة مهيئة للعمل الصالح فى جميع الظروف.

فهذه ثمار الإخلاص التى تجنيها البنات والأخوات الملتزمات بدين الإسلام القيم والحنيف. إذا كانت ثمار الدنيا يجنيها قاطفها، فإن ثمار المؤمنة الصالحة يجنيها قاطفها وجانيها وكل من حواليها؛ فتكون بذلك نافعة لنفسها ولغيرها بالعمل الصالح القيم والقدوة الصالحة المنيرة.

٧- الضلال واتباع الهوى:

يقول الله تعالى فى سورة المائدة: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ﴾[المائدة:٧٧].

الضلال: هو البعد عن الطريق المستقيم، وهو ضد الهدى والرشاد، والضالون هم الذين عرفوا الحق ولكنهم عموا عنه وجهلوه. يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٠٨﴾ [البقرة]، وفى سورة النساء يقول الله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠﴾[النساء].

فالضلال من صفات الشيطان وقدراته المفسدة، فهو عدو مضل مبين للإنسان، وتوضح الآيات فى سورة محمد أن الكفر من أسباب الضلال، يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ ﴾[محمد]، وفى سورة البقرة يقول الله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[البقرة].

فهذه الأمثال التى يضربها الله فى قرآنه الكريم - ما قل منها أو ما صغر منها وما كبر - لا يعقلها إلا العالمون، أما الفاسقون فلا تزيدهم إلا ضلالًا على ضلالهم؛ وذلك لخروجهم عن الطاعة والطريق المستقيم.

للأخوات المسلمات وقفة وتدبر للأعمال التى تصدر منهن ومن غيرهن:

- هناك فئة من البنات اللاتى عرفن الحق ومشين فيه، فكان لالتزامهن بالدين علامة وطريقة، ولكن تتعرض هذه الفئة إلى مغريات الدنيا من زينة أو مال أو منصب أو زوج، فتفضل تلك المغريات أو بعضها، فتجد نفسها أمام هذا الانزلاق، والبعد عن طريقها المستقيم، وكلما بعدت قلت الجاذبية للاستقامة، وزادت درجة الانحدار وسرعته، ويبدأ الشيطان فى عمله معهن، فالبيئة مناسبة تمامًا والظلام دامس، والهوى متبع والعقل غائب، وتأتى فئة الأخوات المسلمات الملتزمات ويتساءلن: ألم تكن معنا، ألم تكن أفضل منا، ألم تكن قدوة لنا؟

أسئلة واستفسارات، ولكن النتيجة هى إما أن تكون هذه الفئة الضالة قدوة سيئة ومنحرفة، ويراها البعض هكذا، أو أن يلتمس البعض لها العذر لهذا الانحدار، ويرجو لها الرجوع إلى الله، أو أن تجذب هذه الفئة الضالة والتى اتبعت أهواءها فئة أخرى من المسلمات الملتزمات اللاتى تعاطفن معها، فيبدآن فى اتباع أهوائهن إلى أن تصل الأخت الملتزمة إلى ما لا يحمد عقباه، وتنجرف قدماها فى الانحدار والعياذ بالله، ونسأل الله العافية والنجاة.

وربما قارئ هذه الكلمات يبعد عنه الأمثلة، ولكن عندما يدقق النظر يجد كم من الفتيات اللاتى دخلن الجامعة ملتزمات بالدين وبالأخلاق الفاضلة، ثم أغواهن أهواء قوم قد ضلوا، فبدأن فى اتباع سبيلهن - سبيل الشيطان.

فإذا بالفتاة لا تستطيع أن تفرق بين الحق والباطل، وبين الحلال والحرام، وتختلط بها الأمور، فتجد مثلًا مراكز التجميل التى تدخل فيها الفتاة بشكل وتخرج بشكل آخر، وسيلة من وسائل التجميل، وليس معصية لله ولرسوله، وتنسى لعنة الله على النامصة والمتنمصة والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة، وتنسى وعد الشيطان لربه قبل أن ينزل مع آدم إلى الأرض، ليأمرن بنى آدم وليغيرن خلق الله. وترى البنات الاختلاط ضرورة، والنظر شيئًا لابد منه، وتغيير الصوت من الإتيكيت.

وهذه فئة أخرى تضل غيرها من الفتيات المقبلات على الزواج، واللاتى أنعم الله عليهن بالالتزام بدين الله وطاعته وطاعة رسوله محمد ﷺ، فتدفعهن الرغبة فى الزواج إلى اتباع أهواء قوم ضلوا، وهو ما يوقعهن فى الخطأ، أو البعد عن سواء السبيل.

فكم من الفتيات وقعن فريسة للجهل والضلال، وتزوجن سرًّا عرفيًّا بدون إذن الولى أو الإعلان، وتركها بعد ذلك الزوج بدون حتى الاعتراف بالزواج بها عرفيًّا، ولم تجد لها نصيرًا ولا معينًا.

وهناك فئة من الزوجات اللاتى اتبعن أهواء قوم ضلوا، فلم يقمن على أداء واجباتهن الزوجية أو الوالدية، فتعست مع زوجها وأولادها، فهذه زوجة تخرج لحضور مجالس الهوى، أو قضاء الوقت فى الملاهى أو النوادى، وبيتها فارغ من الحب والألفة والنظام والهدوء، وأولادها بين أصدقاء السوء ومحطات الهوى التلفزيونية، ولا يجدون غير التعسر فى العلم والدين.

وهذه زوجة تتبع خطوط الموضة العالمية، وأخبار جيرانها وزميلاتها: كيف يرتدين، وماذا يشترين، وأين يذهن للتجميل، فتأخذ مصروف البيت لتنفقه على هواها، ولتتبع سبيل هؤلاء الضالين، فلا تكون النتيجة غير الفقر والحاجة وعدم البركة وقلة الرزق وكثرة الخلاف والشكوى، وانتشار الفتنة فى المجتمع بعد الأسرة، التى غالبًا ما تفقدها ماديًّا ومعنويًّا، ليلجأ الزوج إلى حل الطلاق والانفصال وأخذ الأولاد، فتجد نفسها وهواها على غير ما تحب وترضى، فالجزاء من جنس العمل.

واتباع أهواء قوم قد ضلوا أيضًا على شاشات التلفزيون والسينما والمسرح والملاهى والنوادى، التى ينتشر فيها الرذائل والفحش. فلا تحسبن الفتاة والأخت المسلمة أن الأمر هو مجرد تسلية وقضاء الوقت والإمتاع للنفس، ولكن الأمر أكبر من ذلك بكثير .. إنه تأثير وتأثر، وضلال وتضليل، وغواية وإغواء.

فالجرائم التى تنتشر فى المجتمع؛ من زنا وسرقة وقتل وحوادث سيارات وغيرها، وسوء الأخلاق؛ من غش وخداع وكذب وغيبة وغيرها، وراءها بشكل مباشر وغير مباشر ما يشاهده ويسمعه الجمهور من وسائل الإعلام حوله.

ألم يصنع الأفلام الأجنبية الصادرة من هوليوود قوم ضالون؟!

ألم يحتوِ مضمونها على أرذل القيم والأخلاق؟!

ألم توسع فى دائرة الفسق والضلال، وتظهرها كأن المجتمع كله هكذا؟!

المؤمن يتدبر ويشاهد ويسمع، ولكنه يزداد إيمانًا والأخوات المسلمات لا يقفنَّ ولا يتدبرنَّ الأعمال فقط، ولكن عليهن أعباء أخرى، نذكر منها:

- تقوية الإيمان وتجديدة دائمًا بالأعمال الصالحة، فلا تترك لهواها مكانًا يسكن فيه الشيطان أو حب الضالين أو الغاوين؛ فالحب معنى سامٍ فى قلب المسلمة المؤمنة، أوسع قدرًا ومنزلة، وأرقى إحساسًا، وأعظم وأجل مكانة، إنه حبٌ من خلق الحب وأودعه فى القلوب، حب من أحب الله، حب كل عمل يقربها إلى الله.

هكذا أحبت المسلمة المؤمنة الخالق والمخلوق، وعملت لدينها ودنياها، فأين الحب الذى يدعو له المطربون والمطربات واللاهون واللاهيات من حب الشهوة وحب النفس وحب المال وحب الدنيا وما فيها؟! أين هذا الحب الدنيوى الرخيص من حب الخالق نور السموات والأرض؟!

- بعد النظر وحسن التفكير والقدرة على التفرقة بين الصالح والطالح والحلال والحرام، فلا تغويها الغاويات؛ فهى سريعة الإدراك، ولها قدرة صائبة على فهم الأمور حولها.

- أن تحدد جيدًا كيف ومتى يمكن أن تستفيد من وسائل الإعلام حولها، ففيها ما ينفع وما يضر، وأن تعين غيرها على ذلك، وأن تستعين بغيرها على ذلك.

٨- الاستكبار واتباع الهوى:

يقول تبارك وتعالى فى سورة البقرة: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ ﴾ [البقرة:٨٧]. فالاستكبار امتناع عن قبول الحق معاندة، وهى من صفات إبليس اللعين، يقول الله – تبارك وتعالى – فى سورة الأعراف: ﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾[الأعراف:١٣]، وفى سورة البقرة: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾[البقرة]، وعاقب الله المتكبرين فى الأرض، بأن أبعدهم عن الهُدى والنور، يقول تبارك وتعالى فى سورة الأعراف: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأعراف:١٤٦]. وجعل لهم العذاب الأليم فى الآخرة، فى سورة النساء: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[النساء:١٧٣].

والكبر من موانع دخول الجنة، حتى ولو كان صغيرًا، يقول محمد ﷺ: **«لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر»**، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله

حسنًا، قال: **«إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بَطَرُ الحق وغمطُ الناس»**(١) وغمط الناس: احتقارهم.

وللأخوات فى ذلك ضوء أحمر، فالكبر من مداخل الشيطان؛ فهى صفة من صفاته، وسلاح من أسلحته ضد الحق والخير والرحمة. فهذه مواقف حمراء تؤخذ على أصحاب العلم أو الدين، وربما وقعت فيها كثير من الأخوات.

- عند حضور مجلس من مجالس العلم، يكون فيه الحوار حرًّا بين الأطراف، فإذا بصاحبة العلم تظهر ما لديها من علم وفقه، ويصيبها كبر على الآخرين، فإذا بها ترفض آراء الآخرين أو طريقة حياتهم، وتنسى أن لكلٍّ ظروفه، وأن الدين يسر، وأن الاختلاف فى الفقه رحمة وليس شقاقًا. فتسكت غيرها لتتحدث هى، فهل هذا غير الكبر، وهو احتقار الناس والتقليل من شأنهم.

- التكلف فى الملبس، والتى لا يكون المكان أو المناسبة أهلًا لذلك، فربما يدفع ذلك إلى لفت انتباه الأخريات، وتقليل درجة تركيزهن فى الدرس أو اللقاء، وربما أخرج أخريات لا يستطعن ارتداء مثل هذه الثياب، وهى لا تعنى التقليل من أهمية احترام الأخت المسلمة فى مظهرها وباطنها؛ فهى صورة وقدوة لغيرها، ولكن التكلف يظهر كبرًا من الصفات.

- التكلف فى طريقة الحياة أو المكان أو الطعام بين الأخوات المسلمات واللاتى غالبا ما يكون بينهن مستويات اجتماعية واقتصادية مختلفة وربما متفاوتة.

- التفاخر بين الأخوات بأعمالهن فى طريق الدعوة، وقدرتهن على الإقناع، أو مدى تحملهن نوعًا من الأعباء - المادية أو المعنوية - ويكون لهذا التفاخر صفة الكبر والتقليل من صفات الأخريات وأعمالهن فى مجال الدعوة. ومثل التى تفتخر أن زوجها أو أخاها أو أباها ممن كانوا من رجال الدعوة الكبار، وممن تحملوا التعذيب أو القتل أو التشريد أو الإهانات أو الطرد من العمل، وهذه كثيرة بين الأخوات، وربما تصف نفسها بأعمال غيرها، فتظهر كبرًا فى صفاتها بين الأخوات.

- دواء الكبر هو (التواضع)، وإذا كان الكبر فى أمر من أمور الحياة، فعلاجه التواضع فى جميع أمور الحياة، وليس فى هذا الأمر وحده؛ فهو تغيير فى أمور حياة الأخت. فإذا كان الكبر فى الملبس، فلتبدأ بالملبس أيضًا، بالتواضع فيه، ومراعاة مناسبته لملابس الأخريات فى المكان

---

(١) مسلم فى الإيمان (١٤٧/٩١).

والزمان المناسبين، وإذا كان بالافتخار بالنفس أو الأهل، فلا يكون الافتخار بالغير وأعمالهم وسيرهم، ومن ليس لهم صلة بالنفس أو الأهل.

– وإذا كان التكبر بالعلم، فلتضع غيرها فى منزلة أعلى منها؛ فكل عالم له أعلم منه، ولتنظر فى سير السلف الصالح.

– إن شراء أو اقتناء العديد من المكملات غير الضرورية – سواء الحاجيات الشخصية، أو داخل المنازل، أو داخل محل العمل – يفتح أبوابا من أبواب الشيطان ليدخل، مما يوقع متبعه فيه بلا ريب، فتجد البنت نفسها تواقة لشراء إكسسوارات أو ملابس أو غيرها، فيبدأ اهتمامها ينصب فى هذه الأمور، والتى تحمل نفسها وأهلها فوق طاقتهم، والتى تصرف العقل والنفس عن الأمور الأكثر ضرورة وأهمية، ولكن ماذا علينا لو أشبعنا ضرورياتنا، ثم بحثنا لنكمل ونساعد ونشبع الاحتياجات الضرورية لغيرنا من الأخوات والأقارب؟!، فتتحول نظرة الفقير للغنى من نظرة حقد وحسد إلى نظرة حب وألفة وتواد وتراحم بين المسلمات، ولكن مثل هذه الأمور ليست بالهينة على البنات خاصة، فهى ترتبط بمظهرهن وصورتهن وشخصياتهن أمام الناس، وهى تحتاج إلى تدريب ورياضة نفسية مستمرة وقوية لتغيير نظرتهن للأشياء والأمور، ومعتقداتهن عن الجمال أو الأناقة والمظهر الحسن، وهذه الرياضة هى التى تحول صفة الكبر لدى الفتيات إلى صفة الاحترام والوقار والأدب وحب الغير والخير لهم كحبه لنفسها. وهى رياضة ربانية بالأساس، فكلما كانت التوجهات نحو إرضاء الله عز وجل، كلما قل الاهتمام بالنفس وأهوائها ما يرضيها وما يشبعها، فهناك ما هو أكبر، وأعظم وأحق أن يرضى، ويتبع أوامره، ويجتنب نواهيه.

– إذا كان التكلف فى طريقة الحياة كلها؛ مما أظهر كبرًا فى الصفات الأخلاقية، فالأمر هنا يحتاج إلى بذل مجهود عقلى ومادى ونفسى.

فالعقلى: بالتدبر فى أحوال الغير – غير القادرين على الحياة – وعلى أبسط ما فيها، والتدبر فى الموت وما فيه من عبر، وكيف يترك الصغير والكبير والمريض والصحيح والقوى والضعيف الحياة بمجرد أن يأتى الأجل.

والمادى: بالتخلص من الأشياء والحاجات التى لا تستخدمها الأخت، وذلك بإهدائها لمن يستحق، والبدء بالأقربين، وأن يكون ذلك من قبيل صلة الرحم والحب فى الله والتقرب إليه، ويتم العمل بالبدء فى الأشياء غير الضرورية وغير المستخدمة بشكل دائم، ثم يتدرج

بارتفاع درجة الإيمان إلى العطاء من الأشياء التى تستخدم، والتى تفضلها الأخت وتعتز بها، وهى فى هذه الحالة ترتفع بإيمانياتها وأخلاقها لتسمو إلى درجات الإيثار.

وعندما تبدأ برياضة نفسها لتغيير نظام الحياة، فإنها هنا بصدد الوقوف أمام الأهواء والنوازع والرغبات النفسية التى لا حصر لها ولا نهاية؛ فلا يملأ عين ابن آدم إلا التراب، ويقول الرسول ﷺ: **«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»** [١]، فحساب النفس على أعمالها يكبح جماحها ويقيد هواها.

- أما التفاخر والتكبر على الغير بأعمال الغير، فإن لنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة؛ فقد كانت تعاملاته مع أقرب الناس إليه تعلمهم أنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وأنه لا يغنى أحد عن أحد شيئًا، فيوم القيامة لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. قال ﷺ لفاطمة وصفية: **«إنى لا أغنى عنكما من الله شيئًا»** [أخرجه مسلم][٢].

٩ - الجهل واتباع الهوى:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأنعام].

فمن يتبع هواه لا يجد لعقله مكانًا للعمل، فما يتفق مع العقل ربما يرفضه الهوى، إذا لم يكن الهوى تبعًا لما أنزل الله ورسوله، وقد قال ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»**[٣] فهنا الهوى ميل النفس إلى الخير والفضيلة والقيم الخلقية، وهى التى ربما يرفضها العقل فى بعض الأحيان، فما الذى يجعل الأخت تؤثر أختها على نفسها، فتعطيها كل ما تملك وهى فى حاجة إليه؟! إنه الإيثار، والذى أصبح فى هذا الزمان نوعًا من الحمق وقلة العقل.

فهذا الهوى قائم على العلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أما ما لم يقم على العلم الصحيح فلا مجال لاتباعه، والخوف منه ضرورى، ولا ثمرة له إلا الضلال والخيبة. وإذا قامت الأخت المسلمة بإمعان النظر فى نفسها وما حولها، فستجد كيف تضل النفس غيرها، وكيف يضل بعض الناس بعضًا بجهلهم وبعدهم عن نور الله وهداه.

---

(١) الترمذى فى صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٥٩)، وقال: «حديث حسن»، وابن ماجه فى الزهد (٤٢٦٠)، وضعفه الألبانى.

(٢) مسلم فى الإيمان (٢٠٦/٣٥١).

(٣) السنة لابن أبى عاصم (١٢/١) (١٥)، وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٢٨٩/١٣): «رجاله ثقات، وقد صححه النووى فى آخر الأربعين»، وضعفه الشيخ الألبانى.

- عندما تتسرع الأخت بإلقاء الحكم على غيرها بمجرد سماع شكوى من منافسة لها أو غريمة، فهذا اتباع للهوى بغير علم.

- عندما تقوم المسئولة فى مكانها - سواء أكانت أمًّا أو أختًا أو معلمة أو طالبة مسئولة عن غيرها - بإصدار أى أمر أو تعليمات أو عمل منهج، أو القيام بتدريب على مهارة معينة، ويكون هذا العمل غير قائم على العلم، فهى هنا على طريق الذين يضلون بأهوائهم، ربما يجد البعض أن هذا ظلم لهن، وربما يؤدى هذا الفكر إلى إحجام البعض عن العمل بحجة عدم العلم، ولكن لا يقصد من هذا ترك العمل بكامله، ولكن المقصود هو دوام البحث والعمل والتعلم؛ من أجل عدم الوقوع فى اتباع الهوى، فتقوم بالعمل فيما تعلم، وتجتهد بعد ذلك فى العلم فيما لا تعلم، والاستعانة بغيرها ممن هم أعلم منها.

- عندما تقوم البنات بإعطاء النصائح لزميلاتهن لكل صغيرة وكبيرة، فى المدرسة، أو فى الكلية، أو فى النادى، أو حتى فى المسجد، أو عند الاجتماعات بشكل عام، وتكون هذه النصائح من وجهة نظر الفتاة، أو نتيجة لتجربة مرت بها، أو نتيجة لقراءة عابرة عن موضوع ما، أو غير ذلك مما لم يقم على العلم الصحيح، فهى هنا تضل غيرها بجهلها.

والمشكلة هنا أن الإثم واقع عليها؛ فهى تتحمل وزر من عمل مثلها، أو اتبع سنتها القائمة على الجهل بالأمور، فإذا حسبت الفتيات ذلك جيدًا، ربما تمسك عليها لسانها، ولا تتعجل بالنصيحة، سواء طلبت منها أو تطوعت هى بها.

- إن اتباع الهوى أسهل بكثير وألذ وألطف من البحث والعلم والدراسة، فالأول بلا مجهود وليس له ضابط، والثانى شاق وله ضوابط، وربما هذا من أسباب أن كثيرًا من الناس يفضلون الجهل على العلم، ويضلون غيرهم بأهوائهم. ولكن عندما تعلم البنات اختلاف الثمرة لكل اتجاه، ستختار العلم، فلا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون، فستجد كيف يعلو فضلها بين الناس وبين الخلق جميعًا، فالملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم، والنملة فى جحرها والحوت فى البحر يستغفرون لطالب العلم. ففضلها فى الأرض وفى الجحور وتحت الماء وفوق السماء ويوم العرض على الله - عز وجل - فأى فضل أوسع من ذلك وأبقى؟!

***

الفصل السابع

سنة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ فى التوبة

نظرة على قصة سيدنا سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ



هو سليمان بن داود، وينحدر نسله إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه.

أعطى الله سيدنا سليمان قدرات خارقة للقدرات البشرية، فعلمه منطق الطير، وفهم لغاتها، وأعطاه قدرة فائقة على سماع الأصوات، حتى سمع صوت النملة وحوارها مع قومها.

آتاه الله من كل شيء يحتاج إليه فى حياته، فى دعوته ورسالته وملكه، وكان شاكرًا لنعم الله عليه، وطلب من ربه أن يوزعه شكر نعمته التى أنعمها عليه وعلى والديه، وأن يعمل صالحًا يرضاه، وأن يدخله برحمته فى عباده الصالحين.

وكيف لا يشكر نعمه وقد كان جنوده من الإنس والجن ومن الحيوانات والطيور التى سخرها رب العالمين لمن اختاره نبيًّا على قومه؟!

واستطاع سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يعرف ما لا يستطيع أحد من البشر أن يعرفه، فقد أطاعه البشر والجن والحيوانات والطيور، فهذا الطائر الجميل الهدهد يبلغه بأخبار عن عرش عظيم، وعن ملكة هذا العرش وقومها وما يعبدون.

ولم يكن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ يومًا يحتاج إلى مال أو ما فى الدنيا من متاع، فقد رفض ما جاءه من هدايا من ملكة سبأ، التى ظنت أنه ملك من ملوك الأرض الذين يغريهم المال والجاه الذين جاءوا به من الدنيا وللدنيا، ولكن هذا الملك لم يأت به شعب أو قوة أو دولة أو نظام، إنه نبى من رب العالمين .. لقد رد لها هديتها، وتوعد بإرسال جنود لا قبل لهم بها، حتى يأتوا مسلمين، ولم يكن إرهابيًّا، بل نبيًّا.

وكانت لسيدنا سليمان مدرسة فى الإدارة والاستخدام، فكل يقوم بما يستطيع من أعمال، وما يطيق، وما يناسبه .. فهذا طير يرسل رسائل مكتوبة، وهذا جنّىٌّ يمكن أن يأتى بعرش ملكة سبأ فى ثوانٍ معدودة أو أقل، وكان يعلم أن الله يبتلى الإنسان بالنعم كما يبتليه بالنقم؛ ليختبر الإنسان هل شكر أم يكون من الكافرين، فنعم الله سبحانه وتعالى اختبار للبشر كيف سيتصرفون فيها؟، هل سيعطون كل ذى حق حقه؟ أم سيأخذون ويكنزون ويتكبرون ويطغون ويسعون فى الأرض فسادًا؟

وكان مدرسة فى الشكر، تعلم المسلمين سرعة الشكر بمجرد حدوث النعمة؛ حتى لا تلهى النعم عن الذكر، ثم يأتى من بعده النسيان حيث اتباع الهوى والكبر، وغيره.

فعندما جاء عرش ملكة سبأ فى ثوان معدودة، ووجده سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ورآه مستقرًّا عنده فى اللحظة نفسها: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل:٤٠]، فكان نعم العبد، وهو ما أثنى عليه ربه بذلك.

وكما كان سريعًا فى الشكر، كان سريعًا فى الإنابة والعودة إلى الله فى حالة الخطأ أو النسيان، فهى من صفات البشر، التى لا يخلو إنسان منها منذ خلق آدم أبو البشر إلى يوم القيامة، فعندما ضاع الوقت فى حب الخير عن ذكر الله، وجاء وقت آخر، لم تر هذه اللحظات تمر بسهولة على سيدنا سليمان.

فكل وقت لم يذكر فيه الله، أحس فيه أنه مقصر ومذنب، وطلب من ربه الغفران، وكان دليل الاستجابة للدعاء ملموسًا ومباشرًا، فقد طلب من الله عز وجل بعد المغفرة أن يهب له ملكًا لا ينبغى لأحد من بعده.

فكانت الاستجابة وكانت الهدية فى الدنيا، فسخر الله له الريح تجرى بأمره، والشياطين البنائين، والقدرة على العطاء أو الإمساك عنه بغير حساب والمغفرة فى الآخرة وحسن المآب.

وكما كانت حياته خارقة للبشر وقدرات البشر كانت وفاته كذلك، فكل ملك يموت تموت معه سلطته، أما سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقد مد الله له فى قدراته بعد مماته، واستمرت خوارقه إلى أن أظهر الله تعالى موته، فتوقف الجن عن العمل، أما جسده فقد ظهر وكأنه حى يرزق، ففنيت العصا التى يتكئ عليها، ولم يفن الجسد الأسرع فى التحلل من الخشب، فقد أكرمه الله حيًّا وميتًا ويوم يلقاه.

الآيات التى سننطلق منها لاتباع سنة سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة:

قال تعالى فى سورة ص: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ [ص:٣٢]؛ للحذر من حب الدنيا، وأن ذكر الله غفران للذنوب.

وفى سورة ص: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ٣٤ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥﴾ [ص]؛ لطلب الدنيا والآخرة.

***



منهج التوبة

الحذر من حب الدنيا:

قال تعالى في سورة ص: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾[ص:٣٢].

في مدرسة سليمان للتوبة منهج لتغيير نظرة البنات للدنيا، وتغيير طرق التعامل معها، وتقييمها ووضعها بالنسبة لها.

فهذا سليمان عليه الصلاة والسلام، أعطى ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فما غاية الملك اليوم إلا المال والقصور والنساء، وغيرها من حطام الدنيا.

هل استطاع أحد من ملوك القرن الواحد والعشرين أن يسير سحابًا، أو يتحكم فيه كيفما شاء؟ هل استطاع ملك من ملوك الأرض أن يسخر الجن كيفا يريد؟ إنه فضل ومنة ونعمة أنعمها الله على نبيه سليمان، ولم ينس أنه عبد الله،وأن الله هو الذى وهبه هذه النعم.

لقد أحس بالذنب لحبه رؤية نعم الله عليه، ولم يذكر الله حين عرضت عليه الخيل الجميلة، فهي من متاع الدنيا، وتذكر أن عند الله حسن المآب والمرجع.

يقول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾[آل عمران].

فما الذى تملكه البنات اليوم؟ ذهب، فضة، ملابس، سيارات، منازل، وغيرها .. فمهما ملكت البنات، فهو من حطام الدنيا، ولا يزيد الناس إلا غرورًا، يقول الله تعالى في سورة فاطر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾[فاطر].

ولنغير نظرتنا للزينة؛ فهي اختبار من الله للناس، يقول تعالى في سورة الكهف: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧﴾[الكهف]، فالمسلمة التى تدخل مدرسة سليمان في التوبة، لابد لها أن تغير طريقة تعاملها مع متاع الدنيا التى رزقها الله إياها، وحتى

تتجنب الغرور والكبر بما فى يديها من نعم، عليها بكثرة الذكر والتسبيح والاستغفار والشكر، والحمد لله فى الأولى والآخرة.

فهى تذكر نفسها دائمًا أن هذه النعم جاءت رزقًا كريمًا من الله عز وجل، وليس نتيجة لعملها أو قدراتها. فكم من الفتيات يعتبرن جمالهن وسيلة للتعالى والتكبر على غيرهن من الفتيات اللاتى لم يحظين بهذا القسط من الجمال، فالذى أعطاها الجمال قادر على أن يسلبه منها فى لحظة. فكم تكثر الحوادث!، وكم تكثر الأمراض التى يصاب بها الناس فتأخذ منهم الجمال والشباب ولا يرجع ثانية!، فلتتذكر الله وتشكر نعمته عليها، وتدعه أن يزيدها من فضله، وألا يجعلها فتنة لغيرها من المؤمنين.

وشكر نعمة الجمال يأتى أيضًا بالمحافظة عليه فى الظاهر وفى الباطن، فتحافظ على نوعية طعامها، ولا تأكل إلا الطيب، وتقوم بالأنشطة الجسمية الرياضية والأعمال التى تحفظ جمالها وشبابها من العجز المبكر، الذى يظهر فى صورة السمنة، وانحناء الظهر، وسقوط الشعر، وخشونة الجلد، وتسوس الأسنان أو سقوطها، وفقر الدم، وغيرها من الأمراض التى يصاب بها الفتيات رغم صغر سنهن.

وشكر نعمة الجمال أيضًا، بالمحافظة عليه من أن يسلب نظرات الغير من الرجال الذين لا يحل لهم ذلك، فلتطع الفتاة ربها، وتشكر نعمة جمالها، بارتداء الحجاب، الذى يحفظ جمالها، ويصون عفافها وكرامتها، ولتتذكر الله، ولتعلم أن هذه مرحلة من مراحل حياة الفرد.

فالزهرة عندما تتفتح ويفوح عبيرها، فما يليها هو الذبول والسقوط والجفاف، ولنتدبر كيف وصف الله الحياة الدنيا فى سورة الحديد: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

فإذا نظرنا إلى مراحل نمو الإنسان، نجد أن حياة الأطفال لعب ولهو، ثم تنمو البنت، فتصير شابة، ويظهر عليها ملامح الجمال والنضوج، فتبدأ فى التزين والنظر إلى المرآة، والاهتمام بالمظهر واللبس وجمال الوجه والزينة، وجمال الشعر والجسم، ثم تدخل فى مرحلة النضج والرشد، وتبدأ فى التفاخر بنفسها وزوجها وأولادها وعلمها وعملها ومركزها.

ثم يكبر الأولاد ويتزوجون ويتكاثرون فى الأموال والأولاد.

فكل مرحلة إذن لها ما تتزين به وتتفاخر به وتهتم به، فلا تهتم الشابة بجمع المال وتخزينه، بقدر ما تهتم باللهو والزينة والتفاخر.

لقد خاف رسول الله محمد ﷺ على المسلمين من زينة الدينا وزهرتها.

عن أبى سعيد الخدرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر، وجلسنا حوله، فقال: «**إن مما أخاف عليكم من بعدى، ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**» [متفق عليه][(١)].

وخشى ﷺ أن تبسط الدنيا على المسلمين كما بسطت على الأمم السابقة، فيتنافسوها كما تنافسها من قبلهم، فتهلكهم كما أهلكت من قبلهم من الأمم.

فالخوف هنا من التنافس والمشاجرة وحب النفس ونسيان رسالة المسلم فى الحياة، فتقل درجة الإيمان، ويبعد الإنسان عن ذكر ربه وتلهيه الدنيا بما فيها. وذكر الله تعالى فى سورة الكهف: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف:٤٦]. والباقيات الصالحات هى: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بأن يصبر نفسه مع المؤمنين، ولا يتركهم ليحظى بزينة الدنيا وما فيها، يقول تعالى فى سورة الكهف: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف:٢٨].

وربما تتساءل الفتيات: هل تترك زينة الحياة الدنيا وخيرها وجمالها، وتلجأ إلى التعبد والزهد؟ هل هذا المتاع حرام؟ كيف تعمل فيما آتاها الله من نعم؟

إذا دخلت الفتاة المسلمة مدرسة سليمان فى التوبة، فستحل لها هذه المسائل، وستمر عليها الأزمة بسلام إن شاء الله. لقد وجد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ نفسه أمام نعمة من نعم الله بجمالها وعظمتها وقوتها، فأعجب بهذا الوضع، ولم يذكر ربه الذى أعطاه هذه المنزلة، ومن الذى أعطى هذه الجياد وهذا الجمال والروعة والعظمة، ومن الذى أقدره على الرؤية والاطلاع، ومن الذى حباه نعمة الإحساس بالحب والفرح: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص].

كان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ سريع الرجوع إلى ربه، وسريع التذكر، فليس النسيان عيبًا فى البشر، إنه صفة خلق بها، وقد رفع الله تعالى عن أمة الإسلام الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

فلنا جميعًا متع الحياة الدنيا، ولكن كيف؟! فلنتذكر أن رسول الله ﷺ عندما علم بأمر الثلاثة الذين جاءوا إلى زوجته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان أحدهم يقوم الليل ولا ينام، والثانى

---

(١) البخارى فى الزكاة (١٤٦٥)، ومسلم فى الزكاة (١٠٥٢/١٢٣).

يصوم النهار ولا يفطر، والثالث لا يتزوج النساء، فلم يثن عليهم رسول الله محمد ﷺ، ولكنه أعلمهم أنه يصوم ويفطر، ويصلى وينام، ويتزوج النساء، وأنه من رغب عن سنته فليس منه ﷺ (١).

فلم يأت الأنبياء والرسل بما لا يطيق البشر، بل جاءوا بما يطيقه البشر، فلم يكونوا ملائكة ولا رسالتهم خارقة.

- تحتاج الفتيات أن يضعن النعم والخيرات التى وهبهن الله إياها فى مكانها الصحيح.

لقد وصل الحال بالشباب، إلى استخدام قوتهم وجمالهم فيما لا يصح أن تستخدم، وفى غير محلها.

لقد أصبح الشباب يتدربون على الألعاب والمهارات الرياضية، ويتفرغون لها؛ لبناء العضلات، وتحسين شكل الجسم، ويذهب الشاب إلى المراكز الرياضية، وإلى النوادى؛ لكى يصل إلى ما يرضى نفسه فى ذلك، ولكن لماذا؟ أين الهدف من هذه النعم والخيرات؟

لو سألت الشاب ربما يجيب عن ذلك بعدة إجابات، منها:

اكتساب شكل جميل، الفوز بالميدالية الذهبية أو الفضية، أو البرونزية، الحصول على بطولات عالمية، الحصول على إعجاب الفتيات، الحصول على مكانة بين الزملاء والأصحاب ... إلخ.

على أية حال، لا يوجد ضمن ما سيقوله معظم هؤلاء الشباب أن سعيه لبناء العضلات والقوة البدنية هى التهيئة للجهاد أو للدفاع عن الدين أو الوطن، بل ربما يسعى هؤلاء المتظاهرون بالقوة إلى الهروب من الخدمة العسكرية.

وعندما تنظر إلى الفتيات المراهقات اليوم، فستجد أن منهن من تستخدم نعم الله وخيراته التى أنعم بها عليها فى أحسن فترات عمرها وجمالها فيما لا يرضى عنه الله ورسوله. نعم، لها أن تتمتع، ولها أن تحب الجمال والرشاقة والتزين والظهور والصحة، ولكن لمن هذا؟

الإجابة هى التى ستفرق بين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، وستوضح من جعل هواه لرضاء الشيطان وأعوانه، ومن يجعل هواه تبعًا لما جاء به رسول الله ﷺ.

ربما تخون الفتاة نفسها، فتقول: إن هذا الأمر يخصنى وأن هذه الزينة لنفسى، وأننى لا

---

(١) البخارى فى النكاح (٥٠٦٣).

يهمنى غيرى، وأن كل واحد مسئول عن نفسه، وأن الشباب عليه أن يغض بصره وأن ... وأن ... وأن ... فالتحايل على الحق ليس له نهاية، طالما أن الفيصل هو النفس والهوى، وطالما أن الهوى يتبع خطوات الشيطان.

ربما تسأل الفتيات إذا لم تحب الدنيا، فهل تزهد فيها؟ الدنيا فيها الحلال والحرام، فيها الطيب والخبيث، فيها ما يرضى الله وما يغضبه، فيها الصواب والخطأ، فيها كل المتناقضات، والأخت المسلمة الفطنة هى التى تتمتع بها فيما يرضى الله، وتأخذ الطيب وتصطفيه، وتقدر على التفرقة بين الصواب والخطأ، فليست الزهادة فى الدينا بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال.

وإذا كان حب الله وحب الناس مطلوبًا، فإن رسول الله محمدًا ﷺ قد أحل هذا الطلب فى الزهد، فعندما سأله رجل أن يدله على عمل إذا عمله أحبه الله وأحبه الناس قال ﷺ: **«ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس»**[١].

والزهد فى الدنيا لا يمنع من التمتع بها والإحساس بجمالها، ولكنه يقف حائلًا بين المرء والطمع فى الدنيا، وعدم الشبع منها وحبها إلى درجة نسيان النفس. قال ﷺ: **«حبب إلىّ من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عينى فى الصلاة »**[٢].

هكذا لم يضع محمد ﷺ الصلاة فى درجات حبه للنساء والطيب نفسها، ولكن هذا أمر الدنيا، وأمر الدين فجعلت رضا نفسه وقرة عينه فى الصلاة.

طلب الدنيا والآخرة:

فى سورة ص: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص:٣٥].

قال محمد ﷺ: **«قال سليمان: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، كل واحدة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن، فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذى نفسى بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله»** [أخرجه البخارى][٣].

فهذه قصة لسيدنا سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حكاها لنا رسول الله محمد ﷺ، وهى توضح كيف

---

(١) ابن ماجه فى الزهد (٤١٠٢)، وفى الزوائد: «فى إسناده خالد بن عمرو، وهو ضعيف متفق على ضعفه، واتهم بالوضع ...»، وصحح إسناده الشيخ الألبانى.

(٢) النسائى فى عشرة النساء (٣٩٣٩)، وأحمد (١٢٨/٣، ١٩٩).

(٣) البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٤٢٤).

أعطى الله تعالى قوة وقدرات غير عادية لنبيه سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكيف أظهر سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هذه القدرة وتحدث بها، وماذا كانت نيته من هذا العمل، لكن لم يأت القدر بما تمنى سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فلم يقل: إن شاء الله، وهو يعلم - وهو نبى - أن الله بيده ملكوت السموات والأرض، وهو يقضى ولا يقضى عليه، إلا أن عدم الذكر مع التمنى والتوقع، اعتبره سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ذنبًا، طلب من ربه أن يغفره له.

وتعلمنا مدرسة سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كيف أن طلب المغفرة والعفو لا يعنى ترك الدنيا وما فيها من نعيم وخيرات، وأن هذا النعيم لا يمنع من عبادة الله والفوز بجنته.

وهذه هى سنة رسول الله محمد ﷺ، فقد كان يدعو: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة].

والمسلم يسأل الله حسن ثواب الدنيا والآخرة.

فالإسلام لا يمنع التمتع بالدنيا وزينتها، بل يجعلها عبادة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام] .. فكل ما فى الحياة من فرحة وألم، غنى وفقر، صحة ومرض، كلها من الله رب العالمين، وعلى المؤمن أن يرضى بما قدر الله له من خير، وأن يطلب دائمًا سعادة الدارين الدنيا والآخرة، ويتعجب الرسول ﷺ من أمر المؤمن؛ لأن كل أمره خير: «**إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»[(١)].

فالخير للمؤمن فى كل الأحوال؛ فهو يرى بنظارة الإيمان بالله، وجميل التوكل عليه، وحسن الإنابة إليه، وهو ما يختلف عن زاوية النظر عند غيره من الناس، والذين لم يحظوا بمثل هذه النعم - نعمة الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ونعمة الإسلام، ونعمة حب الله ورسوله.

فهذا الثانى يرى الخير فلا يعترف به، ويرى الشر فلا يصبر عليه. فكيف إذا جاءت له الدنيا بما فيها، فلا يشبع ولا يعترف بها، ولا يشكر النعمة، ولا يحافظ عليها، وقليلا ما يشكرون.

لماذا الأخوات المسلمات خريجات مدرسة سليمان فى التوبة أكثر حظًّا من غيرهن؟ ربما

---

(١) مسلم فى الزهد والرقائق (٦٤/٢٩٩٩).

تجيبكِ السطور القادمة على السؤال، وربما تجدين فى نفسك إجابات أخرى، وفى كل الأحوال هن كذلك:

– يتمتعن بزينة الدنيا والتى أخرجها الله لعباده، يقول تعالى فى سورة الأعراف: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[الأعراف:٣٢].

هل الأخت المسلمة تحرم نفسها من ملبس أو مأكل أو زينة أو الترفيه أو العلم أو ما فى الدنيا من خير؟

عندما تجدين كيف تعانى البنات والسيدات باتباعهن رچيم الشرق ورچيم الغرب ورچيم الصين، وغيرها من الأنظمة البشرية، فتحرم نفسها من طعام ما وتحرمه على نفسها، كالذين يمتنعون عن تناول اللحوم والمنتجات الحيوانية، والذين يمتنعون عن تناول الخبز، والذين يمتنعون عن تناول الفواكه وغيرها؛ من أجل الوصول إلى صورة ترضيهم وترضى الناس عنهم.

تجدين المسلمة المؤمنة بالله ورسوله، تجعل هواها لما جاء به رسول الله محمد ﷺ، فتتبع سنته وطريقة حياته، فتفوز بالدنيا والآخرة، فلا تأكل إلا عندما تجوع، ولا تملأ معدتها عند الطعام؛ فثلث للطعام وثلث للماء وثلث للنفس، وتصوم وتعمل وتخدم نفسها، وتمشى فى الأسواق لقضاء حاجتها دون حرج أو تكبر، وتقدم المساعدة لغيرها وتمشى فى قضاء حوائج المسلمين.

وبعد اتباع هذه السنة المعطرة، سنة رسول الله محمد ﷺ، فهل تحتاج المسلمة الصالحة لسنة الغرب أو الشرق، لسنة من لا ملة ولا دين لهم، لسنة أعداء الدين والإسلام لسنة المغضوب عليهم والضالين؟ .. لا .. لا.

فالمسلمة لا ترضى عن سنة رسول الله ﷺ بديلًا. وعندما تجرى الفتيات وراء الموضة وسنة أعداء الإسلام فى اللبس والزينة، فإنها ستجد نفسها لا يرضيها ما عندها ولا يكفيها ما تمتلكه فكل يوم جديد وليس بجديد، فالقديم اليوم هو كذلك لكى يباع جديدًا، وكل عام يتفق أعداء الدين – وكلهم أولياء بعض – على أن يظهروا جزءًا من جسم المرأة والفتاة.

فهذا العام تظهر جزءًا من بطنها، وهذا العام تلبس أحمر لاصقًا على الجسم، والعام القادم تظهر جزءًا معينًا من صدرها، ويكون طول الفستان أو (الجيبة) فوق الركبة بمقدار كذا ...

وهكذا. وتمشى الفتيات المحرومات من العلم والدين والعقل وراء الضالين والمغضوب عليهم؛ لعلها ترضى نفسها وهواها، وتساير أحدث خطوط الموضة، ومدارس الأزياء الراقية لمنازل الشياطين.

ولكن الطاهرات المؤمنات القانتات الصالحات، لا يحرمن أنفسهن من الزينة؛ فكل الطيبات حل لهن، ولهن كل ما يرغبن فى الزينة ويستخدمنها كما يرضى الله ورسوله، فتأخذ الدنيا والآخرة، فلا تظهر إلا ما أمر به الشرع: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[النور:٣١].

فهذا هو الإطار الربانى للمؤمنات اللاتى يلتزمن بدينهن، فالزينة ليست لكل الناس، والفتاة ليست بضاعة رخيصة، تعرض فى الشوارع على المحطات وفى الأتوبيسات وفى الجامعات وفى المدارس وفى الأسواق، وعلى شاشات التلفزيونات وشاشات الحاسبات وأوراق الجرائد والمجلات، إنها غالية الثمن، أغلى من الذهب الذى يحفظ فى البترينات وعلب القطيفة، ويهدى للغاليات، هى أغلى من الفواكه التى تحفظ فى علب مغطاة، وفى درجة حرارة مناسبة، ولا تباع إلا للقادرين من الناس.

هى أشرف المخلوقات وأكرمهم، فكيف ترضى لنفسها أن تسقط وتقل قيمتها عن رغيف الخبز الذى يباع على الأرصفة، فهذا الرغيف الرخيص له ثمن، أما من عرضت نفسها لكل الناس ليصيبوا من حسنها وجمالها، لا أجر لها؛ إنها بلا ثمن. فأى فرق ومنزلة وكرامة إذن بين هذه الفتيات وبين المؤمنات لا يمكن وضعهن فى مقارنة إطلاقًا!

- الأخوات المسلمات يستطعن الاستمتاع بزينة الدنيا، ويحظين بحسن ثواب الآخرة، أما الأخريات فغايتهن الدنيا، ويكفى أنها دنيا قصيرة الأجل نهايتها تراب وآخرها عذاب.

- المسلمات الصالحات يشبعن حاجاتهن من الدنيا من مأكل ومشرب وزينة وملبس وعلم وعمل، ويتوكلن على الله فى كل أعمالهن، ويطلبن من الله العون الدائم والتوفيق والسداد والرشد والفلاح والمغفرة إذا أخطأن، وحسن البصيرة فى الأمور وحب الله وحب

رسوله وحب الخير للناس جميعًا، وهن أنفع الناس للناس، هن يعملن ويتوكلن على الله فى كل أحوالهن حق توكله، فيحدثن توازنا فى حياتهن، فلا يهمهن لوم لائم، ولا هجوم حاقد، رضاء الله هو أسمى ما يطلبن، وطاعته وطاعة رسوله هى سبيلهن فى الحياة.

فهل هذه الفتاة تقارن بغيرها، شتان بينها وبين من ارتضت بزينة الحياة الدنيا وحطامها.

المؤمنة ليست من الذين يقولون: ربنا آتنا فى الدنيا وما لها فى الآخرة من نصيب.

إنما تدعو الله أن يرزقها حسن ثواب الدنيا والآخرة، فهى تسعى بالدنيا وتسعى إلى الآخرة، فكان سعيها مشكورًا، يقول الله تعالى فى سورة الإسراء: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء].

ولا تتعجب العاصيات من عطاء الله لهن، أو يطمئن قلبهن لذلك؛ فعطاء الله ليس محظورًا على أحد.

يقول الله تعالى فى سورة الإسراء: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء].

ذكر الله غفران للذنوب:

قال تعالى فى سورة ص: ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾.

الأخت المؤمنة التى تدخل مدرسة سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة، لا تجد سبيلًا للنجاة من الذنوب والإنابة إلى الله تعالى غير الذكر - ذكر الله سبحانه وتعالى - فى قلبها وبلسانها، وفى عقلها، وتحفظه فى ذهنها، وتعتبر بهذا الذكر، وتنصح نفسها وغيرها به.

قال تعالى فى سورة آل عمران: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران].

المؤمنة الفطنة تدرك معنى الفاحشة وماهيتها، وتعرف متى تظلم نفسها، فتسرع بالإنابة إلى الله فتستغفر لذنبها، هى لا تترك الظروف لتسيرها كما تسيرها، ولا تترك الناس تتحكم فيها، ثم تكون العاقبة عليها والحساب على نفسها يوم القيامة.

فهى هنا أحكمت عقلها، واستفادت بعلمها وآيات الله وسنة رسوله، فذكرت ربها، ولم ترض بحالها إلا ما يرضى الله تعالى.

يقول الله عز وجل فى سورة الأحزاب: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

لم تغفل الأخت الصالحة عن الذكر لحظة واحد، فلسانها رطب بذكر الله وخطواتها استغفار، وصعودها تكبير، ونزولها تسبيح وتهليل، فهى تنتظر ما أعده الله لها من مغفرة وأجر عظيم.

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب].

أصبحت حياة المؤمنة ذكرًا - صباحًا ومساء - واستغفارًا، فهل هناك وقت إذن لاتباع خطوات الشيطان؟!، هل هناك وقت لسماع أغانى اللهو والنطق بها؟!، هل هناك وقت للحديث عبر الهاتف فيما يغضب الله؟!، هل هناك وقت للجلوس بالساعات أمام الحاسب لمخاطبة الغرباء أو أصحاب اللغو واللهو، والذين لا يذكرون الله إلا قليلًا؟!

لم يصبح فى القلب غيره هو، لم يصبح على اللسان من كلمات غير كلامه هو، لم يصبح فى العقل غيره هو: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر].

وأى فضل تسعى إليه الأخت أكبر من فضل ذكر الله لها.

تفرح الأخت عندما يذكرها من تقدره وتحترمه وتعزه، فأى فرح وأى متعة وأى سعادة عندما يذكرها الله خالق البشر أجمعين؟!، يقول تعالى فى سورة البقرة: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢].

وذكر الله عز وجل ثناء على عباده – فضلًا منه ومنة ونعمة – فهو يخرج المؤمنين من الظلمات إلى النور بإذنه تعالى.

فلا تحتاج المؤمنة الصالحة لكثير من الاستشارات ممن لا يفقهون، وأصحاب العلم غير القائم على اتباع سنة الله ورسوله .. إنه علم أصحاب الجهل، الذين يضلون الناس على غير علم بدين الله .. هو علم المغضوب عليهم والضالين.

لماذا تنشغل الأخت بالدنيا ومشكلاتها بعد أن عرفت أن الله عز وجل سيعطيها بفضل ذكره أفضل ما يعطى السائلين؟!، لماذا تنشغل بأعمال لا خير فيها، بعد أن أدركت أن ذكر الله تعالى خير الأعمال وأزكاها؟!

لماذا تترك نفسها لهموم الدنيا ولغو ولهو حديثها، فيكون ذلك عليها حسرة يوم القيامة على ما فرطت فى ذكر الله؟!

لماذا تترك ظل الله فى الجنة يوم الحساب، والذى يحظى به الذاكرون والذاكرات؟ لقد أيقنت الأخت المسلمة هذا الفضل العظيم، فعكفت على ذكر الله فى نفسها تضرعًا وخفية، وقيامًا وقعودًا وبكرة وأصيلًا، وفى جميع أحوالها.

وهى لم تكتف بذلك لقد جمعت واجتمعت مع الصالحات فى روضة الجنة، فى مجالس العلم، فى رحاب رحمة الله رب العالمين، وأخذن يذكرن الله ويتلون آياته، فحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده .. فهن الجليسات اللاتى لا يشقى بهن جليستهن.

وإذا كانت جميع الأعمال ستوضع يوم القيامة على الميزان، فإن لا إله إلا الله لا توضع فى ميزان.

قال ﷺ لأبى هريرة: **«يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله، فإنها لا توضع فى ميزان؛ لأنها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقًا، ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن، كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك»**[(١)].

فذكر لا إله إلا الله أفضل ما قاله النبيون، وهى ما يفتح بها أبواب الجنة، وهى من أسباب محو الخطايا والذنوب، ورفع الدرجات، وهى من أفضل الذكر الذى لا يجب أن تنساها الأخوات طوال اليوم والليلة.

---

(١) إتحاف السادة المتقين (٥/١١).

وللمسلمة كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، وهما: «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»(١). وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وهى من الأذكار التى يثاب قائلها بغفران الذنب إن شاء الله، وهى من أحب الكلام إلى الله عز وجل.

***

(١) البخارى فى الدعوات (٦٤٠٦)، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٤/٣١).



الباب الثانى
تصنيفات الذنوب

الفصل الأول : تصنيف الذنوب حسب الجهات المسببة للذنب.

الفصل الثانى : تصنيف الذنوب حسب حجم الذنب.

الفصل الثالث : تصنيف الذنوب حسب أصحاب الحقوق.



الباب الثانى
تصنيفات الذنوب



مقدمة:

الذنب: هو المحرم من الأعمال، وجمعه ذنوب.

ويتم تناول هذا الجزء من خلال تصنيف الذنوب إلى ثلاثة أقسام، بحيث يتم شرح وتوضيح مجموعة من الذنوب وبعض تطبيقاتها، بما يفيد فى عدم الوقوع فى ارتكابها.

القسم الأول: يختص بالذنوب التى يكون سببها الإنسان نفسه، سواء أكان مصدرها العقل أو القلب، أو جوارحه وحواسه، أو نفسه وهواه، أو طبيعة خلقه، أو كان سببها الشيطان، أو كان سببها الناس وإفسادهم وظلمهم.

والقسم الثانى: يوضح كثيرًا من الذنوب التى تقع تحت عنوان الكبائر أو تدخل فى إطارها، سواء ما جاء فى حديث صريح بأنها من الكبائر، أو ما عظمتها بعض آيات القرآن الكريم.

القسم الثالث من الذنوب: هو بعض ما يرتكبه الفرد فى حق الله أو فى حق الناس، وهم جميعًا أكثر من ثمانين ذنبًا، يمكن للقارئ أن يتعرف عليهم، فتنير له طريق التوبة إلى الله – عز وجل.

❊ ❊ ❊

الفصل الأول
تصنيف الذنوب حسب الجهات المسببة للذنب
[الإنسان - الناس - الشيطان]



ربما يسأل الناس بعضهم، أو يسألون أنفسهم، أو يتساءلون فيما بينهم عن الأسباب التى توقعهم فى الذنب، فالبعض يقول: أنا السبب، والبعض يقول: الناس السبب، والبعض يقولون: الشيطان السبب، وآخرون يعجزون عن معرفة السبب، ويعزونه إلى القضاء والقدر.

ويوضح هذا الجزء تصنيفًا للذنوب حسب الجهة المسببة له، وتم تصنيف هذه الجهات إلى ثلاث؛ فمنها ما يتعلق بالإنسان نفسه، سواء أكان السبب فى الذنب عقله، أو جوارحه، أو نفسه، وما يتعلق بالناس، وهم الذين يتعايشون ويتفاعلون مع الإنسان فى أوقاته المختلفة، وما يتعلق بالشيطان.

وهذا التصنيف ليس جامعًا مانعًا، ولكنه يعتمد أساسًا على آيات الله عز وجل، وأحاديث للرسول ﷺ، وربما يساعد التصنيف على معرفة الجهة المسببة للذنب، وتعدد أنواع الذنوب، واشتراك أكثر من جهة فى ذنب واحد، وهو ما يخلط الأمر لدى كثير من الناس، مثل الوسوسة والأمر بالسوء، والجدال، والنسيان، والظلم، ولكنه كلما تقربنا إلى الله العزيز القدير كلما زادت البصيرة لمعرفة الخطوط الفاصلة والأسباب المؤدية للذنب، ومن ثم الوصول إلى وسائل العلاج، وحدوث التوبة، كما يحب الله ويرضى.

١- أسباب ارتكاب الذنوب المتعلقة بالإنسان نفسه:

عندما خلق الله – عز وجل – آدم عليه الصلاة والسلام، اختار مادة جسده من الطين، بما يحمل هذا الطين من صفات وخصائص، تجعله حينًا صلبًا وحينًا لينًا ومطموسًا أو لامعًا، وقويًّا أو هينًا أو ما بين ذلك من صفات، ونفخ فيه من روحه عز وجل، وعلمه الأسماء كلها، وأمر الملائكة بالسجود له، وعرض عليه الأمانة، التى أبت أن تحملها الأرض والسماء والجبال.

وكان عليه عبادة الله وإعمار الأرض، والتناسل فيها، والتعايش فى جماعات وأمم، وخلق الله تعالى لهذا الإنسان عقلًا، وقلبًا، وجعل له جوارح ونفسًا.

وهذه كانت للإنسان وعليه، فإذا استخدمها لعبادة الله وتحمل الأمانة، فهى له فى الدنيا وفى الآخرة، وإذا اتبع قصورها وضعفها وهواها وفجورها، فقد خسر الدنيا والآخرة، وذلك الخسران المبين.

أ- عقل الإنسان:

ابتلى الله الإنسان بالنسيان منذ بدء خلقه، فقد نسى آدم عليه الصلاة والسلام ما أمره الله به، فوقع فى العصيان، ولقصور عقل الإنسان، فإنه لا يثبت على حال، فربما اعتقد شيئًا اليوم، وأنكره غدًا.

وكثيرًا ما يصاب الإنسان بالغفلة والنسيان المؤقت، ثم الرجوع إلى حالته الأولى، ولاعتقاده أنه على صواب، فإنه يحاول الجدال؛ من أجل الانتصار للنفس وإقناع الآخرين برأيه، وهو لا يستطيع أن يحيط علمًا بكل الأمور حوله؛ ولذلك فكثير من الناس لا يعلمون، والأدهى من ذلك الأمر أنهم لا يعلمون أنهم لا يعلمون أو يجهلون.

وتقرب لنا الآيات القرآنية قصور عقل الإنسان، يقول الله تعالى فى سورة الزمر: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزُّمر:٨].

توضح الآية أن النسيان يؤدى إلى التحول وتغير المسار، وأن الكفر لا يمنع من تمتع الإنسان، ولكن هذا متاع الغرور ومتاع الزوال. وأن متع الجسد والجوارح والنفس والقلب، توقف عمل العقل، إذا لم يكن محصنًا بالإيمان.

ويقول تعالى فى سورة الزمر: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الزُّمر:٤٩].

توضح الآية تحولات الإنسان وكذبه على نفسه وعقله، فقد أدرك حين البأس أن الله ربه، ولكنه عند النعمة بخل على نفسه بالشكر لرب العالمين، وتوضح الآية أن هذه نوعية من الناس، وهم الذين لا ينسون، بل يتناسون جحودًا وكفرًا بالله.

وسورة البقرة توضح كيف أن الإنسان ينسى نفسه كما ينسى غيره، فلا ينظر لأعماله

وسلوكه وأحواله، ولكنه ينشغل بغيره من الناس، وكأنه يريد لهم المصلحة والبر يقول تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[البقرة:٤٤].

ويقول الله تعالى فى سورة يونس: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾[يونس:٩٢].

لقد نسى الناس أنفسهم، وغرتهم الحياة الدنيا حتى أتاهم الموت فى لحظة لم يحسبوا لها حسابًا، فإذا بهم بعد الغفلة عن آيات الله تنتهى حياتهم، فيخرجون من القصور إلى القبور، ومن النعيم إلى الجحيم، ومن الصحبة والألفة إلى الوحدة والوحشة.

فكم دار فى عقله حوار!، وكم أجرى مع غيره جدالًا!: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾[مريم].

وإذا كان لم ير نفسه، ألم ير الوليد فيتعجب ويرى الميت فيتعظ؟! علام إذن كان يجادل بغير علم؟، يقول تعالى فى سورة الحج: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾﴾[الحج].

فقصور العقل الإنسانى يجعله يعلم ظواهر الأمور ويحكم بها، ويغفل عن الكثير. يقول الله تعالى فى سورة الروم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾[الروم].

ب- قلب الإنسان:

أكد رسول الله محمد ﷺ أن فى الجسد مضغة، لو صلحت لصلح الجسد كله، ألا وهى القلب. وكان يدعو ﷺ بـ **«اللَّهم مصرف القلوب، صرف قلوبنا على طاعتك»**[1].

وأمراض القلوب أصعب من أمراض الأبدان، فالمريض هنا لا يدرى، ولا يعتقد أنه مريض، بل يدافع عن نفسه، ويلتمس لها الأعذار، ويجادل فى سبيل نصرتها، وطبيب القلوب المريضة بالمعصية والمتخصص بالعلاج غير متوفر فى كثير من الأحيان؛ مما يساعد على سرعة انتقال عدوى المرض بين الناس، حتى لا يرى الناس الذنوب ذنوبًا.

يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾[البقرة].

---

(١) مسلم فى القدر (١٧/٢٦٥٤).

وإذا لم يعالج الإنسان قلبه من معصيته، فإن غيرها ستأتى عليها ومعها لا محالة، يقول الله عز وجل فى سورة البقرة: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة:١٠]. وتؤثر الأعمال على قلوب الناس، فإذا ساءت أمرضت القلب وزادت فيه، حتى لا يؤمل علاجه. يقول تعالى فى سورة المائدة: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة:١٣].

ويبين لنا القرآن الكريم، كيف أن القلب الآثم يضر صاحبه، ويدفع جوارحه إلى الوقوع فى الذنب، يقول تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾ [البقرة].

والإسلام يجعل القلب عاقلًا وذاكرًا، ولكنه عندما لا يعقل ويغفل عن ذكر الله، فإن العاقبة هى اتباع الهوى، والإفراط فى الأمر، يقول تعالى فى سورة الكهف: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف].

ويؤدى مرض القلوب إلى الطمع فيما حرم الله، يقول تعالى فى سورة الأحزاب: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب:٣٢]، ويغتاظ القلب ويغل، فيؤدى إلى الكراهية بين الناس، وتسوء العلاقات بينهم، ويستحيل الحب والوئام.

فالإسلام يربى فى المؤمنين تطهير قلوبهم من الغل والغيظ، يقول الله تعالى فى سورة الحشر: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر:١٠]، كما تؤدى غلظة القلب إلى انفكاك الجماعة والشعور بالوحدة، وعدم القدرة على إحداث ترابط اجتماعى فى البيئات المختلفة، يقول الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

ويغلق القلب الإنسانى، فلا يستطيع أن يدخل خيرًا أو يعيى رشدًا، يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة:٨٨]، وهذا فى الدنيا.

أما فى الآخرة فيحجبون عن رؤية الله رب العالمين، يقول الله تعالى فى سورة المطففين: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين]، فعلى قلوب الظالمين غطاء وحجاب كثيف، يجعلهم لا يرون النور؛ فلا يهتدون.

ج - الجوارح:

يقول الرسول محمد ﷺ: **«كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مدرك ذلك لا محالة: العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما السماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»** [رواه البخارى ومسلم][(١)].

اللسان:

ويأتى اللسان فى مقدمة الجوارح، من حيث خطورته على الإنسان، وعلى سعادته أو عذابه فى الدنيا والآخرة، ويعظم الرسول ﷺ مدى خطورته على الإنسان فى الحديث: **«... وهل يكب الناس فى النار على مناخيرهم إلا حصائد ألسنتهم؟!»** [أخرجه الترمذى من حديث معاذ][(٢)].

ويقول ﷺ: **«إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان؛ أى تقول: اتق الله فينا؛ فإنك إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»**[(٣)].

ويحاسب الله تعالى الإنسان على كل ما يصدر منه من ألفاظ، يقول الله تعالى فى سورة ق: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق].

ويوقع اللسان الإنسان فى كثير من الذنوب، ربما يقول المرء: هل اللسان جزء منفصل عن الإنسان وعن إرادته؟

لماذا يكثر الكلام ولا يدرك العقل ما يقول؟ هل هو خارج عن حدود السيطرة؟ ومن الذى يحركه؟ هل العقل أم القلب أم النفس؟

إنها عملية معقدة، فأحيانًا يفكر الإنسان قبل أن ينطق، وأحيانًا ينطق بما يحس قلبه، فيقولون: «اللسان مغرفة القلوب»، وأحيانًا تحركه وتؤثر فيه النفس إذا كانت نقية أو فاجرة. ولكن مما لا شك فيه أن العقل المريض والقلب المريض لا يجتمعان فى نفس نقية مطمئنة برضاء الله وبذكره، وأن النفس الخبيثة لا تجتمع مع قلب موصول بالله ساكن وقور. ومن حصائد اللسان وآفاته التى توقع فى الذنوب:

---

(١) البخارى فى القدر (٦٦١٢)، ومسلم فى القدر (٢١/٢٦٥٧).

(٢) الترمذى فى الإيمان (٢٦١٦)، وقال: «حسن صحيح».

(٣) الترمذى فى الزهد (٢٤٠٧).

فضول الكلام:

يقول الله تعالى فى سورة النساء: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[النساء:١١٤].

وفضول الكلام دخل فى عصرنا فى إطار الاستخدام التكنولوجي، وأعنى به الدردشة على الإنترنت بين الشباب والشابات، الذين لا يرمون من وراء هذا الاستخدام السيئ للتكنولجيا، إلا الاستهلاك للمال والوقت والجهد فيما لا ينفع أيًّا من المتحاورين.

وكثيرًا ما تجد النساء والبنات المجال واسعًا لفضول الكلام من خلال استخدام الهاتف المنزلى أو الجوال، فتكون المصيبة ضياع الدين والدنيا معًا.

- الخوض فى الباطل:

يقول تعالى فى سورة النساء: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء:١٤٠]. ويقول الرسول ﷺ: «**أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا فى الباطل**»(١).

- التقعر والتكلف فى الكلام:

قال ﷺ: «**إن أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلسًا: الثرثارون والمتفيهقون والمتشدقون فى الكلام**» [أخرجه أحمد من حديث أبى ثعلبة](٢).

- الفحش والسب وبذاءة اللسان:

قال ﷺ: «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء**» [أخرجه الترمذى بإسناد صحيح](٣).

- المزاح والمراء:

قال ﷺ: «**لا تمار أخاك ولا تمازحه**» [أخرجه الترمذى](٤).

---

(١) إتحاف السادة المتقين (٧/ ٤٦٩).

(٢) أحمد (٤/ ١٩٣)، وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب (٣/ ٤١٢): «رواة أحمد رواة الصحيح».

(٣) الترمذى فى البر والصلة (١٩٧٧)، وقال: «حسن غريب».

(٤) الترمذى فى البر والصلة (١٩٩٥)، وقال: «حسن غريب».

- الغيبة:

وهي ذكرك أخاك بما يكره[(١)]، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[الحُجُرات:١٢].

- التنابز بالألقاب:

يعني: يتنادون بالألقاب القبيحة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾[الحُجُرات:١١].

- المن:

يعني تعيير الغير بما يقدم لهم من خير، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[البقرة:٢٦٤].

قال ﷺ: **«ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنان»** [رواه النسائي][(٢)].

- النميمة:

تعني الإفساد بين الناس، بنقل حديث هدفه الإفساد، قال تعالى في سورة القلم: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾[القلم].

-السب واللعن:

قال ﷺ: **«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»**[(٣)].

وقال ﷺ: **«لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»** [رواه مسلم][(٤)].

- الكذب:

قال ﷺ: **«كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثًا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب»**[(٥)].

---

(١) أبو داود في الأدب (٤٨٧٤)، والترمذي في البر والصلة (١٩٣٤)، وقال: «حسن صحيح».

(٢) النسائي في الزكاة (٢٥٦٢).

(٣) البخاري في الفتن (٧٠٧٦)، ومسلم في الإيمان (٦٤/١١٦).

(٤) مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٩٨/٨٥).

(٥) أبو داود في الأدب (٤٩٧١)، وأحمد (٤/١٨٣).

وقال تعالى فى سورة غافر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾[غافر:٢٨]. وقال ﷺ: **«إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث»** [متفق عليه][(١)].

قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾[هود:١٨].

- قذف المحصنات:

«الاتهام بالزنا»، قال تعالى فى سورة النور: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾[النور:٢٣].

- النياحة:

والدعاء بالويل عند المصيبة: قال ﷺ: «اثنتان فى الناس هما بهم كفر؛ الطعن فى النَّسَبِ والنياحة على الميت» [رواه مسلم][(٢)].

- قول الزور:

قال تعالى فى سورة الحج: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج].

وقال ﷺ: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؛ الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت»** [رواه البخارى][(٣)].

ذنوب اليد: «أول جريمة على الأرض كانت باليد»:

اليد تسرق وتقتل وتبطش، وتكتب كذبًا، وتتحدث كذبًا بالإشارة، وتصافح حرامًا، وتقطع رحمًا، وتهمل وترمى الخيرات، وتحمل كأسًا محرمًا، وتمسك سيجارة أو شيشة أو حشيشًا، أو أى مخدر آخر، وهى جميعًا مما حرم الله على المؤمنين، وتقلع شجرة، وتحرق أثاثًا أو متاعًا، وتفسد طعامًا، وتكشف عورة، وتلمس جسدًا أو شعرًا حرامًا، وتأخذ مالًا حرامًا، وتعين عدوًّا، فهذا قليل من كثير، وإذا كان هذا عملها فى الدنيا، فكيف يتصور عملها فى الآخرة؟! إنها مسئولة ومستنطقة وشاهدة على أصحابها، عندما يسئل الجانى، فيجيب كذبًا، فتنطق يداه صدقًا بما صنعت، فيسألها صاحبها لما شهدتِ علىّ، فتقول: أنطقنا الذى أنطق كل شىء.

---

(١) البخارى فى الأدب (٦٠٦٦)، ومسلم فى البر والصلة والآداب (٢٨/٢٥٦٣).

(٢) مسلم فى الإيمان (١٢١/٦٧).

(٣) البخارى الأدب (٥٩٧٦، ٥٩٧٧).

يقول الله تعالى فى سورة الروم: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[الروم:٤١]، فظهر فى التلوث، وظهر فى الخراب والدمار والحروب والأمراض والفتن والقتل، ويقول الله تعالى فى سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾[الحشر].

لقد فعل اليهود ذلك مع الرسول ﷺ، وشاقوا الله ورسوله، فكان الخراب على أيديهم.

ويقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥]، ويقول سبحانه وتعالى فى سورة البقرة أيضًا: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٧٩]، ويقول الله تعالى فى سورة المائدة: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ [المائدة:٢٨].

فهذه أول جريمة لبنى آدم على سطح الأرض، وهى القتل.

ذنوب العين:

العين تغفل عن حفظ الأمانة، والعين تنظر إلى ما حرم الله من عورات، والعين تهمل النظر فى ملكوت السموات والأرض، وتهمل النظر فى سير السابقين، والعين تقصر فى قراءة القرآن وكتب الصالحين، وتقرأ كتب الغاوين، العين تنظر ولا تتفكر فى الخلق، والعين ترى حال الضعفاء والمستضعفين ولا تعين صاحبها على مساعدتهم، والعين لا تدمع من خشية الله، والعين تصيب بالحسد وتضر حتى صاحبها، والعين لا تغض البصر عن محارم الله، والعين ترى غضب الوالدين ولا تبرهما، والعين تقتل الوقت بدوام النظر إلى ما يلهى النفس عن الذكر، ويلهى العقل عن الفكر. يقول الله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾[الأنعام:١٠٤].

فهذه عين تنجى صاحبها من النار، وعين توقع صاحبها فى الجحيم، يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة:٧]، وهو ما يمنع أصحابها من التفكر والنظر فى مخلوقات الله.

ويأمر الله تعالى المؤمنين فى سورة النور بغض البصر، وعلاقة ذلك بحفظ الفرج: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور:٣٠].

ويبين الله تعالى فى العديد من سور القرآن الكريم أن النظر كان يكفى الإنسان لمعرفة خالقه ووقايته من الكفر، يقول الله تعالى فى سورة محمد: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[محمد:١٠]، وتكرر اللفظ فى سورة غافر والروم ويوسف.

ذنوب الأذن:

الأذن تتصنت على الناس وتتجسس عليهم، والأذن تسمع المعازف والأغانى الصاخبة التى تغضب الله عز وجل، والأذن تسمع الفحش من القول، ولا تنهى صاحبها عن ذلك، والأذن تسمع النميمة والغيبة والكذب، والافتراء، والتنابز ولا تنهى صاحبها، والأذن تسمع الاستغاثة ولا تغيث الملهوف، والأذن تسمع نداء الصلاة ولا تلبى، وتسمع نداء الوالدين ولا تلبى، وتسمع أوامر أولى الأمر ولا تطيع، والأذن لا تصبر على سماع القرآن.

كم ضيعت الأذن وقتًا على صاحبها الذى وضع سماعات الأذن ليستمع للموسيقى ولهو الحديث؟!

كم ضيعت الأذن مالًا لمستخدمى الهاتف الجوال فى رسائل وحوارات وأحاديث، لا يهدف من ورائها غير ضياع الوقت والتسلية، فخسر وقته وماله؟!

وكم أحدثت الأذن السماعة للكذب لصاحبتها من توترات وخصومات وقطع للرحم؟!

كيف أوقعت الأذن صاحبتها فى الفاحشة عندما صدقت بكلمات الحبيب المزيف الجانى؟!

كيف ألهت الأذن القلب عن ذكر الله؟! يقول الله العزيز الحكيم فى سورة الأعراف: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ﴾[الأعراف:١٩٨].

وربما أدرك الوالد المسلم الصالح تلك الحقيقة، وأراد لابنه حفظ القرآن، فمنع عن أذنه سماع الأغانى ولهو الحديث ومشاهدة التلفاز، فكانت النتيجة خيرًا، وهى أنه أتم حفظ القرآن الكريم فى طفولته المبكرة.

ويبين لنا القرآن الكريم كيف يصف الكافرين حينما يغلقون آذانهم عن سماع الهدى، يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾[البقرة:١٩]، وفى سورة نوح: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾[نوح:٧].

لقد كان كفار مكة يصفقون أمام قارئ القرآن؛ حتى لا يسمعه أهل مكة؛ مما يؤدى بهم إلى الهداية، وسار على ضلالتهم كثير من الناس، ألا ترى اليوم كيف يسيطر الحكام الفاسدون

على إعلام الدول، فلا يسمع الناس إلا منهم؟! وكيف أنكرت أمريكا على قناة فضائية عربية بثها الأخبار ونقلها الأحداث التى توضح بشاعة حربها ضد المسلمين؟!

ذنوب الرجْلِ:

«الرجل تزنى وزناها الخطا» (١)، وتفر يوم الزحف.

الأرجل تدخل بيوتًا بغير إذن أصحابها، وتدخل أماكن اللهو والعبث غير المباح، وتضرب فى الأرض ليعلم ما تخفى صاحبتها من زينة، وتمشى فى صحبة أصدقاء السوء، وتمشى تتكبر إعلاء للنفس على غيرها من الناس، وتوقع صاحبتها فى الفحشاء والبهتان، وتقتل صاحبها إذا استخدمها خطأ فى القيادة السريعة للسيارة، وربما قتلت أنفسًا بريئة.

ويتعلم المسلم من دينه وقرآنه آداب استخدام الأرجل، يقول الله تعالى فى سورة النور: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [النور:٢٧].

وتتعلم البنات والنساء من القرآن ما يجب أن تتجنبة أرجلهن، يقول الله تعالى فى سورة النور: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١]، فهى إشارة لما يمكن أن تحدثه الرجل من ذنوب لصاحبتها، ويقول الله تعالى فى سورة الممتحنة: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [الممتحنة:١٢].

فهذه الأيدى والأرجل ستشهد على أصاحبها يوم القيامة، يقول الله عز وجل فى سورة النور: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور:٢٤].

وتفر الأرجل من لقاء العدو خوفًا ورهبة وجبنًا، وهو ما أمر الرسول ﷺ باجتناب هذا الإثم، واعتبرها من السبع الموبقات، يقول ﷺ: **«اجتنبوا السبع الموبقات»**(٢)، وذكر منها التولى يوم الزحف.

د- نفس الإنسان وهواه:

إذا كان القلب والجوارح والعقل الإنسانى أشياء ملموسة ومحسوسة، فإن النفس والهوى لا يراهما الإنسان، إلا أن النفس حظيت باهتمام العلماء، فجعلوا لها علمًا خاصًّا بها، يدرس

---

(١) سبق تخريجه، ص ١٥٨.

(٢) البخارى فى الحدود (٦٨٥٧).

انفعالات الإنسان ودوافعه وحاجاته، وكلها أشياء غير ملموسة، ولكنها تؤثر على الإنسان داخليًّا وخارجيًّا، فيحس هو بها، ويحس من حوله بحاله وطبيعة نفسه.

وقد قسم بعض العلماء النفس إلى أربعة أقسام:

النفس المطمئنة: هى التى تتوب وتستقيم، وهى سباقة إلى الخيرات.

والنفس اللوامة: وهى التى تتوب عن الكبائر، ولكن تبتلى بها من غير قصد أو عمد، يقول الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ** ﴾[آل عمران:١٣٥].

والنفس المسولة: وهى التى تتوب فترة، ثم ترجع إلى الذنب عن قصد وعمد وشهوة، يقول الله تعالى فى سورة التوبة: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾[التوبة:١٠٢].

والنفس الأمارة بالسوء: الفرارة من الخير، وهى التى تتوب وتستقيم، ثم تعود لمقارفة الذنوب من غير أسف.

وكما جعل الله تبارك وتعالى من كل شىء زوجين اثنين، فإن النفس البشرية كانت على شقين: فجور وتقوى، يقول تبارك وتعالى فى سورة الشمس: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس].

فمن غذى الفجور طمث معالم التقوى من النفس، حتى باتت النفس فاجرة، وذلك بكثرة المعاصى وارتكاب الذنوب والكبائر، فلا ينتظر بعد ذلك صلاح القلب أو العقل، وإنما هى جسد واحد.

وللنفس البشرية صفات توقع صاحبها فى الذنب، منها:

- أمارة بالسوء، قال تعالى فى سورة يوسف: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾﴾[يوسف:٥٣].

- **الشح والبخل:**

يقول الله تعالى فى سورة التغابن: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾[التغابن:١٦]، وفى سورة المعارج: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج:٢١].

- **العُجْب:**

يقول الرسول ﷺ: **«ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»**(١).

- **الفتنة والتربص والغرور:**

وتعنى الفتنة: الضلال، والتربص بمعنى الانتظار، أما الغرور فهو الطمع بالباطل.

يقول الله تعالى فى سورة الحديد: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد:١٤].

- **الوسوسة:**

وهى حديث النفس للنفس، يقول تعالى فى سورة ق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق:١٦].

- **الفجور:**

يقول تعالى فى سورة الشمس: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس].

- **شر النفس:**

عن عمران بن الحصين أن النبى ﷺ علم أباه - حصينًا - كلمتين يدعو بهما: **«اللّٰهم ألهمنى رشدى، وأعذنى من شر نفسى»** [رواه الترمذى](٢).

- الهوى: وهو ميل النفس وبالحب والاستحسان والتقبل، يقول الله تعالى فى سورة الجاثية: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية:٢٣]

- **حب الدنيا:**

يقول الله تعالى فى سورة القيامة: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ [القيامة].

- **حب المال والأولاد:**

يقول الله تعالى فى سورة الفجر: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر]، وفى سورة التغابن: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن].

---

(١) الهيثمى فى مجمع الزوائد (١/ ٩٥، ٩٦) وقال: «رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه ابن لهيعة ومن لا يعرف».

(٢) الترمذى فى الدعوات (٣٤٨٣)، وقال: «حديث غريب».

- حب الخير:

يقول الله تعالى فى سورة العاديات: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات].

- حب الشهوات:

قال تعالى فى سورة آل عمران: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ [آل عمران:١٤].

هـ- طبيعة خلق الإنسان:

ذكر الله تعالى العديد من صفات خلق الإنسان النفسية، والتى تدعوه إلى ارتكاب الذنوب، وهى لا ترتبط بعضو دون آخر، ولكن ربما يشترك فيها العقل والقلب والجوارح.

ومن هذه الصفات الكنود، والمراءاة، والطغيان، والعجلة، والتسرع، والهلع، والخوف والجزع، والتحول، واليأس، والكبر، والإصرار على الخطأ، والظن.

- الكنود:

يعنى عدم شكر النعمة وجحودها وذكر المصائب ونسيان النعم، يقول الله تعالى فى سورة العاديات: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾ [العاديات].

- المراءاة والمنع:

يقول الله تعالى فى سورة الماعون: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون]

وفى سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:٢٦٤].

- الطغيان:

يقول الله تعالى فى سورة العلق: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ [العلق].

- العجلة والتسرع:

يقول الله تعالى فى سورة الأنبياء: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء].

وفى سورة الإسراء: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء].

وفى سورة يونس: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ [يونس].

- الهلع والخوف والجزع:

يقول تعالى فى سورة المعارج: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾ [المعارج].

- التحول واليأس والمكر:

يقول الله عز وجل فى سورة الإسراء: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء].

وفى سورة يونس: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يونس].

- الإصرار على الخطأ:

يقول الله تعالى فى سورة الواقعة: ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الواقعة].

- الظن:

وهو الاعتقاد بغير يقين أو علم، يقول تعالى فى سورة النجم: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ [النجم].

٢ – أسباب ارتكاب الذنوب المتعلقة بالشيطان:

كل إنسان معه شيطان حتى الأنبياء، فقد جعل الله لكل نبى عدوًّا شياطين الإنس والجن، يقول تعالى فى سورة الأنعام: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢].

والشيطان يقترن بالإنسان فى كل أعماله وأقواله وأحاسيسه، ولا يكتفى بذلك، ولكنه يستحوذ على الإنسان كاملًا إذا أعرض عن ذكر الله، فيزين للإنسان عمله حتى يكفر، ثم يتخلى عنه يوم الحساب ويتبرأ منه، وهو فى الدنيا يعد الإنسان الفقر حتى لا يتصدق ولا يزكى ماله، ويأمره بالفحشاء والرذيلة، وعمل السيئات والمنكرات، وهو يمارس سلطانه على الذين يتولونه ويطيعونه، فتكون النتيجة هى الكفر بالله – عز وجل – والإشراك به.

فيمكن أن يدخل الشيطان إلى الإنسان من خلال:

الأمر بالسوء والفحشاء، نسيان ذكر الله، الغواية، تزيين الباطل، الوعد بالفقر، التخويف، الأمانى الكاذبة، الاستهواء، المجادلة، تحريم ما أحل الله، النجوى، الوسوسة.

وهذه المداخل الشيطانية تم تناولها فى قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لقد بين الله تعالى لنا خطوات الشيطان، وعلى المؤمنين ألا يتبعوها، وأن يحاربوه، ويعتبروه عدوًّا مبينًا.

يقول الله تعالى فى سورة النور: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور].

٣ - أسباب ارتكاب الذنوب المتعلقة بالناس:

يضل الناس بعضهم بعضًا بغير علم، فيتبعهم الجاهلون والغاوون، ومن يعجبه حديثهم ويستمتع به، ويتخذه لهوًا، فيضيع على نفسه وغيره العلم النافع. ويظلم الناس بعضهم عندما تصل العلاقة بينهم إلى درجة الحب الأعمى والأضل ،الذى يدفع بالناس لحب شخصٍ وتعظيمه وطاعته، فلا يرون منه باطلًا، ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

وأمثلة ذلك: القادة المضلون الضالون، الذين يأخذون شعوبهم إلى الجحيم وسوء المصير، مستغلين حب الناس لهم وطاعتهم العمياء، وكذلك الحال عندما يطيع الزوج زوجته وهى على الباطل لحبه لها أو العكس، أو عندما تطيع الفتاة الفتى على ارتكاب الرذيلة أو الفاحشة لحبها له، وعندما يطيع الصبى أصحابه، فيشرب معهم السجائر؛ تعبيرًا عن حبه لهم، ومشاركتهم أفعالهم .

ومن الناس من يبخلون ويأمرون غيرهم بالبخل، فينسون أن ما عندهم من مال أو رزق هو من عند الله، وعندما يمارس أصحاب السلطة والسلطان والقوة أشكال العنف على الناس وعلى الضعفاء، فيضلونهم ويفتنونهم فى دينهم ودنياهم.

وقد فصل الله لنا أمثلة من هؤلاء الناس الذين يدعون غيرهم إلى ارتكاب الذنوب والإصرار عليها .. ففى الضلال عن سبيل الله، يقول الله تعالى فى سورة لقمان: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [لقمان].

وفى سورة الأنعام: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الأنعام].

وفى ظلم الناس والإفساد فى الأرض، يقول الله تعالى فى سورة الشعراء: ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ١٨٣﴾ [الشعراء].

وفى الحب الضال المضل، يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥﴾ [البقرة].

وفى الإعجاب بالقول، يقول الله عز وجل فى سورة البقرة: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾[البقرة].

وفى البخل وأمر الناس به، يقول تبارك وتعالى فى سورة النساء: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧﴾[النساء].

وفى سورة الحديد: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٤﴾[الحديد]. وفى خشية الناس وما تحدثه من فتنة الناس، يقول تبارك وتعالى فى سورة النساء: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾ [النساء].

وفى سورة المائدة يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة].

ويوسوس الناس لبعضهم فيضلونهم، ويأمر الله تبارك وتعالى الإنسان أن يستعيذ بالله من هؤلاء الناس، يقول تعالى فى سورة الناس: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦﴾[الناس].

***

الفصل الثانى
تصنيف الذنوب حسب حجم الذنب
[الكبائر - اللمم (الصغائر)]

يقول الله تعالى فى سورة النجم: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم:٣٢].

ويقول الله تعالى فى سورة النساء: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء].

ما الكبائر؟:

إن رجلًا قال: يا رسول الله: ما الكبائر؟، قال ﷺ: **«الشرك بالله، والإياس من روح الله، والقنوط من رحمة الله»** [من حديث ابن عباس بإسناد حسن](١).

وقال ﷺ: **«الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»** [رواه البخارى](٢).

وقال ﷺ: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، قال: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، أو قال: قول الزور»** [فى الصحيحين من حديث أبى بكرة](٣).

وقال ﷺ: **«اجتنبوا السبع الموبقات»**، قالوا: يا رسول الله، وما هى؟ قال: **«الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات»** [فى الصحيحين من حديث أبى هريرة](٤).

وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود: سألت رسول الله ﷺ: أى الذنب أعظم؟ قال:

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمى (١٠٩/١)، وقال: «رواه البزار والطبرانى ورجاله موثقون».

(٢) البخارى فى الأدب (٥٩٧٧).

(٣) سبق تخريجه، ص ١٦٢.

(٤) سبق تخريجه، ص ١٦٥.

«أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك»، قلت: ثم أى؟ قال: **«أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»**، قلت ثم أى. قال: **«أن تزانى حليلة جارك»**(١).

الجدال والاختلاف حول الكبائر والصغائر:

اختلف الصحابة والتابعون فى عدد الكبائر من أربع إلى سبع، إلى تسع، إلى إحدى عشرة وما فوق ذلك، وقال بعض السلف: كل ما أوجب عليه الحد فهو كبيرة.

وقيل: إنها مبهمة لا يعرف عددها، مثل ليلة القدر وساعة يوم الجمعة.

وقال أبو طالب المكى: الكبائر سبع عشرة، جمعتها من جملة الأخبار، وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر، وغيرهم:

أربعة فى القلب وهى: الشرك بالله، والإصرار على معصيته، والقنوط من رحمته، والأمن من مكره.

وأربع فى اللسان وهى: شهادة الزور، وقذف المحصن، واليمين الغموس، والسحر.

وثلاث فى البطن وهى: شرب الخمر والسكر من كل شراب، وأكل مال اليتيم ظلمًا، وأكل الربا وهو يعلم.

واثنتان فى الفرج وهما: الزنا واللواط.

واثنتان فى اليدين وهما: القتل والسرقة.

وواحدة فى الرجلين وهى: الفرار من الزحف.

وواحدة فى جميع الجسد وهى: عقوق الوالدين.

وقال أبو سعيد الخدرى وغيره من الصحابة: إنكم لتعملون أعمالًا هى أدق فى أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر. [رواه البخارى من حديث أنس وقال: صحيح الإسناد](٢).

والكبيرة من حيث اللفظ مبهمة، ليس لها موضوع خاص فى اللغة ولا فى الشرع؛ ذلك لأن الكبيرة والصغيرة من المضافات، وما من ذنب إلا وهو كبير بالإضافة إلى ما دونه، وصغير بالإضافة إلى ما فوقه.

---

(١) البخارى فى الديات (٦٨٦١).

(٢) البخارى فى الرقاق (٦٤٩٢).

فقطع يد المسلم كبيرة بالإضافة إلى ضربه، صغيرة بالإضافة إلى قتله.

ونحن نعرف من حديث الرسول ﷺ أكبر الكبائر، ولكن لا نعرف أصغر الصغائر، والكبيرة يمكن أن يغفرها الله تعالى بالتوبة والاستغفار والرجوع إليه، والصغيرة يمكن أن تتحول إلى كبيرة بالإصرار على فعلها وبكثرة الصغائر، فلا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار.

وقد علمنا الرسول ﷺ الاستغفار لما نعلمه ولما لا نعلمه، ولما أسررنا ولما أعلنا، وكان يكثر الاستغفار فى اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

ولكى نكون على علم بأبعاد الكبائر التى ذكرها الرسول ﷺ، ونكون على حرص دائم باجتنابها ودوام الاستغفار من الذنوب، فسوف يتم تناولها بشىء من التفصيل، ونخص بالذكر منها:

(الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس، وشهادة الزور، والسحر، والزنا، وقطع الرحم، وقذف المحصنات، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وإدمان الخمر).

الشرك بالله:

يقول الله تعالى فى سورة النساء: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:١١٦].

هناك العديد من مظاهر الشرك فى الأمة الإسلامية، نابع من اعتقادات خاطئة، تجعل المسلمين يشركون بربوبية الله وألوهيته.

فمن مظاهر الشرك فى الربوبية:

- اعتقاد البعض بأن أرواح الأولياء الصالحين، يمكن أن تضر أو تنفع، فيذهب الجهلاء إلى أضرحة الصالحين للاستعانة بهم والدعاء عندهم، ويمكن أن تسمعى وتشاهدى بعينيك كيف يحدث النساء والفتيات الأضرحة، كأنها لها عليهن سلطة، وأنها تنفع أو تضر.

- الرهبة من الجن والخوف منهم، والاستغاثة بهم، وتقديم القرابين لهم.

- تقديس بعض الشيوخ أو المشعوذين وطاعتهم والتسليم لهم، والاستجابة المطلقة لهم، والاعتقاد بأن بأيديهم النفع والضر.

- الخنوع للحكام غير المسلمين، والخضوع التام لهم، وطاعتهم بدون إكراه منهم لهم، حيث حكموهم بالباطل، وساسوهم بقوانين الكفر والكافرين، فأحلوا لهم الحرام، وحرموا عليهم الحلال، فأطاعوهم فى كل ذلك، ولم ينكروا عليهم.

ومن مظاهر الشرك فى الألوهية:

يختلف الشرك عن الكفر؛ حيث إن من الشرك ما لا يكون كفرًا، وذلك هو الشرك الأصغر، أو الشرك الخفى، قال ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء**» [رواه أحمد](١).

ويقول ﷺ مخبرًا عن رب العزة: «**من عمل عملًا أشرك معى فيه غيرى، فهو للذى أشرك، وأنا منه برىء**» [رواه مسلم](٢).

فلا يكفى أن نقول: لا إله إلا الله باللسان، ولكن يجب أن نكون على درجة من الإخلاص لله، فيجتمع القلب واللسان بالشهادة قولًا وفعلًا وإيمانًا صادقًا وإقرارًا فى القلب.

فالمسلمة لا تطلب من أعمالها غير رضاء الله، فإذا كان علمًا تتعلمه لتمارى غيرها، أو للتظاهر عليهم، أو للتكبر على غيرها، أو لتكسب ود الناس لها، فهى فى النار، فلا بد أن يكون العلم خالصًا لله سبحانه وتعالى، فلا يهم مدى تقدير الناس أو إعجابهم، ولكن كيف اكتسبت هذا العلم، وما هو هذا العلم وما فائدته، أسئلة تضعها المسلمة الصالحة فى اعتبارها، وتزن أعمالها بميزان رضا الله عنها.

وإذا كانت عبادات كالصلاة أو الصوم أو الحج أو الصدقة أو الزكاة، فهى لا تقوم بها من أجل رضاء الناس عنها، أو إحسان الظن بها، ومدحها والثناء عليها، أو للحصول على وضع اجتماعى معين؛ كأن يقال داعية أو مؤمنة، أو الحاجة فلانة، أو غير ذلك، فهذا العمل لم تبغ فيه وجه الله خالصًا، وإنما أشركت فيه غير الله سبحانه وتعالى، وهكذا.

فللأخت ميزان تزن به درجة شهادتها، بأنها تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، فإذا حزنت لعدم تقدير الناس لأعمالها رغم إحساسها بأن الأعمال كانت على درجة من الكفاءة، فإن ذلك معيار لدرجة إخلاصها لله بأعمالها أولًا، وإذا فرحت لثناء الناس عليها، فإن هذا معيار آخر.

---

(١) أحمد (٥/٤٢٩).

(٢) مسلم فى الزهد والرقائق (٢٩٨٥/٤٦).

ولكن مثل هذا الأمر لا يستطيع أن يحس به غير الشخص نفسه، فالنية عامل أساسى فى هذا العمل.

وقال ﷺ: **«من حلف بغير الله فقد أشرك»** [رواه الترمذى](١).

وقال ﷺ: **«يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك؛ فإنه أخفى من دبيب النمل»**، فقيل له: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: **«قولوا: اللَّهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه»** [رواه أحمد](٢).

عقوق الوالدين:

الإسلام كما يعظم عبادة الله ويضع بعدها بر الوالدين والإحسان إليهما؛ فإنه كذلك ينفر من الشرك بالله وعقوق الوالدين.

يقول الرسول ﷺ: **«كل الذنوب يؤخر الله منها ما يشاء إلى يوم القيامة، إلا عقوق الوالدين؛ فإنه يعجل لصاحبه»** [رواه الحاكم](٣).

فقد جعل الإسلام علاجه للمسلم لكى يدرك مدى إساءته وإثمه، فعجل العقوبة؛ ليكون نذيرًا له وعبرة لغيره.

ومن العقوق: أن يقسما عليه فى حق فلا يبر قسمهما، وإن سألاه حاجة فلا يعطيهما، وإن جاعا فلا يطعمهما، وأن يسبهما أو يضربهما.

فبر الوالدين من أفضل الأعمال بعد الصلاة، فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سألت رسول الله ﷺ، أى الأعمال أفضل؟ قال: **«الصلاة على وقتها»** قلت: ثم أي؟ قال: **«بر الوالدين»**، قلت: ثم أي؟ قال: **«الجهاد فى سبيل الله»** [متفق عليه](٤).

وإذا أمعنت الأخت التفكر فى معنى العقوق، ووجدت أنه القطع، ربما تحاسب نفسها على الكثير:

---

(١) الترمذى فى النذور والأيمان (١٥٣٥)، وقال: «حسن».

(٢) أحمد (٤/٤٠٣)، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٢٢٧): «رجال أحمد رجال الصحيح غير أبى على، ووثقه ابن حبان».

(٣) الحاكم فى المستدرك (٤/١٥٦)، وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وتعقبه الذهبى بقوله: «قلت: بكار ضعيف».

(٤) البخارى فى الأدب (٥٩٧٠)، ومسلم فى الإيمان (٨٥/١٣٩).



- هل قطعت النظر لوجه والديها أثناء الحديث معها؟
- هل قطعت الاتصال بهما إذا كانت بعيدة ومعها ما ييسر عليها ذلك؟
- هل قطعت صنوف الحنان والحب والألفة صباحًا ومساءً معهما؟
- هل قطعت مساعدتها لهما قولًا وعملًا وقلبًا؟
- هل قطعت زيارتهما، وفضلت عليهما غيرهما؟
- هل قطعت تقبيلهما؟

يخطئ من يفهم أن العقوق كلمة فقط تنطبق على من يهجر والديه، ولكنها تمتد إلى من يعيش معهما، ويتعامل معهما ليلًا ونهارًا.

إنها تشمل النظرة واللمسة والإحساس والكلمة، إنها تشمل القلب والجوارح، وتمتد إلى التفكير.

فهل وصلهما القلب، وهل وصلتهما الجوارح، وهل وصلهما العقل والتفكير؟ إنها أمور تحتاج إلى تدريب ورياضة، وطلب العون من الله - عز وجل.

وإذا حاولنا أن نضع برنامجًا خاصًّا للبر بالوالدين، فسنجد اختلافًا فى الظروف والأعمار والحاجات والإمكانات والمكان والزمان، وغيرها من العوامل والأسباب التى يصعب حصرها.

ولكن هل يصعب علينا أن نصل الوالدين خمس مرات فى اليوم مع كل صلاة قبلها أو بعدها، فهذا أمر ممكن ويسير، ربما فائدته أن البر بالوالدين جاء بعد عبادة الله تعالى، فلماذا لا نجعلها كذلك بعد الفرائض، وتزيد فى شهر رمضان، شهر البر والإحسان، شهر القرآن، لماذا لا نجعل لهما نصيبًا من دعائنا بعد كل دعاء واستغفار وتسبيح، لماذا لا نتصدق عليهما وباسمهما، ونطلب الدعاء لهما بعد وفاتهما.

إذا أخذنا البر بالوالدين بعد كل فريضة، فإن ذلك أدعى لعدم التقصير إن شاء الله، مع توفر النية لله تعالى ورضاه.

وهو ما يقى المسلمة من الفتور أو الامتناع أو التقصير.

فكم من الفتيات اللاتى يعاملهن الوالدان بقسوة، يجدن أنفسهن أمام طريق العقوق وعدم إعطاء والدهن حقهما فى الصلة، فتقول الفتاة: كيف أقبل أمى أو أبى وهما يقسوان علىّ ويحرمانى من الفسحة أو المال أو الزينة؟

فمثل هذه الفتاة تجعل البر بالوالدين تبعًا لمعاملة والديها، إن أحسنوا أحسنت، وإن أساؤوا أساءت.

فهذا والله طريق الشيطان وأتباعه، وهو ما يوقع الكثيرات فى الكبائر والعقوق، فيجب على الفتيات أن يحذرن منه، ولا يتبعن خطوات الشيطان وأتباعه، وللفتاة أن تتحلى بالصبر والصدق مع الله، وستجد الثمرة - إن شاء الله - ولا تأتى الثمرة ناضجة مرة واحدة؛ فلها مراحل نمو، ولا يجدنَّ طعمها إلا بعد النضوج.

ففى البداية ستجد الفتيات اللاتى يقسو عليهن الوالدن بعد أن يقمن بواجباتهن والعمل الصالح، ستجدنَّ امتناعًا من الوالدين عن القسوة، ثم الدعاء لهن بظهر الغيب وشكرهن، والاعتراف ببرهن، وتتحول القسوة إلى لطف وحب ورأفة وحنان إن شاء الله.

فلا يجوز أن تنسى الفتاة أنها تضع البذرة فى الأرض خصبة وصالحة، مليئة بالحب والحنان للأبناء.

فماذا تنتظر بعد هذا إلا أفضل وأقوى وألذ وأحسن وأجمل الثمار.

إنها ثمرة تجد طعمها وريحها فى الدنيا والآخرة.

وإليك صنوفًا من أشكال البر، ربما تجدين نفسك فيها، وربما لا، فاحرصى عليها وأضيفى إليها:

- إيقاظهما لقضاء فريضة الصلاة والصبر على ذلك.
- الصلاة جماعة معهما.
- الدعاء لهما قبل الصلاة وفى الصلاة وبعدها.
- إطعامهما، سواء تجهيز وإعداد الطعام، أو بالإطعام باليد، وانتقاء أفضل الطعام لهما، وعدم الأكل قبلهما.
- إعطاء الدواء لهما ومتابعة ذلك إذا كانا فى حاجة إلى ذلك.
- مساعدتهما فى نظافة الجسد، مثل تقليم الأظافر وتطهيرها، وتدليك الجسم بالزيت أو بالخل للتنشيط والراحة؛ فهى من وسائل التنشيط والراحة والشفاء والحيوية بإذن الله.
- المساعدة فى الحمام إن كان لذلك ضرورة.
- جعل لهما نصيبًا فى الترفيه عن النفس والفسحة؛ من خلال القول الطيب، أو الحديث الشيق، أو الخروج للنزهة، أو الرياضة؛ فهى مما تصلح النفس والجسم.

- إدخال السرور على قلبيهما بكل خير جديد رزقا من رب العباد.

- التقليل من إحداث التوتر والإثارة النفسية غير المطلوبة، وذلك بعدم ذكر ما يؤلم النفس من أخبار أو أحداث عنهما أو غيرهما، فكثرة الأخبار السيئة تزيد من ضغط الدم، وإحداث التوترات النفسية السيئة، والتى يتبعها توترات فى أعضاء الجسم كله والإحساس بالمرض.

- إعانة غيرها من أخواتها على بر آبائهن وأمهاتهن، فلا تستأثر بالبر لنفسها أو الاستئثار بحبهما؛ فهذا من دواعى الحقد والحسد بين الأخوة، وحدوث المشكلات فى الأسرة كلها.

- إعانة غيرها من الأخوات بأمرهن ببر الوالدين والإحسان إليهما، وإعطاء خبرتها فى ذلك، وكذلك بنهيهن عن المنكر إذا وجدت عقوقًا فى العلاقة بين الأخت ووالديها.

- عدم تفضيل غيرهما عليهما بالبر؛ كأحد الأقارب أو الأصدقاء أو الجيران أو الأخوات وهى كثيرة فى الأخوات المسلمات، ربما ينفى البعض ذلك، ولكنها ظاهرة، والحجة فى ذلك ضيق الوقت، أو كثرة الأعمال، أو الرغبة فى عدم التقصير بين الأخوات والصديقات وبعضهن، وغير ذلك.

- الاطمئنان عليهما فى الأشياء المتعلقة بالملبس والغطاء ومكان النوم لهما، فقد يكون غير مناسب فى أوقات معينة، مثل فصل الشتاء، فتكون صلة بالليل، ثم تستكمل الصلة بالنهار بباقى الأعمال التى يعينها الله عليها.

قتل النفس:

اعتبر الإسلام قتل النفس ليس من الجرائم فحسب، وإنما كبيرة من الكبائر التى أمر الله عز وجل باجتنابها، وجعلها شرطًا من شروط المغفرة، قال تعالى فى سورة النساء: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء].

وجعل الإسلام من قتل النفس فكأنما قتل الناس جميعًا، قال تعالى فى سورة المائدة: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٣٢].

وكان جزاء القاتل فى الآخرة جهنم خالدًا فيها، قال تعالى فى سورة النساء: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء].

وعقوبة القاتل فى الدنيا هى القتل، قال تعالى فى سورة البقرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰ ﴾ [البقرة:١٧٨].

وفى حالة المعاهد، فإن الإسلام يحرم قتل المعاهد إذا أعطى عهدًا من قبل المسلمين، قال ﷺ: **«من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة»**[(١)].

وغضب النبى ﷺ لما قتل عمرو بن أمية رجلين مشركين من بنى كلاب كانا قد أمنهما النبى ﷺ، ولذلك دفع الرسول ﷺ ديتهما.

أما من قتل خطأ، فقد قرر الإسلام الدية أو تحرير الرقبة أو الصيام.

قال تعالى فى سورة النساء: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا (٩٢)﴾ [النساء].

حتى العون على القتل عقابه اليأس من رحمة الله يوم القيامة، قال ﷺ: **«من أعان على دم امرئ مسلم بشطر كلمة، كتب بين عينيه يوم القيامة: آيس من رحمة الله»**[(٢)].

قال تعالى فى سورة النساء محرمًا قتل الإنسان نفسه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا (٢٩) وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)﴾ [النساء].

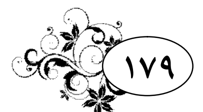
وحرم الإسلام قتل الأولاد خشية الفقر أو سفهًا بغير علم، قال تعالى فى سورة الأنعام: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ [الأنعام]، وقال عز وجل فى السورة نفسها: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ ﴾ [الأنعام:١٥١].

فهذه نماذج من القتل التى ذكرها القرآن الكريم، ربما نجد ريحها الآن فى أماكن كثيرة،

---

(١) البخارى فى الجزية والموادعة (٣١٦٦).

(٢) ابن ماجه فى الديات (٢٦٢٠)، وفى الزوائد: «فى إسناده يزيد بن أبى زياد، بالغوا فى تضعيفه، حتى قيل: كأنه حديث موضوع»، وضعفه الشيخ الألبانى.



فهذه السجون التى يعذب فيها المظلومون الذين قالوا: لا للطاغية، ولا للظلم، ولا للجهل، ولا ولا لما لا يرضى الله ورسوله، فيكون عاقبتهم الضرب حتى الموت، ومما يؤسف ويوجع القلب أن القائم على التعذيب وزبانية السجون، مسلمون فى شهادة ميلادهم، فحسبنا الله ونعم الوكيل، وجزاؤهم جهنم، وبئس المصير.

وتبدو ظاهرة الأخذ بالثأر من أشكال قتل النفس بغير حق، حيث تقوم عائلة المقتول بقتل من لم يقتل ولم يجن على أحد، فيؤخذ البرىء بذنب أخيه أو أبيه، وربما يقتل بغير حق عدد كبير مقابل فرد واحد.

وتشتعل الفتنة بين الناس، وتظهر جرائم القتل فى عيادات الأطباء الذين يقومون بعمليات لا خبرة لهم بها ودون علم؛ من أجل التعلم أو إحراز المال، ويكون جزاء المريض الموت دون دية أو تعويض لأهله، بل يدفعون مالًا للقاتل مقابل أتعاب القتل، وتأتى النساء فى عيادات الأطباء لإجراء عمليات الإجهاض؛ لقتل أولادهن خشية الفقر أو ضياع المال أو الجمال، أو لعدم تحمل المسئولية، أو للانفصال بين الزوجين أو ... أو ... إلخ، وهن لا يدرين كبر ما يرتكبن من ذنب لا يغتفر، ويشترك معهن الطبيب الجاهل الظالم لنفسه ولغيره.

ويأتى الأعداء إلى المنافقين؛ ليعقدوا معهم صفقات القتل والغدر والجريمة النكراء، فيدلونهم على مكان إخوانهم المسلمين ووقت تواجدهم؛ فيسهل على العدو رصدهم وقتلهم بأشبع صور القتل، حيث لا يكتفى برميهم بالرصاص، بل بالقنابل التى تدمر أحياءً بكاملها، فحسبنا الله ونعم الوكيل، ويكفيهم ما سيكتب على وجوههم يوم القيامة (آيس من رحمة الله)، ولنتدبر كيف يغتال المسلمون فى فلسطين من قبل اليهود، الذين يتتبعون خروجهم، ويدلهم عليهم منافقون وخونة من أهل فلسطين.

وهناك من الفتيات العاشقات للمطربين أو الممثلين، واللاتى يقبلن على قتل أنفسهن للتعبير عن شدة الحب والتأثر لموت المطرب أو الممثل، فمنهن من قذفت نفسها من ارتفاع أدوار عالية، ومنهن من قتلت نفسها بالسم، ومنهن من قتلت نفسها بالطلقات النارية، فكان مصيرها نار جهنم.

ومن الفتيات اللاتى يقتلن أنفسهن لخيانة العشيق، ومنهن من تقتل نفسها لرسوبها فى الامتحان، وما أكثر الأمثلة للفتيات اللاتى قتلن أنفسهن - سفهًا بغير علم - ففقدت دنياها وآخرتها، والعياذ بالله.

قال سيدنا محمد ﷺ: **«من قتل نفسه بحديدة، فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بسم فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدًا فيها أبدًا، ومن نزل من جبل فقتل نفسه، فهو ينزل فى نار جهنم خالدًا فيها أبدًا»**(١).

ومن الأطباء من يقبل على قتل المريض الذى يئس من علاجه، وكأنه حيوان تجارب، ومن الزوجات من يقتلن أزواجهن؛ جزاء لزواجه بأخرى، فاعتبرن الحق جريمة.

وكلها أمثلة ونماذج توضح درجة الظلم، وعظم وكبر الجرم اللاحق بالنفس وبالغير، فالمقتول ليس له رجعة للحياة، فلا تصحيح للخطأ، ولا ينفع الندم والتحسر.

اليمين الغموس:

قال ﷺ: **«الكبائر: الإشراك بالله، وقتل النفس، واليمين الغموس»** [رواه البخارى](٢).

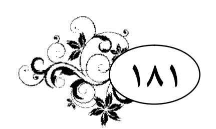
وهو تعمد الكذب لأخذ حق الغير، والحلف بالباطل ليقع المظلوم وغير المذنب فى العقاب؛ فيحكم عليه ظلمًا نتيجة لليمين الغموس، وتسمى غموسًا لأنها تغمس صاحبها فى النار؛ لأنه ظلم غيره بكلمة كذب.

وقد توعد الله هؤلاء، وجعل لهم عذابًا أليمًا، وحرمهم من النظر لوجهه الكريم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧ ﴾ [آل عمران].

وتوضح هذه الكبيرة من الذنوب الفرق بينها وبين الكذب الذى يرتكبه الإنسان فى مدارج الحديث، والفرق بين ما يظلم الإنسان فيه غيره بغير ذنب - ظلمًا وبهتانًا - وما يظلم الإنسان فيه نفسه.

فالكذب فى الحديث ربما يكون للتباهى أو التفاخر أو التمويه، أو التماس العذر من الناس أو للتضليل، أو أغراض لا توقع الغير فى ظلم مباشر، وإنما أثرها السيئ يأتى مباشرة على صاحبها، قال سيدنا النبى ﷺ: **«وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»**(٣).

(١) مسلم فى الإيمان (١٠٩ /١٧٥).
(٢)سبق تخريجه، ص ١٧٣.
(٣) البخارى فى الأدب (٦٠٩٤)، ومسلم فى البر والصلة والآداب (٢٦٠٧ /١٠٣).



والتساؤل الآن: هل من الممكن للبنات أن يقعن فى كبيرة اليمين الغموس؟ ألم تتفق بعض الفتيات على أخرى أو أخريات، وحلفن يمينًا أمام إدارة المدرسة أو الجامعة، أو الأهل أن هذه الفتاة أو الفتيات قمن بأعمال، ولم يقمن بها؛ من أجل الإيقاع بهن فى الظلم أو العقاب؟

ألم تحلف بعض الأخوات لأبويها، وتشهد على إخوتها أو أحدهم ظلمًا، فيقوم الوالد أو الوالدة بمعاقبة المظلوم، بناءً على شهادة أحد إخوته عليه ظلمًا؟

ألم تلجأ بعض الفتيات إلى الإيقاع بزميلاتهن أو جيرانهن؛ مدفوعة بالحسد والحقد، لكون الزميلة أفضل منها أو أجمل منها، وتريد أن تأخذ منها نعمتها، سواء أكانت خطيبًا أو كان وضعًا اجتماعيًا أو مركزًا إداريًّا، أو درجة علمية، فتلجأ إلى اليمين الكاذبة؟

إنها مواقف يجب أن تؤخذ فى الاعتبار، ونكون على بصيرة بها، وبما يماثلها من مواقف وقضايا ترتكب فيها الكبائر.

لقد شهدت الخادمة على سيدتها بالرذيلة، فما كان من الزوج إلا طلاقها، وشهدت جارة على جارتها ظلمًا فحكم عليها بالسجن والغرامة، وشهدت الزميلة على زميلتها ظلمًا، فما كان على إدارة المنشأة إلا طردها، وإجبارها على دفع غرامة.

وشهدت الزميلة على زميلتها ظلمًا، ففقدت صديقاتها وزميلاتها وحبهن واحترامهن لها.

فهذه الأمثلة توضح لماذا هى كبيرة، فكبر النتائج التى تقع على المظلوم جعلها كبيرة، وعدم استطاعته رد كيد الظالمين وحقدهم جعلها كبيرة.

ومما جعلها غموسًا - أى تغمس صاحبها فى النار - حيث أدى ذلك إلى ظلم صاحبتها لنفسها فى الآخرة، فإذا خفى على الناس كيدها فى الدنيا وأفلحت خطتها الجهنمية، فإن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وهو يعلم ما تخفى الصدور: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ [الزلزلة].

شهادة الزور:

تعنى الشهادة بالباطل والكذب والافتراء على الغير، وخطورتها وعظمها من الضرر الذى يمكن أن يقع على برىء أو مفترى عليه.

وهو ما يؤدى إلى الحكم عليه بالباطل، وتحمله ذنب غيره، والذى لم يكن له فيه ذنب، فهذه من حقوق الناس المدنية والقانونية.

فكم من حق ضاع! وكم من مجرم ازداد إجرامه وفحشه! وكم من سخط وكره واجهه بريء! وكم من أحكام نفذت بالقتل أو القصاص من أبرياء ليس لهم ذنب إلا أن فردًا شهد عليهم زورًا وباطلًا! فانتشر بذلك الظلم فى المجتمع، وضاعت الحقوق وزادت الجرائم؛ لعدم معاقبة المجرمين.

يقول الله تعالى فى سورة الحج: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج]، وفى سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان:٧٢]، وقال ﷺ: **«من قضيت له من مال أخيه بغير حق، فلا يأخذه؛ فإنما أقطع له قطعة من نار»** [متفق عليه، من حديث أم سلمة][١].

ويوضح الحديث ما يحدثه قول الزور على من أخذ حق غيره بحكم القاضى، ولم يكن ذلك حقه، فقد ظلمه فى الدنيا والآخرة بذلك، فقول الزور يقع عاقبته السيئة على أربعة.

الأول: الشاهد: فهو فى النار إلا أن يتوب، ويرد المظالم لأصحابها.

الثانى: الظالم: يأخذ حق غيره من مال أو عرض.

الثالث: المظلوم: أخذ حقه فى الدنيا، وفقد نفسه أو ماله أو عرضه.

الرابع: المجتمع: بنشر الفساد والظلم بين الناس، وعدم معاقبة المجرمين وانتشارهم.

كبيرة إدمان الخمر:

إدمان الخمر هو دوام شربه، بحيث أصبح عادة لا يمكن الاستغناء عنها، وهو ما يؤدى إلى الإضرار الشديد بكل أعضاء الجسم ولا سيما العقل، وهو ما يؤدى بدوره إلى الموت، فهو كقتل النفس على علم بالجرم والخطأ والخطورة على الصحة والجسم بكامله.

فكيف يُكرِّم الله الإنسان بالعقل، ثم يضيعه الإنسان باتباع شهواته والشيطان، فما ميزته وصفته الإنسانية إذن؟

لم يصبح يفكر ولا يمشى ولا يأكل ولا يعيش كما يعيش الصحيح من الناس، ولم يكن مضطرًّا إلى ذلك، فله إرادة وله قدرة وله عقل ضيعه، فعليه إذن الجزاء فى الدنيا والآخرة، إلا أن يتوب فيندم ويقلع عن الشرب وكل ما يذكره به؛ كالذهاب لأماكن الشرب الحرام، وترك

---

(١) البخارى فى المظالم (٢٤٥٨)، ومسلم فى الأقضية (١٧١٣/٥).



أصدقاء السوء، وأخذ الدواء المصلح للجسد، والإكثار من الصالحات، وعدم أخذ غير الطيب، وترك كل خبيث كالسجائر والطعام المشكوك فى أمره، المستورد من الخارج، أو الذى لا يعرف مكوناته بدقة.

فكم جاءت لحوم حيوانية غير طيبة، وبيعت فى الأسواق، وكم اشترى البعض الحلوى المصنعة بالكونياك والخمرة من الخارج، دون علمهم بذلك، وهذه أشياء يجب على المسلم الفطن أن يدركها ويتحراها فى حياته كلها.

وهناك محلات حلوى فى الدول العربية التى تصنع الجاتوهات، وصنوف الحلوى بالشمبانيا والكونياك، فيجب أن تتحرى الأخت المسلمة ذلك جيدًا، وتسأل قبل الشراء والطعام، وهذا حذر مطلوب؛ فليس كل ما يباع يؤكل، وليس كل جميل حلالًا أو طيبًا.

فالأخوات الطيبات لا يخضن مع الخائضين، ولا يمشين وراء التيار دون علم أو وعى.

وليتناصح الأخوات بذلك، ولتبلغ بعضهن البعض؛ فهذا ليس أمرًا سهلًا، بل هو مرتبط بالكبائر، فلا يحُمن حول الحمى.

واللاتى أسرفن على أنفسهن، فليسرعنَّ بالتوبة إلى الله، والندم على ما فعلن، وعدم الرجوع إلى هذا الأمر مرة أخرى.

ورحم الله وبارك فى الأخوات اللاتى امتنعن عن دخول فنادق يقدم فيها الخمر، وركوب طائرات يقدم فيها الخمر، أو الجلوس فى أماكن مثل المطاعم أو الكافتيريات التى يجلس عليها المدمنون، ويقدم لهم ما يطلبون من شراب خمر أو ما شابهه.

قاطع الرحم:

قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [محمد].

وقال ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»** [رواه البخارى][(١)].

وقال ﷺ: **«أنا الرحمن وهى الرحم، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته»** [رواه الترمذى، وقال: صحيح][(٢)].

---

(١) البخارى فى الأدب (٦١٣٨).

(٢) الترمذى فى البر والصلة (١٩٠٧)، وقال: «صحيح».

جعل الإسلام قطع الرحم مع الفساد فى الأرض، وجعل عاقبتهما الخروج من رحمة الله، وجعل الصلة للأرحام من علامات الإيمان بالله تعالى، وكانت الجائزة للواصل هى صلة الله له ومعيته.

وعاقبة قاطع الرحم بعد الله تعالى عنه ومقاطعته إياه، وهى من أساسيات قيام المجتمعات، فجعل بر الوالدين، وهو اهتمام بالأسرة الصغيرة لبنة المجتمع، ثم صلة الأقارب والأرحام، وهى الأسرة الأكبر، والتى باجتماعهما يتكون المجتمع، وهكذا تنزل رحمة الله وصلته لعباده.

ومع زيادة الالتزامات لدى الناس فى هذا الزمان، وبُعد أماكن إقامة الأقارب، وزيادة عدد ساعات العمل لدى الآباء، ومشاركة الأمهات فى العمل خارج المنزل، وزيادة عدد ساعات الدراسة فى جميع المراحل العمرية، وغلاء أسعار التنقل بين الأماكن وبعضها، خاصة بين الأقاليم وبعضها، وسفر عائل الأسرة للعمل فى الخارج، وزيادة حب النفس، وتقوقع الأسر داخل نفسها، وتفضيل البعض الصداقة الخارجية عن الأقارب، وأمثلة كثيرة من هذا القبيل، وما يشابهها، وما يتعارض معها.

المهم أن هناك عوائق كثيرة تقف مانعًا دون صلة الرحم، ومثل هذه الظروف لا يجب بحال من الأحوال أن تعوق عن طاعة الله وطلب رحمته وصلته، والأمر على الرغم من وجود عوائق كثيرة ربما تساعد على قطع الرحم، إلا أن المؤمنة تجد وسائل مساعدة كثيرة أخرى تساعدها على الصلة، طالما أخلصت نيتها لله سبحانه وتعالى، ولم تبغ من وراء ذلك المصلحة المادية أولًا وأخيرًا، وإنما كان هدفها هو صلة الله - عز وجل - وأى فضل لها بعد ذلك.

ومن هذه الوسائل المساعدة:

- لكل عائلة مستويات اجتماعية واقتصادية متعددة؛ فمنها المتعلم والمثقف والغنى، ومنها الجاهل والفقير والمريض، وغير ذلك، فعلى المسلمة الصالحة أن يكون عندها معرفة بأحوال أقاربها من قريب ومن بعيد، سواء فى المكان أو فى درجة القرابة أو فى المستويات المختلفة، اجتماعية أو اقتصادية أو علمية أو دينية.

ومن خلال هذه المعرفة يتم الانطلاق، فتعطى من هم أقل منها، وتساعد من هم أضعف منها، وتقدم الخير لمن يطلب منها، ولا تبخل بوقت أو بمال أو بصحة إذا طلب منها، أو إذا



وجدت هى أنها قادرة على العمل فى اتجاه معين ولا تنتظر مقابلًا، فلا داعى لممارسة العادات القديمة المتوارثة فى العطاء المتبادل، الذى يتم فى صورة سداد ديون، وليس عملًا صالحًا، والذى كانت الأسر تضطر إلى الاقتراض لسد ديونها فى المناسبات المختلفة (كالحنة، والعيد، والزواج).

فتحاول الأخت المسلمة جاهدة أن تلغى هذه العادة؛ فلا تنتظر أن يُرد لها مثل ما أعطت، ولا يدخل ضمن هذا السلوك عدم الأخذ فى الاعتبار المعاملة الحسنة من الغير، فلا تتأخر برد جميل غيرها، ولو بالدعاء إن لم تستطع بالمال أو غيره.

- مصادقة الصالحات اللاتى يذكرن غيرها بحقوق الأقارب، ومثل هذه النماذج من الأخوات تكون عونًا على الصلة وحسن المعاملة بين الأقارب وبعضهم.

- تحول مفهوم الجميل بين الأقارب إلى الحقوق بين الأقارب.

- تنظيم الوقت، وجعل حصة للأقارب فى الاتصال بهم، سواء عبر التلفون، أو الزيارة، أو بإرسال هدية أو سلام، أو دعاء بظهر الغيب، أو زيارة مريض من الأقارب، وحصة الصلة قد تكون يومية من خلال الدعاء، أو أسبوعية من خلال الاتصال عبر الهاتف، أو شهرية من خلال الزيارة، أو سنوية فى حضور الأعياد والمناسبات العائلية، التى يجب أن يلتف جميع أفراد العائلة حولها للمباركة أو للمواساة.

- ابتكار طرق جديدة لحصر العائلة وفروعها والجديد فيها، من خلال عمل شجرة للعائلة، وإضافة العناوين والأرقام التلفونية، ومجال ومكان العمل إذا لزم الأمر.

- صلة الأقارب الذين هجرهم أقاربهم؛ لكبر سنهم أو لسوء أخلاقهم، أو لتكبرهم أو لبعد أماكن إقامتهم، أو لغير ذلك، فليس الواصل بالمكافئ؛ يعنى الذى تصلينه إذا وصلك، ولكن هو الذى تصلينه إذا قطعك.

السحر:

قال ﷺ: **«ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسحر»**[١].

والسِّحرُ: كل أمر يخفى سببه، ويتخيل على غير حقيقته، ويجرى مجرى التمويه والخداع،

---

(١) النسائى فى الزكاة (٢٥٦٢).

واعتبر الإسلام أن السحر من الكفر بالله - عز وجل - وأن الشياطين تعلمه للناس، قال تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ [البقرة:١٠٢].

وربما ما يضل البعض أن يجد فيه فائدة ملموسة له هو فى لحظة معينة، أو يشبع كرهه وحسده وحقده، بأن يضر غيره بأساليب وطرق من السحر، والاقتناع به يخرج المسلم من إسلامه وإيمانه بالله؛ لأنه يقتنع أن الأمر يحدده السحر، وليس قدر الله سبحانه وتعالى.

وتظهر قضية استخدام السحر لتحقيق أغراض دنيوية فى مجتمع السيدات والبنات، وبعض دوافعهن لذلك هو الرغبة فى الزواج من شخص معين، أو غير محدد، أو تعطيل زواج بعض الفتيات أو الشبان، فليجأن إلى السحرة من الرجال أو النساء بمثل هذه الأعمال المحرمة، وهن لا يدرين عظم ذنبهن بقيامهن بهذه الأعمال النكراء، والتى لا يغفرها الله، إلا لمن تاب وآمن وعمل صالحًا.

والغريب أن البعض قد يجد توافقًا للأعمال مع ما يتمناه أو يطلبه من خير أو شر، فيزيد اقتناعه بها، وبالشخص القائم عليها والمؤدى لها، فلا يلجأ إلى الله بالدعاء أو الاستغفار أو التوبة، ويخرج من النور إلى الظلمة، ومن الظلمة إلى ظلمات بعضها فوق بعض.

وعلاج هذا الأمر:

- بعدم الاعتقاد فيهم أو بهم، وعدم الذهاب إلى السحرة، أو ما يدل عليهم، وعدم تعلم علمهم، والندم والحسرة على ما فرطت فيه البنت فى حق الله من الاعتقاد بالسحر والسحرة، أو التعامل معهم، والعزم الأكيد على عدم الرجوع إلى مثل هذا الأمر من قريب أو بعيد.

- شدة الارتباط بالله بالذكر والدعاء والاستغفار، والتحصن بآيات القرآن الكريم وبأدعية الرسول ﷺ، واتباع سنته فى التطهر والطهور، وحسن الخلق وتعلم العلم النافع، ومصادقة البنات والأخوات الصالحات اللاتى يدلون على فعل الخيرات وترك المنكرات.

- الإيمان بالقضاء والقدر، وترسيخه فى قلب البنات، فالمسلم إذا أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإذا أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له.

- تجديد الإيمان بالله، والاستعاذة بالله دائمًا من الشيطان الرجيم عند نغزه وهمزه ولمزه.

الربا:

هو إقراض المال بفائدة وهو محرم شرعًا، والربا هو الفائدة أو الربح الذى يأخذه المرابى من مدينه.

يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[البقرة:٢٧٦]، وهى تدل على بركة الأساليب الشرعية فى البيع والشراء، وعدم نفع الربا لأى الأطراف المتعاملة به.

ويقول الله عز وجل فى سورة البقرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾[البقرة]، وفى سورة آل عمران: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفًا مُّضَٰعَفَةًۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾[آل عمران].

وقد خلط أصحاب النفوس الضعيفة والجهلاء بين البيع والربا: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[البقرة:٢٧٥].

وعظم الإسلام من الربا، حتى جعله يعادل سبعين إثمًا كبيرًا، قال ﷺ: **«الربا سبعون حوبًا أهونها كوقع الرجل على أمه»**، وفى رواية: **«أهونها كالذى ينكح أمه»**[1]، والحوب هو الإثم.

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: إذا كان لك على رجل دين، فأهدى لك شيئًا فلا تأخذه؛ فإنه ربا.

وقال الحسن البصرى رحمه الله: إذا كان لك على رجل دين فما أكلت من بيته فهو سحت.

وهذا من قوله ﷺ: **«كل قرض جر نفعًا فهو ربا»**[2]، وقال ابن مسعود أيضًا: من شفع لرجل شفاعة، فأهدى إليه هدية فهى سحت، وتصديقه من قوله ﷺ: **«من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها فقبلها، فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الربا»**[3].

رغم أن المعنى اللغوى للربا هو الزيادة، إلا أنه ليست كل زيادة خيرًا ونماءً؛ لأن الإسلام هو الدين القيم الذى يراعى كل الخير لكل الناس، وليس لفئة دون أخرى حتى لو اضطرت الفئة الضعيفة للاستعانة بمن هم أقوى وأغنى منهم.

فهو يحارب تكاثر رأس المال مع فئة قليلة دون تعب أو عمل، ويمنع استغلال أصحاب رءوس المال للفقراء والمحتاجين، سواء بفرض زيادة على المال المقترض، أو بحصول المنفعة المادية بأى شكل للطرف القارض أو المعطى.

---

(١) السلسلة الصحيحة للشيخ الألبانى (١٨٧١)، وقال: «إن الحديث بمجموع طرقه صحيح ثابت».

(٢) السنن الكبرى للبيهقى (٥/٣٤٩، ٣٥٠)، وضعفه الحافظ ابن حجر فى التلخيص الحبير (١٢٣٥).

(٣) أحمد (٥/٢٦١).

ورغم أن هذه الأمور ربما يدركها الكثير، إلا أن أنظمة الدولة الاقتصادية والمالية، ربما توقع المسلمين فى كبيرة الربا تحت مصطلحات المنفعة أو الربح أو الجائزة.

وقد تغلغل النظام اليهودى الاقتصادى داخل المجتمعات والدول الإسلامية، من خلال التعامل فى البنوك الربوية فى شكل هيئة تقرض وتقترض بالربا، بدلًا من شخص معين يقوم بهذه الطريقة غير الشرعية، وهو ما أوعى البعض إلى اعتبار وجود نفع للعاملين، وفتح أبواب رزق للعديد من الشخصيات العاملة فى قطاع البنوك، وجعلوا الفوائد الربوية أرباحًا، واختلط الأمر بينهما، كما خلط الجاهلون بين البيع والربا.

وفى المقابل حارب أعداء الإسلام الشركات الإسلامية، التى اشتغلت بتوظيف الأموال فى شكل شرعى؛ للوقوف فى وجه الأنظمة غير الشرعية فى التعاملات المادية، وكانت نتيجة هذه الحرب أن أصدرت الدول التى نشأت فيها هذه الشركات قرارات بغلقها وتصفية أموالها؛ مما أحدث ضررًا بالغًا لأصحاب هذه الأموال، وأصحاب هذه الشركات، وهو ما أظهر هذه الشركات – كذبًا وظلمًا – بأنها كانت تعمل لمصالح شخصية لأصحاب إدارتها.

وحاول إعلام هذه الدول تشويه صورة رجل الدين المتعامل بالطرق الشرعية فى المعاملات المالية، وأظهرت هذه الفئة المحافظة فى صورة ظالمة ومتعدية على حقوق الغير، ومضيعة لأموال الناس، وتتعامل بالباطل؛ وذلك من أجل إظهار أن الطريق الوحيد أمام الناس هو التعامل مع البنوك الموجودة فى الدولة، وأنها أكثر أمانًا وربحًا مضمونًا للمتعاملين معها.

فتضمن الدولة السيطرة على رأس مال الناس، وتستمر فى تبعيتها الاقتصادية للدول المهيمنة على مقدرات الشعوب، وتضمن استمرار وجودها فى السلطة، وعدم نمو أطراف أخرى فى أى قطاع من قطاعات الدولة، وخاصة الاقتصادية.

وأمام هذه الهجمة الشرسة على الأنظمة الإسلامية، والمسلمين الراغبين فى الحفاظ على دينهم ودنياهم، فإن الأخوات ربما يجدن طرقًا عديدة ومخارج من هذه الفتن، ومنها:

- سحب أموالهن من البنوك الربوية فورًا، وإيداعها فى بنوك إسلامية، تراعى التعاملات الإسلامية الشرعية.

- تنقية أموالهن من الربا الذى حصلن عليه، فلا تأخذه إلى مالها، بل تأخذ رأس المال الأصلى.

- إذا استطاعت مشاركة غيرها فى عمل تجارى، فقد نفعت نفسها وغيرها من المسلمين، وعمت الفائدة إن شاء الله، وهو أمر يحتاج إلى حسن اختيار الشركاء الأمناء المخلصين.

وفى حالة أن تكون الأخت المسلمة هى التى تقرض غيرها مالًا، فإنها يجب أن تراعى عدم أخذ أية منفعة مادية أو معنوية من المقترض فى شكل هدية، أو وظيفة أو طعام، أو كثرة الثناء والمدح، وهى ترغب فيه، وخاصة أمام الناس؛ مما يحول العمل الصالح إلى رياء وسمعة، أو إحداث ضرر للمقترض، بذله أو إهانته، أو كثرة المن عليه؛ فتبطل العمل دنيا ودينًا.

أكل مال اليتيم وظلمه:

قال تعالى فى سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء].

وقال تعالى فى سورة الإسراء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء].

وقال تعالى فى سورة النساء: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦﴾ [النساء].

وفى الأكل بالمعروف أربعة أقوال، ذكرها ابن الجوزى فى تفسيره:

أحدها: أنه الأخذ على وجه القرض.

الثانى: الأكل بقدر الحاجة من غير إسراف.

الثالث: أنه أخذ بقدر إذا عمل لليتيم عملًا.

الرابع: أنه الأخذ عند الضرورة.

الإسلام دين ودولة، يراعى الفئات الضعيفة، ويرعاها إلى أن تقوى، ويحارب كل من يستغل الضعيف؛ باعتبار هذا الاستغلال السيئ من الكبائر، التى تستوجب على المسلم التوبة منها، والندم عليها.

فاليتيم الذى فقد أمه أو أباه أو هما معًا، ولم يبلغ الحلم إذا كان ذا مال، فعلى من يكفله أن يراعى تربيته تربية حسنة، وأن يحافظ على ماله ويثمره حتى يكبر، أما إذا لم يكن ذا مال، فإن

الإسلام يرفع من شأن كافله وراعيه والقائم على مصالحه. يقول الرسول ﷺ: **«من ضم يتيمًا من المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى، أوجب الله له الجنة، إلا أن يعمل ذنبًا لا يغفر»**[(١)]، وقال ﷺ: **«من مسح رأس يتيم لا يمسحه إلا لله، كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة، ومن أحسن إلى يتيم أو يتيمة عنده، كنت أنا وهو هكذا فى الجنة»** [رواه أحمد][(٢)].

ربما يعيش فى بيتنا يتيم ابن خال، أو ابن عم، أو ابن أخ أو أخت، وربما يعيش فى بيت جارنا يتيم، أو فى بيت أقاربنا أو صديقاتنا.

فلنعرف الآيات والأحاديث النبوية الشريفة التى تعظم من أمره؛ للحفاظ عليه وعلى ماله ونفسه حتى يكبر، ولنبلغها لغيرنا، ونكون قدوة حسنة فى تعاملنا مع اليتيم، ونعلم أنفسنا وغيرنا كيف نرد المظالم الخاصة باليتيم، إذا كانت عن غير عمد، أو كانت بجهل، وكيف نتوب من ذنوبنا إذا كانت على علم، برد المظالم والاستغفار والندم.

وكيف نعلم أبناءنا حسن معاملة اليتيم، إذا كان زميلًا فى المدرسة أو جارًا أو صديقًا أو قريبًا.

الفرار من الزحف:

وتعنى الفرار من مواجهة العدو عند اللقاء وعند الحرب.

يقول الله تعالى فى سورة الأنفال: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾[الأنفال].

والمتحرف لقتال هو من يفر من العدو لخدعة حربية، والمتحيز لفئة هو من يفر عن وجه العدو لينضم إلى جماعة المجاهدين وجملتهم.

لعلنا ندرك عظم هذا الذنب إذا كانت الأمة فى حرب وقتال مع العدو، وكانت وظيفة الجند والجيش هى الدفاع عن الوطن والمسلمين، فماذا يقع عليهما إذا فرط الجيش فى حمل أمانته؟

---

(١) أحمد (٤/٣٤٤)، والطبرانى فى الكبير (١٩/٣٠٠) (٦٧٠)، وقال الهيثمى فى المجمع (٨/١٦٤): «هو حسن الإسناد».

(٢) أحمد (٥/٢٥٠، ٢٦٥)، وضعف إسناده الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (١١/١٥١) عند شرح حديث (٦٣٥٦).



إن النتيجة لا تعنى فردًا أو جهة أو قطاعًا، ولا تعنى هزيمة جيش، ولكن الأمر أكبر؛ إنه هزيمة أمة بكاملها.

إن الإسلام عندما عظم الذنوب، كان ذلك للحفاظ على الحقوق، وتحمل المسئولية والأمانة عن النفس وعن الآخرين.

وهذه القيمة ربما لا توجد فى الديانات الأخرى، ولا تؤخذ بمثل هذا الجرم أو الذنب، فالأمور فى الأنظمة غير الإسلامية تتحكم فيها الأهواء والمصالح الشخصية والقوانين الوضعية.

ويمكن أن نقرب هذه الأمور بحوادث واقعية حديثة، تتعلق بالحرب على المسلمين.

أذكر أن المجندات فى الجيش الأمريكى اللاتى أجبرن على الخدمة فى حرب العراق، قد وجدن أن هذه الحرب ليست منطقية، وأن الموت فى سبيل الظلم يأباه ذو عقل ولب.

فأرادت الكثيرات منهن الفرار من الجيش، ولكن هذا الأمر عاقبته محاكمات عسكرية هن فى غنى عنها، فتحولن إلى حيلة، هى أعظم وأكبر من الذنب، حيث لجأت بعضهن بالحمل من الجنود الأمريكان - سفاحًا وزنا - حتى يكون ذلك ذريعة لسفرهن لبلادهن، وتأجيل خدمة الجيش بشكل قانونى.

وفقد الجيش العديد من عناصره بالفرار منه بطرق أخرى، ولجأت إدارة العدو إلى الاستعانة بجيش عراقى لإحراز ما لم يستطع القيام به، وخاصة فى (الفلوجة بالعراق)؛ حيث استعصى عليهم دخولها حتى بعد رميها بالقذائف الثقيلة، وقتل المئات من العراقيين.

وأعنى من هذه القصة أن عدم إحساس الفرد بعظم الإثم، وعدم وجود الارتباط الدينى والتمسك بالعقيدة السليمة، يضعف كثيرًا تمسك الفرد بالقوانين الوضعية.

ويذكر القرآن الكريم صفة من صفات الكافرين، وهى التولى يوم الزحف فى سورة آل عمران: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ [آل عمران].

وفى سورة الفتح: ﴿وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفتح].

قذف المحصنات:

يقول الله تعالى فى سورة النور: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور].

وقال عز وجل فى سورة النور: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور].

الإسلام يراعى حقوق الغير حتى ولو بالكلمة، ويحافظ على عفة المؤمنات وسمعتهن، حتى ولو كانت مملوكة أو جارية، وكذلك الحال للمؤمنين، وقد ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل بها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»**(١).

وقال ﷺ: **«من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»**(٢).

ويعظم الإسلام من قذف المحصنات، وقد لعنه الله فى الدنيا والآخرة، وعاقبه فى الدنيا إذا كان كاذبًا بالجلد وعدم تقبل شهادته، وفى الآخرة جعل له عذابًا عظيمًا.

لقد زادت هذه الفاحشة بانتشار الجهل، وخاصة فى الأسواق، وعلى صفحات المطبوعات، وعلى شاشة الحاسبات، التى سمحت بالمجال الواسع للحوار، ونقل التهم والافتراءات على الآخرين، وخاصة بين فئة الشباب، وأصبحت سوق الفنانين سوقًا خصبة للنيل منهم، وخاصة لما يبدو على الكثير منهم من سلوكيات مرفوضة شرعًا، وخروج كثير عن الدين والأخلاق الكريمة، وانتشار العُرى والاختلاط الحرام بين الجنسين - على الرغم - من أن الدين يأبى ذلك، إلا أنه لا يحل القذف والسب والفحش، فلا يقابل ذلك بذاك.

فلتحذر الشابات من الجلوس لمحادثة الشباب، أو الشابات عبر الحاسبات الآلية والإنترنت، ومجاراتهم فى التهم والفاحشة، وتبادل الأحاديث غير القائمة على دليل، والتى لا تثبت الفاحشة أو الزنا على متهميها.

وعلى الأخوات أن ينصحن غيرهن، بعدم الخوض فى هذه الكبيرة؛ فعقابها شديد فى الدنيا والآخرة.

الزنا:

وهو ارتكاب الفاحشة بالمعاشرة الجنسية بين رجل وامرأة فى غير الطريق الحلال أو الشرعى، وهو الزواج.

---

(١) البخارى فى الرقاق (٦٤٧٧)، ومسلم فى الزهد والرقائق (٢٩٨٨/ ٥٠).

(٢) البخارى فى الرقاق (٦٤٧٤).

يقول الله تعالى فى سورة الإسراء: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء].

وكان عقاب الزانى والزانية أليمًا فى الدنيا والآخرة، يقول تعالى فى سورة النور: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾[النور]، وفى سورة النور أيضًا يقول عز وجل: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾[النور:٢]. وقال ﷺ: **«لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ... »** [رواه البخارى ومسلم، من حديث أبى هريرة] (١).

ويضاعف الله العذاب يوم القيامة للزانى إذا لم يتب فى الدنيا، يقول تعالى فى سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ ﴾[الفرقان].

ولعظم وكبر الذنب وضعه الله بعد الشرك وقتل النفس فى الآية.

ومن يعش فى عصرنا الحالى فى القرن الواحد والعشرين، يجد دعاة الحرية وحقوق الإنسان، ممن لا يدينون بالإسلام، يتخبطون فى اتجاهاتهم وآرائهم وقوانينهم وشرعهم الوضعى الوضيع، فهم يعطون الحق فى الممارسات الجنسية غير الشرعية، وفى الوقت نفسه ينادون بحقوق الإنسان!

فأين حق الطفل الذى يولد ولا يعرف أبويه أو أحدهما، ويربى داخل مؤسسات الدولة بأمهات بديلة، لا يعرفن الحب والعطف والانتماء؟

وأين حقوق المرأة على الرجل الذى ارتكب معها فاحشة الزنا؟ إنها علاقات حيوانية وضيعة ممجوجة، لا ترتفع بالإنسان إلى إنسانيته التى كرمها الله بها.

إن دعاة الحرية والحقوق من المزورين الغافلين الضالين، يرجعون بالمرأة إلى عصور الجاهلية الأولى؛ لتفقد كرامتها وحريتها وحقوقها التى كفلها لها الإسلام.

والعجيب كل العجب أن الدول الإسلامية تلهث وراء هذا المواثيق الدولية، وتسارع بالتوقيع على بنودها، بالموافقة على التطبيق، وأعنى بالدول - الحكومات الفاسدة الطاغية - التى تحكم تحت اسم الديمقراطية، وتخفى وراءها الحكم المتسلط وقهر الشعوب.

---

(١) البخارى فى الحدود (٦٧٧٢)، ومسلم فى الإيمان (٥٧/ ١٠٠).

وتكرس هذه الدول كل قطاعاتها التابعة لها لخدمة هؤلاء الضالين المضلين، وتنفذ القوانين، فتضمن البقاء وتضمن التمويل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

لقد حفظ الله تعالى المجتمع، وأعطى حقوق كل فرد منه بما يكفل تكوين نظام كامل متكامل قيم وقوى، يضمن التعمير والبناء على أسس شرعية سليمة؛ لتكوين الأسرة، والحفاظ عليها.

فأمر بعدم الاقتراب من الزنا؛ فإن بداياته ربما تكون نظرة، وربما تكون رائحة عطرة، وربما تكون ملابس كاسية عارية، وربما تكون الخضوع بالقول، وربما تكون تبرجًا بالزينة واللباس، وربما تكون بالاختلاط غير الشرعى، بالملامسة والحديث عن قرب، والعيش داخل أماكن لا يأمن فيها الشاب أو الشابة على نفسيهما.

وليس الإعلام العربى ببعيد، فقد اخترعوا أساليب وبرامج تحرض وتحس وتنشر الزنا بين الشباب، دون مراعاة للقيم الإسلامية أو التقاليد والأعراف الاجتماعية، فظهرت برامج تصور الشباب والشابات يعيشون معًا فى شقق مغلقة، ويقضون أربعًا وعشرين ساعة يوميًّا على الهواء مباشرة؛ ليراهم من يدخل على القناة، ومن يهوى الأساليب الإعلامية الجديدة، واستخدام العرب للتكنولوجيا الحديثة، إنها للأسف أداة هدم، وليست أداة بناءٍ، إذا ما كانت تحت سيطرة الفاسدين المضلين.

فكم أحدثوا من فساد ورذيلة! وكم اقتنع بها من فئة الشباب!

وكم من الشباب الذين نسوا ما نشئوا عليه من قيم!

إنهم كثيرون وخاصة من لم يتلق تعليما دينيًّا، يقيه مخاطر هذا التخلف، ومن يكثر من مشاهدة هذه النوعية من البرامج، ومن أصيب بالاغتراب الثقافى فى إطار كثرة ما يشاهده من برامج أجنبية ورذائل وفواحش فى القول والفعل، ومن يتركه والداه يستخدم وسائل الإعلام بلا قيد ولا شرط ولا رقيب.

إنهم من صغار الشباب الذين لديهم الشهوة الجنسية، والتعطش لها، ويريدون معرفة المزيد، منهم من كبار الشباب الذين لا يستطيعون الزواج؛ لعدم القدرة المادية على تحمل أعباء الزواج، ومنهم من وصل إلى سن العنوسة، فلا يحب إلا أن يشاهد ويسمع القليل أو الكثير، فقد فات قطار الزواج.



وماذا على الفتيات أن يعملن فى ظل هذا الجو المليء بالفواحش ما ظهر منها وما بطن؟:

إن الحل فيما سبق من سطور، هو أن عليها أن تأخذ بعكس هذه الأمور، وأن تتفقه فى آيات الله، وتعى جيدًا معنى عدم الاقتراب، فهى لافتة تفيد الحذر الشديد، والبعد عن كل ما يقرب إلى هذه الفاحشة، سواء أكان فى صورة أو كتاب أو محطة تلفزيون، أو موقع على الإنترنت، أو تلفون محمول، أو صديقة سوء، أو موضة الملابس أو أسلوب تعليم، أو أسلوب وقوانين عمل، التى تمنع الفتاة من الحشمة والحجاب.

إن هذه الكبيرة يعلمها جيدًا أعداء الإسلام والمسلمين، ويعلمون كيف أصبحوا وأصبحت مجتمعاتهم فى طور السقوط والانهيار بسببها، فهم يريدون أن نسقط مثلهم، وأن نتبع ملتهم حتى يرضوا عنا. فيصدرون لنا القوانين، وأساليب الحياة، والتكنولوجيا الحديثة فى الاتصال، وكلها تخدم تنمية وتطوير – من وجهة نظرهم – وتغيير القيم الإسلامية إلى قيم رذيلة، تساعد على التدهور والانحلال، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟

***

الفصل الثالث
تصنيف الذنوب حسب أصحاب الحقوق
[فى حق الله -فى حق الناس]



١- الذنوب التى فى حق الله :

وهى ما تتعلق بارتكاب معاصٍ فيما بين العبد وربه.

ومن هذه الذنوب ما يتعلق بأداء الفروض وسلامتها والمحافظة عليها وعدم تركها، أو تأخيرها أو إنقاصها أو التثاقل فى أدائها، ويمكن تفصيل بعضها، وخاصة ما يتصل بالصلاة والزكاة والحج.

ومن الذنوب بين العبد وربه ما يتصل بالكذب على الله ورسوله، والتكذيب بالقدر، واليأس والقنوط من رحمة الله، وهو ما سيتم عرضه بعد الفروض.

- الصلاة:

إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا، فطلب الله من المؤمنين المحافظة على أدائها فى أوقاتها، وكمال أدائها، والخشوع فيها، واتباع سنة الرسول ﷺ فى أدائها.

وعظم الإسلام من تركها إلى درجة الكفر بالله، وجعلها أول شىء يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وجعل العذاب الشديد لمن يسهو عن صلاته، ويحشر تاركها مع الظلمة يوم القيامة، واعتبر الرسول ﷺ من لا يتمها سارقًا، وأشد الناس سرقة، وجعل من يؤخرها منافقًا.

يقول الله عز وجل فى سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [النساء].

وجعل الله تعالى إضاعة الصلاة مفتاحًا لاتباع الشهوات، يقول تعالى فى سورة مريم: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠﴾ [مريم].

ويلقون غيًّا؛ أى عذابًا، سببه الغى والضلالة، والجهل الناشئ عن اعتقاد فاسد.

ويقول الله تعالى فى سورة الماعون: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون].

وهم الذين يؤخرون الصلاة، ولا يحافظون على أوقاتها، فعقابهم الويل والعذاب الشديد.

ولأن الدنيا دار عمل والآخرة دار للجزاء، فإن من لم يسجد ويصلّ فى الدنيا لجهل أو تقصير أو اتباع هوى، أو غيره من الأسباب، فإنه سيأتى يوم القيامة، فيدعى للسجود، فلا يستطيع.

يقول تعالى فى سورة القلم: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾ [القلم].

ومن أحاديث الرسول ﷺ ما يعظم من ترك الصلاة، أو نقصانها، أو عدم المحافظة عليها، أو عدم إتمامها، أو تأخيرها، أو التثاقل فى أدائها، يقول الرسول ﷺ:

«بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة»[(١)].

«أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن نقصت فقد خاب وخسر»[(٢)].

«من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورًا ولا برهانًا ولا نجاة يوم القيامة، وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبى بن خلف»[(٣)].

«أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته»، قيل: وكيف يسرق من صلاته، قال: **«لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها»** [رواه أحمد والحاكم، من حديث أبى قتادة][(٤)].

---

(١) مسلم فى الإيمان (٨٢/١٣٤).

(٢) أحمد (٢/٢٩٠) وقال الشيخ شاكر (٧٨٨٩): «إسناده صحيح»، وأبو داود فى الصلاة (٨٦٤)، والترمذى فى الصلاة (٤١٣)، وقال: «حسن غريب»، والنسائى فى الصلاة (٤٦٦)، وابن ماجه فى إقامة الصلاة (١٤٢٥)، وصححه الألبانى.

(٣) أحمد (٢/١٦٩)، وقال الهيثمى فى المجمع (١/٢٩٥): «رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط، ورجال أحمد ثقات»، وقال الشيخ شاكر (٦٥٧٦): «إسناده صحيح».

(٤) أحمد (٣/٥٦)، وقال الهيثمى فى المجمع (٢/١٢٣): «فيه على بن زيد، وهو مختلف فى الاحتجاج به، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وصححه الحاكم فى المستدرك (١/٢٢٩)، ووافقه الذهبى.

«تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى شيطان، قام فنقر أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلًا» (١).

«إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين؛ يعنى العشاء والفجر، ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لأتوهما ولو حبوًا» [رواه البخارى ومسلم، من حديث أبى هريرة](٢).

مسائل فى الصلاة:

- جاء وقت الأذان والصلاة وأنا منهمكة فى عمل المطبخ، فى كتابة قصة، فى مكالمة هاتفية طويلة، فى مذاكرة ليلة الامتحان، فى زيارة أقاربى، فى نزهة مع الصديقات والأسرة، نائمة، أشاهد برنامجًا تلفزيونيًا مضلًّا، فى درس علمى، فى ... فى ... فى ... إلخ.

أستكمل ما أنا فيه من عمل أو حال أو مقام، أم أسرع إلى الصلاة متى سمعت النداء مهما تكن الظروف؟

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [النساء].

هل إذا جاء ضيف وأنت فى المطبخ هل ستستمرين فى مطبخك؟ هل إذا جاءت مكالمة تلفونية وأنت مشغولة بكتابة القصة هل ستتركينها؟ إذا انقطع خط التلفون أثناء الحديث هل ستخسرين كثيرًا؟ هل تضمنى أن يأتى ما ذاكرتيه ليلة الامتحان غدًا فى ورقة الامتحان؟

- كلما دخلت فى الصلاة كل أمور الدنيا تدور بذهنى، ولا أدرى هل صليت ثلاثًا، أم أربع ركعات؟

خرجت من الذين هم فى صلاتهم خاشعون، وإلا عليك بـ: الله أكبر من كل أمور الدنيا، الدخول فى الصلاة بعد تهدئة المكان شكلًا ومضمونًا، ترك الواجبات بشكل منظم لحين الرجوع إليها بعد الصلاة، والدخول فى الصلاة بالقلب، وجعله بداية الخشوع، ثم تفقه الآيات، وتهدئة النفس، وحسن نطق الكلمات، وإعطاء الآيات حقها من التدبر والتفكير، واستشعار الوقوف أمام الله، وتطهير النفس والبدن والمكان.

- قمنا برحلة وقضينا يومًا كاملًا بدون صلاة، ولكننى أديتها بعد رجوعى إلى المنزل، وأنا منهكة القوى، لا أدرى ما أقول، ولا أدرك كم صليت من الركعات؟

---

(١) مسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (٦٢٢/ ١٩٥).

(٢) البخارى فى الأذان (٦٥٧)، ومسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (٦٥١/ ٢٥٢).

تذكرى من خلفوا من بعدهم خلفًا أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، ولكن رحمة الله واسعة، لمن تاب وآمن وعمل صالحًا.

- أعرف مواعيد البرامج التلفزيونية جيدًا، وأعرف مواعيد الحضور والانصراف من العمل، وأعرف مواعيد الحصص الدراسية، ولا أعرف مواعيد الصلاة، بل أؤديها وقت تذكرها؟

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون].

- أنا أسرع واحدة تصلى فى البيت، فقراءتى سريعة وحركاتى سريعة، وهو ما يجعلنى أتمها أسرع من أخواتى وأهل بيتى!

تذكرى قول الرسول ﷺ: **«أسوء الناس سرقة الذى يسرق من صلاته»**(١).

- أنا أعرف أن وقت الصلاة ممتد إلى وقت الصلاة التالية لها؛ لذلك فإنى أؤخر الصلاة حتى أصلى أكثر من صلاة بوضوء واحد!

تذكرى قوله ﷺ: **«إن تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى شيطان، قام فنقر أربعًا»**(٢).

- أصلى كل الصلوات فى مواعيدها إلا صلاة الفجر؛ لا أستطيع أن أستيقظ فى الميعاد.

قال ﷺ: **«إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين؛ يعنى العشاء والفجر»**(٣).

إن فى الجسم ساعة بيولوجية إذا ضبطها صاحبها ستأتمر بأمره؛ فإذا قلت فى نفسك: سأصحو اليوم لصلاة الفجر الساعة (...) يعنى بعد حوالى (...) ساعة إن شاء الله، فإن ذلك يعينك على الاستيقاظ، مع وجود منبهات صناعية وساعات اتصالية؛ أعنى بها الهاتف المحمول، مع وجود رنات الهاتف بين أصحاب الخير للتذكير بالصلاة، كذلك ينفع النوم بعد صلاة العشاء بوقت قصير فى سهولة الاستيقاظ على صلاة الفجر.

---

(١) سبق تخريجه، ص ١٩٨.

(٢)، (٣) سبق تخريجها، ص ١٩٩.

- الزكاة:

يعظم الإسلام من شأن الزكاة - كركن أساسى من أركان الإسلام - وهى كما كتبت على المسلمين، كتبت على أهل الكتاب من قبلهم.

وإذا كانت الصلاة عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين - فإن الزكاة أمر الله عز وجل بها مقرونة فى معظم الآيات المذكور فيها الصلاة بها.

وعظم الرسول ﷺ من تركها، فكان تاركها من أول الثلاثة الذين يدخلون النار يوم القيامة.

وعظم من شأنها الصحابة، حتى حارب أبو بكر الصديق الممتنعين عن أداء هذه الفريضة؛ فهى حق الله على العباد، وليس للعباد حق فيها، وحددها الشرع بقيم مقررة وصنفها، فجعل زكاة المال وزكاة الزروع وزكاة الحلى وغيرها، والذين لا يؤدونها هم البخلاء فى الدنيا، وحطب النار فى الآخرة.

يقول الله عز وجل فى سورة آل عمران: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[آل عمران:١٨٠].

وجعل الله لهم الويل والعذاب الشديد، يقول تعالى فى سورة فصلت: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فُصِّلَت]، فوصف الذين لا يؤتون الزكاة بالمشركين، ووصف تعالى فى سورة المائدة الذين يؤتونها بالمؤمنين: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾ [المائدة]، وجعل من يؤديها له الأجر والثواب، يقول تعالى فى سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٧٧﴾ [البقرة].

ووسعهم برحمته، يقول تعالى فى سورة الأعراف: ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝١٥٦﴾[الأعراف].

وجعل أموال الصدقة تطهيرًا للنفس وتزكية لها، يقول تعالى فى سورة التوبة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣]، وفى سورة فاطر: ﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ﴾ [فاطر:١٨].

وأن الصدق والتقوى للمؤمن لا يأتى إلا بتجمع أصناف البر التى ذكرها الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة].

وكما كتب الله الزكاة على المسلمين كتبها على من قبلهم، فقد كانت فريضة دعا إليها الأنبياء قبل سيدنا محمد ﷺ، ومنهم إبراهيم وموسى وعيسى، يقول تعالى فى سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء]، وفى سورة البينة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البيّنة]، وفى سورة النمل: ﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [النمل].

ويقرن الله عز وجل هذه الفريضة بطاعة الرسول، يقول تعالى فى سورة النور: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور].

وتختلف مفاهيم المنفعة والمكسب بين المؤمن وغير المؤمن وفى الدنيا والآخرة، يقول تعالى فى سورة الروم: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾[الروم:٣٩].

ويوضح اختلاف المفهوم حديث الرسول ﷺ، قال أبو ذر: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو جالس فى ظل الكعبة، فلما رآنى قال: «**هم الأخسرون ورب الكعبة**»، فقلت: ومن هم قال: «**الأكثرون أموالًا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم، ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها، حتى يُقضى بين الناس**»[١].

(١) البخارى فى الإيمان والنذور (٦٦٣٨)، ومسلم فى الزكاة (٩٩٠/ ٣٠).

وقال ﷺ: «**من آتاه الله مالًا فلم يؤد زكاته، مُثِّل له يوم القيامة شجاعًا أقرعَ، له ذبيبتان يطوقه يوم القيامة، فيأخذ بلهزمتيه (أى بشدقيه)، ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك**». ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران] (١).

وهذه موعظة من كتاب الكبائر جمعتها بجمل متفرقة:

قل للذين شغلهم فى الدنيا غرورهم!

إنما فى غد ثبورهم - ما نفعهم ما جمعوا إذا جاء محذورهم، إذا لقيهم الفقير لقى الأذى، فإن طلب منهم شيئًا طار منهم لهب الغضب كالجذا.

ولو شاء ربك لأغنى المحتاج وأعوذ ذا.

ونسوا حكمة الخالق فى غنى ذا وفقر ذا.

تجارب أم واعية:

- أعدت الأم ثلاثة صناديق، وعلقتها على الحائط كما تعلق النتيجة، وكتبت على واحدٍ صندوق الحج، وكتبت على الثانى صندوق الزكاة، وكتبت على الثالث صندوق فسحة الصيف، فأخبرت أولادها أن هذه الصناديق ستفتح فى نهاية العام الدراسى، وأن على كل فرد أن يضع فى الصندوق الذى يرغب فيه، ولا يخبر أحدًا بما يفعل، والأفضل ألا تعرف شماله ما وضعت يمينه، وفى الميعاد المحدد فتحت الصناديق الثلاثة، فوجدت الأم أن صندوق الزكاة كان أكثر الصناديق مالًا، فحمدت ربها وتأكدت أن درس الزكاة قد أثمر وجاءت بشائره.

- ادخر كل ابن فى المنزل بعض ماله الذى يحصل عليه كعدية فى العيدين، أو كهدية من أحد الأقارب، ولم يستفد من هذا المال، وجاء عليه العام بعد العام، فعلمت الأم أبناءها كيف يعطون حق الله فى هذا المال، وبدأت تأخذ اثنين ونصف على كل مائة جنيه من كل ابن، وأخبرتهم أنهم يجب عليهم استخدام المال فى التجارة حتى لا تأكله الصدقة، فينفعوا أنفسهم، ويعطوا حق الله، وينفعوا غيرهم.

- طبقت الأم بعض المسائل الرياضية التى تحتاج إلى ضرب وقسمة وتوزيع قسمة على أعداد من الناس أثناء تدريسها مادة الرياضيات لأبنائها، فدمجت علم الرياضيات بعلم الفقه، وسهلت على الأبناء تقبل الأفكار والعلوم معًا.

---

(١) البخارى فى الزكاة (١٤٠٣).

- اشترك الأبناء فى توزيع حصص الزكاة، ووضعها فى أظرف، وكتابة وإحصاء أصحاب المال، واشترك بعضهم فى توصيل الأمانات، دون تكليفهم عناء التنقل ومشقة السؤال.

- الصوم:

فرض الله الصيام على المسلمين، كما فرضه على الذين من قبلهم من أتباع الأنبياء، والصوم ربع الإيمان؛ بمقتضى قوله ﷺ: **«الصوم نصف الصبر»**(١)، وبمقتضى قوله ﷺ: **«الصبر نصف الإيمان»**(٢).

وجعل الله تعالى كل الفروض والأركان، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام، فقد ميزه بخاصية النسبة إلى الله تعالى قال ﷺ فيما حكاه عن ربه: **«كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم؛ فإنه لى وأنا أجزى به»**(٣).

وقال الله تعالى فى سورة الزمر: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزُّمَر]، وقال ﷺ فى الصائم: **«لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلى»**(٤).

ولا يعفى من هذه الفريضة إلا من كان مريضًا أو على سفر، وتعفى منها المرأة الحامل إذا خافت على نفسها أو جنينها، والحائض والنفساء، والطفل الصغير، على أن يتم قضاء هذه الأيام فى وقت الاستطاعة، وإفطار عن كل يوم مسكينًا فى بعض الحالات التى يتعذر فيها القضاء.

وفى حالات أخرى يتطلب من المفطر القضاء والإطعام، وهى أمور فقهية مبينة للمسلم والمسلمة، يقول الله عز وجل فى سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة].

---

(١) أحمد (٤/ ٢٦٠).

(٢) فتح البارى للحافظ ابن حجر فى أول كتاب الإيمان وقال: «أثر، وصله الطبرانى بسند صحيح، ولا يثبت رفعه».

(٣) مسلم فى الصيام (١١٥ ١/ ١٦٤).

(٤) البخارى فى الصوم (١٨٩٤).

وجلال وعظمة هذا الشهر العظيم، أنزل القرآن الكريم فيه، يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥]، فقد أهدى الله رب العالمين للبشر أعظم وأجل هدية؛ هداية لهم إلى يوم الدين.

- الحج:

حج البيت الحرام هو زيارة بيت الله، والقيام بالمناسك، كما علمنا رسول الله ﷺ، وهو فرض على كل مسلم ومسلمة فى حالة توفر الاستطاعة، وهى تشمل الزاد والراحلة؛ وهو ما يعنى القدرة المادية على الإنفاق على تكاليف السفر والإقامة والقيام بالمناسك، وهو حق لله على الناس.

يقول الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ الْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «ما من أحدٍ لم يحج، ولم يؤد زكاة ماله، إلا سأل الرجعة عند الموت، فقيل له: إنما يسأل الرجعة الكفار، قال: وإن ذلك فى كتاب الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون].

وكثير من المسلمات يتساءلن عن الاستطاعة بتساؤلات عدة، فمنهن من تسأل هل تنتظر إلى أن تتزوج أم تحج؟، هل تنتظر الأم إلى إكمال تعليم أولادها أم تحج؟، هل تؤسس بيتها تأسيسًا فاخرًا أم تحج؟ هل تشترى سيارة لقضاء حوائجها أم تحج؟ هل تعالج أمها أو أحد أقاربها أو أخواتها أم تحج؟ هل تؤسس بيتًا مسلمًا أم تحج؟

أذكر هؤلاء بأن العمر لا يضمن لأحد والصحة لا يضمنها أحد، والمال لا يضمن بقاءه أحد، فهل تنتظر الأخت إلى أن يفنى مالها فى الإنفاق على الأمور الدنيوية التى لا تنتهى، أم تنتظر إلى أن تشترى سيارة تضيع منها فى لحظة، أم هل تنتظر إلى أن يتقدم بها العمر، فلا تستطيع المشى والسعى، فتلجأ إلى من يحملها؟

لقد أسرعت الأخوات المؤمنات اللاتى يردن قضاء فروضهن بأداء فريضة الحج، فبعضهن باعت سيارتها، وأخريات استغنين عن بعض الذهب والحلى، وأخريات وفرت من

مصاريفها اليومية غير الضرورية، إلى أن اكتمل مال الزاد والراحلة، فهن لم يقصرن فى حسن النية والعزم الأكيد على أداء الفريضة.

أم اللاتى انتظرن وسوفن الفريضة، فلا يضمن لهن أحد أداءها، ولكن رغم ذلك، فإن إضاعة الأمانات، لابد أن تدركها جيدًا الأخت المؤمنة، التى تحافظ على أماناتها وترعاها.

فمن كان لديها أولاد صغار، لابد أن تطمئن عليهم فى أيدٍ أمينة، ربما تقول البعض: كيف تحج ونترك أطفالها الصغار، ولكن ربما تجد الجواب عند التفكير فى حالة حدوث مرض أو إصابة أو حادثة طريق، فيمكث البعض ممن ابتلاهن الله فى المستشفى أكثر من شهر، فمن يعول ويحافظ على الأولاد فى هذه الفترة .. هل ستخرج إليهم وتجدهم قد مرضوا وضاعوا وفشلوا ... إلخ؛ إنما هم فتنة؟، ويقاس على هذا المثل باقى متاع الدنيا ومتاع الغرور؛ كالمال والوقت والعلم والزواج والوظيفة ... إلخ، فكل هذه الأمور قد تضيع فى لحظة ولا تستطيع المسلمة استرجاعها، وليس لديها إلا الندم على ما فات وعلى ما فرطت فى حق الله.

الكذب على الله - عز وجل - وعلى رسوله ﷺ:

كذب على الله كثيرون، فقاموا بتحريف الكتب السماوية، وحذف وإضافة وتغيير ما يحلو لهم، ولكن الله تعالى قد حفظ القرآن الكريم إلى يوم الدين، يقول تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحِجر].

ولكن هناك من يشتغل بوعظ الناس كما تزين له نفسه ويأمره هواه والشيطان؛ حتى يأخذ منفعة دنيوية، ولا يعنيه ما ينتظره يوم القيامة من عذاب وخزى وسواد الوجه، يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الزُّمَر].

وقد فسر بعض العلماء الكذب على الله ورسوله بأنه كفر، ولا ريب فى أن الكذب على الله وعلى رسوله فى تحليل حرام وتحريم حلال، كفر محض:

قال ﷺ: **«من كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»** [رواه البخارى ومسلم][(١)].

وهناك صنف من الناس شغله سن القوانين والتشريعات التى تحرم ما أحل الله، وما أكثرها اليوم، وتحلل ما حرمه الله تحت شعار العولمة والإصلاح والتقدم والرقى والديمقراطية والحرية والحقوق، ربما لم يسنها المسلمون أنفسهم، ولكن الأدهى من ذلك والأمرّ هو طاعة المفسدين فى الأرض، والذين يسعون فى الأرض فسادًا، ونحن لسنا ببعيدين عن هذه القوانين، لقد فرضت علينا - رضينا أم أبينا - وما علينا الآن إلا أن ننكرها ونكذبها، ونتمسك بدين الله، وسنة رسوله ﷺ.

فهل إباحة الحرية الجنسية دون رابط حرية وتقدم وحقوق إنسانية، أم أسر وتخلف وحيوانية.

وهل نزع سلاح الدول الإسلامية، وتركها فى يد اليهود وأعوانهم، وضرب الدول المسلمة، وحبس من يتعلم ثقافة الحرب والسلاح، والدفاع عن الوطن، هل هذا سلام أم استسلام وهوان!

أين ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾؟ أصبح الآن مجرد التفكير فى الآية إرهابًا يجب محاربته من حكام الدول الإسلامية قبل أعدائهم، فالحكام عليهم بشعوبهم، والأعداء عليهم جميعًا.

ولم يكتفِ الحكام والطغاة باستخدام القوة فى تطبيق تشريعات العدو، ولكنهم يرغمون ويستخدمون بعض رجال الدين لترويج أفكار الكفرة والمنافقين والأعداء، فيكذبون على الله مضطرين، أو متعمدين، أو مرتشين.

فبعضهم يحلل فوائد البنوك الربوية، أو مساندة الدول الأجنبية فى إرغام المسلمات بخلع الحجاب تحت حجة باطلة، وهيأن كل دولة حرة فيما تسن من قوانين وتشريعات، ونسوا ما سنته هذه الدول نفسها تحت شار حرية العبادة، وحقوق الإنسان، وحرية التعبير عن المعتقدات الدينية، ولكن عندما تعلق الأمر بالإسلام والمسلمين أصبحت الحرية قضية، وربما

---

(١) البخارى فى العلم (١٠٧)، ومسلم فى المقدمة (٣/٣).

وضعوها ضمن قضايا الإرهاب - وحسبنا الله ونعم الوكيل - فى عصر قلب المفاهيم والقيم.

التكذيب بالقدر:

القدر هو الركن السادس للإيمان، وهو أحد أركان العقيدة الإسلامية، سأل جبريل النبى ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، فقال ﷺ عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

والإيمان بالقدر يستوجب الإيمان بكل ما قدره الله سبحانه وتعالى، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤]، وفى سورة يس: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[يس:٨٣]، وفى سورة البروج: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج:١٦].

فكل شىء عند الله تعالى بمقدار، «لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره» [شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٥٣].

وقد نهى الرسول ﷺ عن الخوض فى القدر والتعمق فيه، فقد خرج ذات يوم والناس يتكلمون فى القدر، فقال لهم: «**ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟! بهذا هلك من كان قبلكم**» [أخرجه أحمد](٢).

عن ابن الديلمى قال: أتيت أبى بن كعب، فقلت له: قد وقع فى نفسى شىء من القدر، فحدثنى؛ لعل الله يذهب من قلبى، فقال: «**لو أن الله تعالى عذب أهل سمواته وأهل أرضه، عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أُحدٍ ذهبًا فى سبيل الله، ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار**»(٣).

(١) مسلم فى الإيمان (٩، ١٠ / ٥، ٧).

(٢) أحمد (١٧٨/٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٦٦٦٨): «إسناده صحيح».

(٣) ابن ماجه فى المقدمة (٧٧)، وصححه الشيخ الألبانى.

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال لابنه عند الموت: يا بنى إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك؛ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، فقال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شىء حتى تقوم الساعة»** .. يا بنى إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من مات على غير هذا فليس منى»**(١).

وقد قال ﷺ لابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: **«يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»** [رواه الترمذى](٢).

مشكلات عدم الرضا بقضاء الله وقدره:

(الغضب – الحزن – الإحساس بالظلم – عدم الإحساس بالاطمئنان – عدم القدرة على التحمل – كثرة الشكوى لغير الله – القنوط من رحمة الله).

يقول ابن القيم: «إذا شكوت لابن آدم، فإنما تشكو الرحيم إلى الذى لا يرحم».

يقول الله تعالى فى سورة التغابن: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن:١١].

قصة فنان تجول بين الأديان:

سأل أحد مقدمى البرامج فى قناة فضائية أحد قُدامى الممثلين العرب، والذى ترك التمثيل العربى وهاجر لأمريكا؛ لاحتراف هذه المهنة هناك، وبعد أن مضى به العمر والسنون رجع إلى بلده، فسأله المقدم كنت يهوديًا، ثم اعتنقت الإسلام، فما هى ديانتك الآن؟

فقال الممثل: نعم، وكانت أمى مسيحية، ولكنها عندما كانت تحتضر كانت تدعو المسيح ومريم، فلم أعتقد بذلك، فلما ماتت بحثت عن الذى سأدعوه لها، فلم أجد غير أنى قلت: يا أمى يا أمى!!

---

(١) السلسلة الصحيحة للشيخ الألبانى (١٣٣).

(٢) الترمذى فى صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦)، وقال: «حسن صحيح».



ثم قال – وبئس ما قال: إن الله لابد أن يكون عادلًا فهل نرى فى هذا الكون عدلًا؟! فهناك القتل والدمار والحروب كما تعرف، والله من صفاته العدل، فأين العدل؟!

هذا الفنان الذى يصفق له الجماهير الغفيرة، وصل إلى هذا الحال!!

الإيمان بالقدر لا ينافى الأخذ بالأسباب:

إننا مأمورون بالأخذ بالأسباب، مع التوكل على الله عز وجل، فلو ترك الطالب المذاكرة بدعوى أن النجاح بيد الله، لم يكن متوكلًا على الله، ولو ترك السعى لطلب الرزق وترك أولاده فقراء كان آثمًا، مع أن كل شىء بأمر الله، وكذلك الحال فى المرض وغيره.

وقد سئل الرسول ﷺ عن الرقية والأدوية، فقيل: أرأيت رقى نسترقى بها، وتقى نتقى بها، وأدوية نتداوى بها، هل ترد من قدر الله شيئا؟! قال: **«هى من قدر الله»**.

– «الالتفات إلى الأسباب، واعتبارها مؤثرة فى المسببات شرك فى التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباب نقص فى العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح فى الشرع» [مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٨، ص ٨ – ٥].

وقد كان الرسول ﷺ يأخذ بالأسباب، فيحتجم عند المرض، ويأكل العسل للشفاء، ويمشى فى الأسواق ... إلخ.

مسائل فى الإيمان بالقدر:

– تأخرت الحيضة – الدورة الشهرية – عند الفتاة، فتركتها أمها؛ بدعوى أن هذا الأمر قضاء وقدر ولم تعالجها، وعندما تزوجت وجدت تأخرًا فى الحمل؛ لعجز فى التبويض، كان يمكن أن تعالجه الأم الواعية قبل الزواج، فهذا يتنافى مع التوكل والأخذ بالأسباب.

– كان الزوج سيئ الخلق، وقليل الإيمان، وكثير المشاجرة مع أهل البيت، فاعتبرت الزوجة أن هذا قدرها مع هذا الزوج، ولا سبيل للإصلاح، وأن العلاج الوحيد هو الطلاق، فلم تأمره بالمعروف، ولم تنهه عن المنكر، ولم تدفع بالتى هى أحسن، ولم تصبر، ولم ... ولم ... ولم ... إلخ، فكانت النتيجة هدم البيت وضياع أولادها.

– كانت الأسرة فقيرة، ولا تستطيع تلبية احتياجات الفتاة، التى فضلت مصاحبة الأثرياء، ولم ترض بحالها ومستواها، فخرجت من البيت، وانضمت لجماعة غير صالحة، كل أهدافهم الشهوات، ولا يعرفون حلالًا أو حرامًا؛ ففقدت دينها ودنياها.

- كانت الفتاة تذاكر وتعمل، ولكن تجد زميلاتها يذاكرن أقل منها، ويعملن أقل منها، وفى نهاية العام يحصلن على درجات أعلى فى الامتحان، فأخذت تحسدهن، وتحقد عليهن، وتدعو عليهن، فهى لم تؤمن بأن النتيجة بيد الله، وأن ما عليها إلا العمل والاجتهاد، وأن ما يحسبه الناس خيرًا قد يكون شرًّا، والعكس.

وهى لم تدرك أن هذه النتيجة التى حصلت عليها تعد ابتلاء من الله؛ لتصحيح مسار حياتها، وإعادة تنظيم أمورها، وترتيب أوضاعها، فربما إذا فعلت ذلك بذلت مجهودًا أقل، وحصلت على درجات أكبر.

فتاة نادمة على كل ما تفعل، وعلى كل ما يرزقها الله من نعم، ودائمًا تتحسر: «لو أنى فعلت كذا لكان كذا وكذا»، وهذا الأمر يعوق تفكيرها، ويعوق تطورها، ويؤثر على علاقتها بالآخرين.

نسيت أمر ونصيحة الرسول ﷺ لكثيرى اللوم، أن يقولوا: **«قدر الله وما شاء فعل»**.

اليأس والقنوط من رحمة الله:

اليأس: هو انقطاع الأمل، وانتفاء الطمع فيه، والقنوط أشد اليأس.

وقد وصف الله عز وجل الكافرين بأنهم يئسوا من روح الله، ومن رحمته، وتوعدهم بالعذاب الأليم، وغضب الله عليهم فى الدنيا والآخرة.

واليأس من صفات الإنسان غير المؤمن بالله، فهو يتغير من حال إلى حال، تبعًا لما يقع فيه من نعمة أو نقمة، وأمر الله عز وجل بعض رسله ألا يكونوا من القانطين، وأن هذه الصفة لا تكون إلا مع أصحاب الضلال، وأمر الله عباده الذين أسرفوا على أنفسهم بعدم القنوط؛ لأنه هو الغفور الرحيم.

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة الزمر: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر:٥٣].

فالطالبة التى لم توفق فى الامتحان إذا يئست من رحمة الله، فستترك العلم ويعوق اليأس استمرارها فى العمل.

والموظفة التى كثيرًا ما يساء معاملتها فى العمل من قبل الحاقدين والظالمين، إذا يئست

من رحمة الله، فربما تركت العمل وانقطع مصدر رزقها، وربما تحولت إلى موظفة سيئة لتجارى البيئة الفاسدة التى تعمل فيها.

والزوجة التى لم يرزقها الله بأطفال من زوجها إذا يئست فستوقف العلاج، وستسوء علاقتها الزوجية، وتنعدم الألفة والمودة، ويزداد القلق على الزوج، والأم التى يئست من رحمة الله فى هداية ابنها أو ابنتها، ستتركه دون توجيه، أو أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وستقبل الحال على ما هو عليه، فلا تمنعه من الصحبة السيئة، ولا تنهاه من فعل المنكرات، ولا تأمره بعمل الصالحات.

فاليأس يعطل على المسلم والمسلمة العمل والإنتاج، وإصلاح النفس، وطلب رضاء الله، ويسيء الخلق، ويزيد من التوترات النفسية؛ فهو قتل للإنسان من كل جانب، سواء نفسه أو عقله أو جوارحه.

والأم يجب أن تربى أبناءها على عدم اليأس أو القنوط منذ طفولتهم وطول حياتهم، ولنا فى سيدنا يعقوب أسوة حسنة، يقول تعالى فى سورة يوسف: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف].

وأن تعلمهم أن اليأس من أخلاق الكافرين الضالين الخاسرين لدينهم ودنياهم.

يقول تعالى فى سورة العنكبوت: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٣﴾﴾ [العنكبوت].

فاليأس من رحمة الله ليس أمرًا سهلًا، وليس أمرًا مقبولًا عند الله؛ فعاقبته النار وبئس المصير.

وأن تبعد أولادها عن اليائسين من رحمة الله، فهذا الأمر ربما ينتقل إلى الناس كالمرض المعدى الذى يجب الاحتراز منه، يقول تعالى فى سورة الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الممتحنة].

اليأس ليس صفة من صفات المؤمنين، الذين إذا أصابهم خير شكروا الله عز وجل، وإذا أصابتهم ضراء صبروا، فكان خيرًا لهم.

أما الإنسان غير المؤمن، فله صفات أخرى، بينها لنا الله عز وجل فى محكم آياته، يقول تعالى فى سورة فصلت: ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾﴾ [فُصِّلَت] وفى سورة الإسراء: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء].

وفي سورة هود: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾﴾ [هود:٩].

وفي سورة الروم: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الروم:٣٦].

مسائل في اليأس والقنوط:

- عندما أبدأ في عملي ويستعصي عليَّ جزء فيه، فإنني أتركه وألجأ إلى غيره، وعندما لا أستطيع استكماله، فإنني أتركه وألجأ إلى غيره، وهكذا إلى درجة لا أستطيع معها أن أكمل عملًا على الإطلاق.

وأحسست أحيانًا كثيرة بالفشل من اللوم الذي ألقاه كثيرًا ممن حولي من أفراد الأسرة وزميلاتي، حتى أصبت بالاكتئاب، وأصبحت أجلس في حجرة مظلمة بمفردي، ولا أريد معايشة الناس، وأحسست بالظلم الشديد الواقع عليَّ، يقول تعالى في سورة الفتح: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح].

لقد كان العذاب في الدنيا والآخرة، ولا مخرج من هذا إلا بالرجوع إلى الله وحسن الظن به، والتركيز على عمل في مقدرتك، ويكون قصير الأجل، ولا يحتاج إلى مراحل طويلة أو معقدة في البداية، ولا تخبري به أحدًا إلا بعد إكماله، واتق الله في العمل، بحيث يؤدى على أكمل وجه، وأفضل ما أداه الآخرون، والخير قادم بإذن الله.

مسألة:

إنني أرى كل من حولي من الفتيات غير ملتزمات، وكل همهن الدنيا وما فيها من: الشهوات والرقص والفسح والأكل في المحلات واللبس على ذوق الراقصات، وإني كلما دعوت إحداهن لله ما كان منهن إلا الاستهزاء والإعراض.

والبعض أقنعني بأن هذا الأمر شخصي، ودع الخلق للخالق، وأن الدنيا اليوم لها ظروفها، وأن العمل لا يقبل الملتزمات والمحتشمات، فكيف سأعيش بين هؤلاء؟، إذا تركتهم وعشت بمفردي أصبحت مريضة، وإذا عايشتهم لم أنج من فسقهن!

اقرئي ما قاله تعالى: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ



لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ [آل عمران].

انظرى كيف أدى سوء الظن إلى الوقوع فى اليأس والقنوط، فعلينا حسن الظن بالله، والعمل ثم العمل ثم العمل، أما النتائج فبيد الله وله حكمته فى ذلك.

ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة، ففى سنة الرسول ﷺ فى التغيير، يأمرنا ﷺ بأنه من رأى منكرًا فليغيره بيده[1] (واليد هنا ليست بالضرب والأذى ولكن بالمنفعة والعطاء والخير والنماء)، فإن لم يستطع الإنسان، فعليه بلسانه (واللسان هنا ليس بالتكبر والفحش والاستهزاء والكذب وغيره، ولكن بالكلمة الطيبة الرقيقة والهادئة التى تؤلف القلوب)، فإن لم يستطع فبقلبه (والقلب هنا لا يأتى إلا بعد استنفاد القوى السابقة المتمثلة فى اليد واللسان)، ولا نيأس من رحمة الله تعالى.

- نجد وسائل الإعلام تحارب الجماعات الإسلامية المعتدلة، وكل من ينتمى إلى جماعة دينية إسلامية، وتشوه صورتهم، وتقنع الناس أنهم قوم ظالمون وضالون وإرهابيون وسارقون، وتصفهم بأرذل الصفات، وتأتى الجهات الحكومية الرسمية، فتمنع وتعيق وتضيق على الملتزمات بدينهن وأوامر الله ورسوله.

وجهات الأمن تعتقل وتصادر أموال الملتزمين والمتدينين بغير وجه حق، وتقتل الكثير منهم ظلمًا، وتعذب الكثير.

لقد أدت هذه الأمور وغيرها إلى إحساس البعض بصعوبة الالتزام بالدين، وأنه عائق فى سبيل العمل والوظيفة المجزية المريحة، وأنه يسبب كثيرًا من المتاعب النفسية والمادية، ففضلوا الخوض مع الخائضين وتجاهل الدين، اقرأى قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النور]. فوعد الله نافذ، وجند الله هم الغالبون، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

---

(١) مسلم فى الإيمان (٤٩/٧٨).

٢- الذنوب التي بين العبد والناس:

الفرق بين الذنوب التى بين العبد وربه، والتى بين العبد والناس، هو أن الأخيرة لابد لها عند التوبة منها من رد المظالم إلى أصحابها، وعفو صاحب المظلمة عن الظالم على فعلته، وإلا جاء يوم القيامة، فيأخذ من حسناته، وإذا فنيت يطرح عليه من سيئاته، وكثير من هذه الذنوب تم تناولها فى تصنيف الذنوب إلى كبائر وصغائر، وتصنيف الذنوب حسب الجهة المسببة لها؛ لذلك سيتم تناول بعض الذنوب بين العبد والناس، والتى لم تعرض فى التصنيفات الأخرى، ومنها: غش الإمام للرعية، والقاضى السوء، والبغى والخيانة، والغدر وعدم الوفاء، والأذى للجار والمسلمين والعباد.

غش الإمام للرعية وظلمه لهم:

وهل ما فيه العرب والمسلمون الآن إلا من هذه الكبيرة؟!

وهل استطاع الأعداء النيل من المسلمين إلا من هذه الكبيرة؟!

وهل تخلف وفقر وجهل ومرض العرب والمسلمين الآن إلا منها؟!

وهل ضياع أموال المسلمين وثرواتهم وحقوقهم إلا من غش الإمام للرعية.!

إنهم قبل أن يظلموا الناس فقد ظلموا أنفسهم، فلا تحسبن الله غافلًا عما يعملون. فلهم يوم سيعرضون عليه، يوم الخزى والعذاب الأليم، يوم يحرم عليهم الجنة ونعيمها.

يقول الله عز وجل فى سورة الشورى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الشورى].

ويقول تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء].

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم].

وأخبر الرسول ﷺ عنهم فى أحاديث كثيرة، وأخبرنا عن عاقبتهم فى الآخرة:

- يقول ﷺ: **«أيما راعٍ غش رعيته فهو فى النار»** [رواه الطبرانى، عن أنس][1].

---

(١) كنز العمال (١٤٦٥٦).



وحمل الرسول ﷺ كل مسئول المسئولية عن رعيته، سواء أكان صغيرًا أو كبيرًا، مالكًا أو مملوكًا، ذكرًا أو أنثى.

- يقول ﷺ: **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»** [من حديث ابن عمر][(١)].

ويخبرنا ﷺ بتحريم الجنة على من استرعى رعية ولم ينصحها:

- قال ﷺ: **«من استرعاه الله رعية، ثم لم يحطها بنصحه إلا حرم الله عليه الجنة»** [أخرجه البخارى][(٢)].

ويحذرنا ﷺ من اتباع الأمراء الظلمة الفسقة ومجاراتهم:

- يقول ﷺ: **«سيكون أمراء فسقة جورة، فمن صدقهم بكذبهم، ومن أعانهم على ظلمهم، فليس منى ولست منه، ولن يرد على الحوض»** [رواه أحمد والترمذى، من حديث كعب بن عجرة][(٣)].

رسالة:

أختاه قد تكونين أنت التى وقع عليها ظلم الحاكم فى نفسك أو فى أخيك أو أبيك أو زوجك، فزج بأحدهم فى السجون ظلمًا، وعذب وأهين، وقد تكونين ممن فقدوا أحباءهم من ظلم الحاكم وأحكامه العرفية التى لا تعرف الحق أبدًا، ولا تعرف شرع الله، ولا يخاف واضعها ومنفذها من يوم الحساب، قد تكونين ممن شاهدوا ما وقع على أخواتهن من ظلم الحكام المفسدين، قد تكونين ممن سمعوا عنه أو قرءوا عنه، ودمعت عيناك، وتفطر قلبك بالبكاء والأسى.

ألا إن نصر الله قريب، ولينصرن الله من ينصره، ألا إن موعد المؤمنين الجنة، وموعد الظالمين الجحيم، فاصبرى واثبتى، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

القاضى السوء:

يلجأ الناس إلى المحاكم والقضاة لاسترداد حقوقهم المسلوبة، وحدد هذه الحقوق الله عز وجل وبينتها الشريعة الإسلامية، ولكن كيف يكون الحال إذا حكم القاضى بما لم ينزل الله،

---

(١) البخارى فى الجمعة (٨٩٣).

(٢) البخارى فى الأحكام (٧١٥٠).

(٣) الترمذى فى الفتن (٢٢٥٩)، وقال: «صحيح غريب»، وأحمد (٢/٢٤٣).

أو حكم لصالح الظالم وهو على علم أو حكم لصالح الظالم وهو على جهل، أو حكم بشريعة الكافرين، أو حكم بما تزين له نفسه، أو حكم كما يأمره الحاكم الظالم؟

الجواب: إن المظلوم سيقع عليه أضعاف ما وقع عليه من الظلم حسب درجة ظلم الحاكم والقاضى، فبدلا من أن يسترد حقوقه يقع عليه عقاب من سلبه منه، أى عدل فى المجتمع بعد ظلم المظلوم؟ سيزداد الظالم والمعتدى والجائر فى ظلمهم، خاصة إذا ساندهم أصحاب الأمر والقرار والحكام والمشرعون.

لقد وصفهم الله عز وجل بثلاث صفات، وهى: الكفر والظلم والفسق، يقول تعالى فى سورة المائدة:

- ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة].
- ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة].
- ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة].
- ولا تقبل صلاتهم وعذابهم النار يوم القيامة.

يقول ﷺ: **«لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله»** [رواه الحاكم عن طلحة بن عبيد الله][(١)].

ويقول ﷺ: **«القضاة ثلاثة: قاضٍ فى الجنة وقاضيان فى النار، قاضٍ عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة، وقاضٍ عرف الحق فجار متعمدًا فهو فى النار، وقاضٍ قضى بغير علم فهو فى النار»**. قالوا: فما ذنب الذى يجهل؟ قال: **«ذنبه ألا يكون قاضيًا حتى يعلم»**[(٢)].

وقال ﷺ: **«من جعل قاضيًا، فقد ذبح بغير سكين»**[(٣)].

---

(١) الحاكم فى المستدرك (٤/٨٩)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وتعقبه الذهبى: «قلت: سنده مظلم، وفيه عبد الله بن محمد العدوى متهم».

(٢) أبو داود فى الأقضية (٣٥٧٣)، والترمذى فى الأحكام (١٣٢٢)، وابن ماجه فى الأحكام (٢٣١٥)، وصححه الألبانى.

(٣) أبو داود فى الأقضية (٣٥٧١)، والترمذى فى الأحكام (١٣٢٥)، وابن ماجه فى الأحكام (٢٣٠٨)، وصححه الألبانى.

الخيانة:

قد يخون المرء الله، وقد يخون الرسول ﷺ، وقد يخون الأمانات التى وكل بحفظها، وقد يخون الناس، إنما فى كل الأحوال، فإنه على علم بما يصنع.

يقول الله تعالى فى سورة الأنفال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال].

والأمانة قد تكون كلمة أسر بها صاحب لصاحبه فيخونه بإفشائها، وقد تكون وعدًا بين فريق أو جماعة، وبعضهم يلتزمون بأدائه، فيخون البعض أو أحده الجماعة، ويخلف هذا الوعد والعهد، وقد تكون الأمانة وصية يوصى بها أحد الوالدين أولاده فيخفيها عن الناس، ولا ينفذها كما أمره به أحد والديه، وقد تكون عملًا أو ظيفة يجب أن يؤديها الفرد على شكل معين وفى وقت معين، فيقصر فى أدائها أو يعطلها، وقد تكون شيئًا ماديًّا كالمال أو حاجيات خاصة يضعها صديق عند صديقه، ويطلب منه حفظها فيفرط فى أمانته، فيأخذ منها أو يضيعها بحجة أنه صديقه أو أخوه، وفى جميع الأحوال فإن الله لا يهدى الخائنين، يقول الله تعالى فى سورة يوسف: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف].

وقد وصفهم الرسول ﷺ بالنفاق وبعدم الإيمان، يقول ﷺ: **«آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»** [رواه البخارى ومسلم، من حديث أبى هريرة][1] يقول ﷺ: **«لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»**[2].

وخيانة البعض لنا ليس سببًا أو ذريعة لخيانتهم، أو مقابلة الخيانة بالمثل، وهذه أخلاق الإسلام، يقول ﷺ: **«أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»**[3].

وقال ﷺ: **«إياكم والخيانة؛ فإنها بئست البطانة»**[4].

---

(١) البخارى فى الإيمان (٣٣)، ومسلم فى الإيمان (١٠٧/٥٩).

(٢) أحمد (١٣٥/٣)، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠١/١): «رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى فى الأوسط، وفيه أبو هلال وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائى وغيره»، وابن حبان فى الموارد (٤٧).

(٣) أبو داود فى البيوع (٣٥٣٤)، والترمذى فى البيوع (١٢٦٤)، وقال: «حسن غريب»، وصححه الألبانى.

(٤) مجمع الزوائد للهيثمى (٢٣٨/٥) وقال: رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير، وفيه عبد الله بن عبد الرحمن بن مليحة وهو ضعيف».

مسائل فى الخيانة:

أمى دائمًا لا تصدقنى وتسىء الظن بى، ولكنى لا أحس أننى على خطأ، فما العيب فى الحديث مع زميلى فى الهاتف المحمول فى حجرت؟!.

وما العيب فى أن يوصلنى زميلى بسيارته مع باقى الزملاء إلى البيت، هل هذا أفضل أم التاكسى أم الأتوبيس؟!

وما العيب فى أن أقف لأتناقش مع زميلى فى أمور الدراسة أو العمل؟!

نعم لقد أمرتنى أمى أن أمتنع عن الحديث فى الهاتف مع شباب أو أى زميل، وأن يكون هناك تحفظ وغض بصر فى التعامل معهم، وأن أتحدث بأدب وصوت منخفض، ولا أضحك بصوت عالٍ، أنا أعلم أن الأعمال بالنيات، وأن نيتى سليمة جدًّا، وأن الناس كلهم يفكرون مثلى، أما طريقة تفكير والدتى فأحس أنها طريقتها هى فقط.

فقدت الثقة بينى وبينها، ونسيت أن طاعة أمى فى غيابها أمانة، ويجب أن أحفظ كلماتها، وأضلنى هواى على علم ولم يكن الله معى؛ لأننى خنت أمى وكذبت عليها وكانت العاقبة سيئة بكل المقاييس، ففازت أخواتى ببر أمى وطاعتها وفقدتها، وامتنع زميلى عن التقدم لخطبتى؛ لأنه علم أننى أتحدث مع غيره فى الهاتف، واعتبرها خلوة غير شرعية، ازداد توترى وندمى وأسفى على خيانتى لأحق الناس بالبر، وهى أمى.

- كلما تحدثت مع صديقاتى فى الهاتف لا مفر من ذكر أخبار صديقاتى وأحوالهن، فتضيع الأمانات وتتناثر بين البنات، ونسينا أنها أمانة الكلمة، فضاع الارتباط والأخوة والصداقة، ولم يبق أحد يخاف على الآخر، ولم يبق سر يمكن أن يحفظ ولا يخاف عليه من الانتشار، فلا أخوة فى الله ولا اعتصام بحبل الله، ولا نصر على الأعداء بدون حفظ الأمانة.

الغدر وعدم الوفاء:

عدم الوفاء بالعهد والوعد بين الناس يفقد الثقة بينهم، ويشيع الحروب والقطيعة والخصومة، ويضيع كثيرًا من حقوق الناس على بعضهم البعض، ويعتبرها الإسلام مسئولية على كل من شارك فيها، سواء أكان مسلمًا أو غير مسلم، ذكرًا أو أنثى، غنيًّا أو فقيرًا، حاكمًا أو محكومًا، والمتتبع لعلاقة الإسلام باليهود، يجد أن أسباب الحروب التى قامت بين المسلمين

واليهود كانت بسبب نقض اليهود للعهود، وهى صفة دائمة أبدية فيهم، وهم يستخدمون العهود لتحقيق مصالحهم حتى إذا وجدوا أن مصلحتهم فى غير ذلك، نقضوا العهد بلا حرج أو تأنيب ضمير، أما الإسلام فيلزم المسلم بالحفاظ على العهد والوعد.

يقول الله عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء:٣٤].

ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة:١].

ويصفهم الرسول ﷺ بالنفاق، قال ﷺ: **«أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كان فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا ائتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»** [أخرجه البخارى، من حديث عبد الله بن عمرو](١).

وهذه بعض الآثار السلبية للغدر:

- التوترات النفسية للطرفين؛ الغادر والواقع عليه الغدر.
- فقد الثقة بين المسلمين وبعضهم الواقعين فى هذا الذنب.
- تشويه صورة الإسلام والمسلمين فى حالة نقض العهد مع غير المسلمين.
- عدم الاحترام وفقد التبجيل والتوقير بين الأطراف الغادرة.
- قيام كثير من المشاحنات والمشاجرات بين الأطراف الناقضة للعهود والمواثيق.

البغى:

هو ظلم الناس لبعضهم البعض، وغالبًا ما يكون من الأقوى أو الأكبر أو الأغنى أو صاحب المنصب أو صاحب النعمة، ويقع على الأضعف أو الأصغر أو الفقير أو العامل أو الموظف أو المبتلى، يقول الله تعالى فى سورة الشورى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الشورى:٤٢].

وقال ﷺ: **«إن الله أوحى إلىَّ أن تواضعوا، حتى لا يبغى أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد»** [رواه مسلم، من حديث عياض بن حمار](٢).

وهذا الحديث وضع علاجًا للبغى والظلم، وهو التواضع بين الناس وبعضهم.

وحذر الرسول ﷺ من البغى، وأن عقوبته يعجل الله له بها فى الدنيا، يقول ﷺ: **«ما**

---

(١) البخارى فى الإيمان (٣٤)، ومسلم فى الإيمان (١٠٦/٥٨).

(٢) مسلم فى الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٥/٦٤).

من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخره له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم»[١].

فإذا سرق الغنى من الفقير، لا يستطيع الفقير أن يقاضيه؛ فمن يصدقه؟ «ابن الشريف يسرق من الفقير؟!».

وإذا طرد صاحب العمل العامل من عمله ظلمًا، لا يستطيع العامل أخذ حقه منه، وإذا استأثر صاحب المنصب بالمناصب الكبيرة لنفسه وأقاربه، وحرم غيره من المستحقين الأكفاء، فمن يستطيع أن يمنعه؟، لذلك فإن الله المنتقم الجبار يعجل له العقوبة فى الدنيا مع ما يدخره له فى الآخرة من عذاب.

ومن الآثار السلبية للبغى:

- عدم الإحساس بالأمن والأمان؛ فالقوى يضر الضعيف.
- سيطرة فئة قليلة على ثروات البلاد وخيراتها لصالح أنفسهم.
- انتشار الحقد والكراهية، وكثرة دعاء المظلوم على الظالم.
- عدم التطور والتنمية؛ بسبب سيطرة أصحاب النفوذ وحرمان الأكفاء من العمل.
- ضياع كثير من الحقوق، وعدم تطبيق القوانين الشرعية، وانتشار القوانين الوضعية الظالمة.

أذى الناس:

هو إلحاق الأذى والسوء بالغير عن عمد، والإصرار عليه، وقد يؤذى المرء جاره، وقد يؤذى المسلمين، وقد يؤذى عباد الله.

وقد نفى الرسول ﷺ صفة الإيمان عمن يلحق الأذى بجاره، يقول ﷺ: **«والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن»**، قيل: من يا رسول الله؟ قال: **«من لا يأمن جاره بوائقه»** [رواه البخارى، من حديث أبى هريرة][٢].

وقد سئل الرسول ﷺ عن أعظم الذنب عند الله، فذكر ثلاث خلال: **«أن تجعل لله ندًّا**

---

(١) أبو داود فى الأدب (٤٩٠٢)، والترمذى فى صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١١)، وقال: «حسن صحيح».
(٢) البخارى فى الأدب (٦٠١٦).



وهو خلقك، وأن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، وأن تزنى بحليلة جارك» [رواه البخارى، من حديث عبد الله بن مسعود](١).

والجيران ثلاثة: جار مسلم قريب، له حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة، وجار مسلم، له حق الجوار وحق الإسلام، والجار الكافر، له حق الجوار.

وكان ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا له جار يهودى، فكان إذا ذبح الشاة يقول: احملوا إلى جارنا اليهودى منها.

أما أذى المسلمين، فقد عظم الله تعالى فى كتابه الكريم أذى المؤمنين والمؤمنات، يقول تعالى فى سورة الأحزاب: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾[الأحزاب].

وقد يكون هذا الأذى مجرد سخرية أو استهزاء، أو ندائه بلقب لا يحبه، أو تقليده بما لا يرضيه، أو التجسس عليه، أو اغتيابه بقول ما لا يرضيه فى غيابه حتى إن كان حقًّا.

يقول تعالى فى سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾[الحُجُرات]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾.

وجعل الإسلام أشر الناس يوم القيامة الفاحش فى القول.

يقول الرسول ﷺ: **«إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة، من ودعه الناس، وتركه الناس اتقاء فحشه»** [متفق عليه، من حديث عائشة](٢).

ويحرم الإسلام أذى المسلم فى دمه وماله وعرضه، ففى الحديث،قال ﷺ: **«كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»** [رواه مسلم، من حديث لأبى هريرة](٣).

وقال ﷺ: **«المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»** [رواه مسلم، عن أبى هريرة](٤).

---

(١) البخارى فى التفسير (٤٤٧٧).

(٢) البخارى فى الأدب (٦٠٥٤)، ومسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٩١).

(٣) مسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٦٤/٣٢).

(٤) مسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٦٤/٣٢).

وقال ﷺ: **«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»** [متفق عليه، من حديث أبي هريرة][١].

ويضيع أذى الناس الأعمال والطاعات، حتى يكون عاقبة الإنسان النار، فعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قيل يا رسول الله: إن فلانة تصلى الليل وتصوم النهار وتؤذى جيرانها بلسانها فقال ﷺ: **«لا خير فيها هى فى النار»** [صححه الحاكم وابن حبان وأحمد][٢].

وحتى المسلم إذا مات، فلا يحق لأحد أن يذكره بسوء، قال ﷺ: **«اذكروا محاسن موتاكم، وكفوا عن مساويهم»**[٣].

وصح عن الرسول ﷺ أنه قال: **«لا يدخل الجنة نمام»** [متفق عليه، من حديث حذيفة][٤]، والنمام هو الذى ينقل الحديث بين الناس؛ من أجل الإفساد بينهم.

والمسلم لا يؤذى الناس حتى فى طريقة الحديث، ويأمرنا الله تعالى فى سورة العنكبوت بعدم الجدال إلا بالتى هى أحسن: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦] وقال تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون:٦].

فهذا الإسلام قد رفع من قدر المسلمين جميعًا، عندما نزع عنهم أذى الناس جميعًا، سواء أكانوا مسلمين، أو من أهل الكتاب، أو كفارًا.

***

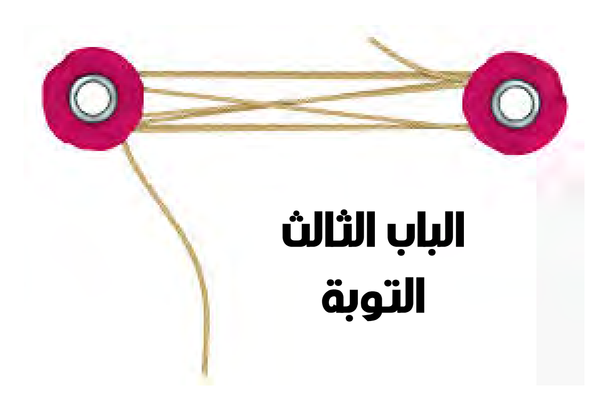
---

(١) البخارى فى الفتن (٧٠٧٦)، ومسلم فى الإيمان (٦٤/١١٦).

(٢) الحاكم فى المستدرك (٤/١٦٦)، وصححه، ووافقه الذهبى.

(٣) أبو داود فى الأدب (٤٩٠٠)، والترمذى فى الجنائز (١٠١٩) وقال: «غريب»، وضعفه الألبانى.

(٤) البخارى فى الأدب (٦٠٥٦)، ومسلم فى الإيمان (١٠٥/١٦٨).



الباب الثالث
التوبة



الفصل الأول : لماذا التوبة؟ وثمرتها ووقتها .

الفصل الثانى : مراحل التوبة وشروطها .

الفصل الثالث : برنامج يومى لتجديد التوبة .

الفصل الأول
لماذا التوبة؟ وثمرتها ووقتها



معنى التوبة:

تاب إلى الله تعالى توبًا وتوبة ومتابًا: رجع عن معصيته وندم عليها، فهو تائب، وتاب الله عليه: غفر له، وعاد عليه بفضله.

والتواب اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه أنه هو الذى يوفق عباده إلى أسباب التوبة ويقبلها منهم، ويقال للعبد: تواب؛ أى كثير التوبة والندم والاستغفار من الذنوب.

يتناول جزء التوبة ثلاث نقاط هى:

لماذا التوبة؟ ويجاب عنها من خلال آيات وآحاديث عن الرسول ﷺ وثمرتها ووقتها.

ثم مراحل التوبة وشروطها، سواء ما إذا اتصل الذنب بعلاقة العبد بربه أو بالناس، ثم يتم عرض برنامج يومى، يمكن للأخت المداومة عليه من سنة الرسول ﷺ فى التوبة، سواء من خلال العبادات الوضوء والصلاة والقرآن، أو من خلال أعمال اليوم والليلة.

أولا: لماذا التوبة؟ وثمرتها:

- لأن: **«كل بنى آدم خطاء، وخير الخطائين المستغفرون»** [أخرجه الترمذى][1].

- ليكسب العبد حب الله له، ويكتب له القبول فى الأرض، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة].

- لأن الله يفرح بتوبة العبد المؤمن.

يقول ﷺ: **«لله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، فطلبها حتى إذا اشتد**

---

(١) الترمذى فى صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٩٩)، وقال: «حديث غريب»، وابن ماجه فى الزهد (٤٢٥١)، وحسنه الألبانى.

عليه الحر والعطش أو ما شاء الله، قال: أرجع إلى مكانى الذى كنت فيه فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعدته ليموت، فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه، فالله تعالى أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته» [رواه مسلم](١).

- لأن الله تعالى يقبل التوبة فهو التواب الرحيم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾[الشورى].

- لأن كثرة الذنوب تطمس القلب، قال تعالى فى سورة المطففين: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[المطفِّفين].

- لأن الله يغار على العبد، يقول ﷺ: **«إن الله تعالى يغار، وغيرةُ الله أن يأتى المرء ما حرم الله عليه»** [متفق عليه](٢).

- لأن الله تعالى غفار، وكثير الخيرات لمن تاب فى الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح]، وفى سورة طه: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه:٨٢].

- لأن الله رحيم ودود، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾[هود:٩٠].

- لأن الله واسع المغفرة، يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[النجم:٣٢].

- لأن الخطأ من طبيعة ابن آدم، يقول ﷺ: **«كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين المستغفرون»** [أخرجه الترمذى](٣).

يقول الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[الشمس].

---

(١) مسلم فى التوبة (٣/٢٧٤٤).

(٢) البخارى فى النكاح (٥٢٢٣)، ومسلم فى التوبة (٣٦/٢٧٦١).

(٣) سبق تخريجه فى الصفحة السابقة.

- للخروج من الضيق والهم، ولتوسعة الرزق، يقول ﷺ: **«من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب»** [رواه أبو داود](١).

- لأن الله واسع المغفرة:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قال الله تعالى: يا بن آدم، إنك ما دعوتنى ورجوتنى، غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا بن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتنى غفرت لك، يا بن آدم، إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة»** [رواه الترمذى](٢).

- لأن الله أقرب للعبد من نفسه، ولا يخفى عليه مثقال ذرة، يقول الله تعالى فى سورة ق: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق].

- لأن الله تعالى أسرع وأقرب للعبد من العبد إليه، يقول ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: **«إذا تقرب العبد إلىَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإذا تقرب إلىَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإذا أتانى يمشى أتيته هرولة»** [رواه البخارى](٣).

- للوقاية من عذاب الله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال].

- لأن الله تعالى هو الذى يغفر الذنوب وحده، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران].

- لسوء تقدير الإنسان للذنب، قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور].

- لسرعة الحساب والعقاب، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) أبو داود فى الصلاة (١٥١٨)، وأحمد (١/٢٤٨)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٢٢٣٤): «إسناده صحيح».

(٢) الترمذى فى الدعوات (٣٥٤٠) وقال: «حديث غريب».

(٣) البخارى فى التوحيد (٧٥٣٦، ٧٥٣٧).

– لأن الله يغفر الذنوب جميعًا، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزُّمَر].

– لأن رحمة الله تغلب غضبه، عن أبى هريرة، قال ﷺ: **«لما خلق الله الخلق كتب فى كتاب – فهو عنده فوق العرش – إن رحمتى تغلب غضبى»** [متفق عليه](1).

– لأن رحمة الله واسعة، يقول ﷺ: **«لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من رحمته»** [رواه مسلم، عن أبى هريرة] (2).

ولماذا للنساء خاصة؟:

– لأن النساء يكثرن اللعن ويكفرن العشير، أو ينكرن خير الزوج، يقول ﷺ: **«يا معشر النساء تصدقن، وأكثرن من الاستغفار؛ فإنى رأيتكن أكثر أهل النار»**. قالت امرأة منهن: ما لنا أكثر أهل النار؟ قال: **«تكثرن اللعن، وتكفرن العشير»** [رواه مسلم، من حديث ابن عمر](3).

ثانيًا: وقت التوبة:

فور معرفة الذنب، تجب التوبة فى أقرب وقت عرف فيه المؤمن أنه قد وقع فى الذنب، وفى هذه الحالة عليه التوبة، وعلى الله المغفرة، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون].

ولماذا ينتظر المؤمن اليوم الثانى ليتوب؟! وقد قال ﷺ: **«إن الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسىء الليل إلى النهار، ولمسىء النهار إلى الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»** [رواه مسلم](4). وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء].

---

(١) البخارى فى التوحيد (٧٤٠٤)، ومسلم فى التوبة (٢٧٥١ / ١٤).

(٢) مسلم فى التوبة (٢٧٥٥/٢٣).

(٣) مسلم فى الإيمان (٧٩/١٣٢).

(٤) مسلم فى التوبة (٢٧٥٩/٣١).

وقال ﷺ: **«أتبع السيئة الحسنة تمحها ...»** [الترمذى][(١)].

والمسارعة إلى التوبة والمغفرة، فهما طريقان إلى الجنة، قال تعالى: ﴿**وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣**﴾ [آل عمران].

عن أبى عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»** [رواه الترمذى[(٢)]، وقال: «حسن»].

وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»** [رواه مسلم][(٣)].

الاستغفار طوال اليوم:

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة»** [رواه البخارى][(٤)].

وفى الأيام التى تفتح فيها أبواب الجنة:

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا! أنظروا هذين حتى يصطلحا»** [رواه مسلم][(٥)].

***

(١) الترمذى فى البر والصلة (١٩٨٧)، وقال: «حسن صحيح».
(٢) الترمذى فى الدعوات (٣٥٣٧)، وقال: «حسن غريب».
(٣) مسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٣/٤٣).
(٤) البخارى فى الدعوات (٦٣٠٧).
(٥) مسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٦٥ / ٣٥).

الفصل الثانى
مراحل التوبة وشروطها



هى مراحل لأنها تأتى متتالية، ولها شروط لا تصح التوبة بدونها:

مرحلة العلم:

التائب من الذنب لابد أن يعرف ثلاثة أمور:

الأول: أنه إنسان، وكل بنى آدم خطاء.

الثانى: أن ربه واسع المغفرة والرحمة، وسريع الحساب.

الثالث: أنه ارتكب ذنبًا.

فإذا لم يعرف الأول سيصعب عليه الإنابة إلى الله والتوبة والاستغفار، وإن لم يعرف الثانى سيكون من القانطين من رحمة الله، وإذا لم يعرف الثالث سيهون عليه ما يفعل، ويزداد إثمًا وبغيًا وظلمًا، وسيحسب أنه يحسن صنعًا، وتزين له نفسه أعماله.

وفى الحالة الأولى: لنا فى توبة الرسل والأنبياء قدوة حسنة، ودراسة تاريخ البشر وعاقبة المفسدين فى الأرض، وهو أمر إلهى يقول تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران].

وفى الحالة الثانية: فإن العلم بصفات الله عز وجل وقدرته وحكمته، وكثرة قراءة القرآن، والتقرب إلى الله الرحيم، باب ميسر للعلم عن كيفية التوبة.

وفى الحالة الثالثة: فإن معرفة الذنوب وأنواعها وتصنيفاتها، والآيات التى تذكرها، والأحاديث التى تحذر منها، شفاء لما فى الصدور، ونور لطريق المؤمنة فى التوبة إلى الله ودوامها.

مرحلة الندم:

وهى الأسف والتحسر النفسى والقلبى والعقلى على ما ارتكب الإنسان من آثام، وكلما كان الندم أشد كلما كان تكفير الذنوب أرجى، يقول الرسول ﷺ: **«الندم توبة»**[(١)].

ويندم الإنسان على الذنب عندما يقتنع - تمام الاقتناع - بأنه ارتكب ذنبًا، وأنه أضر بنفسه وغيره، وأنه سيقع عليه عقاب شديد، وأنه لابد له من الرجوع عنه.

إنه أحس وأدرك الخطر الواقع عليه.

وتحتاج الأخت إلى كثير من التطهير النفسى، والبعد عن أهوائها وغواية الشيطان وحزبه، الذين يقللون هذا الإحساس بالأسف، ويزينون العمل السيئ لصاحبه.

وتحتاج إلى مجالسة الصالحين التوابين الأوابين لله؛ فهى تزيد رضا الإنسان عن نفسه عند التوبة، وتزيد من تحمله للحزن والأسى القلبى، الناتج عن الندم؛ فهو يتحمل مرارة الدواء من أجل الشفاء.

مرحلة الإقلاع عن الذنب، ورد الحقوق لأصحابها:

هى المرحلة الإيجابية فى التوبة، وهى مرحلة التغيير من طور إلى آخر، ومن حال إلى أخرى، وتظهر على الوجه والجسد، ويحسها القلب والروح، فتتحسن المشاعر والأحاسيس، وتستقيم الأمور ويتغير الأصحاب، ويتغير أسلوب الحياة والتعامل مع الناس، فتظهر بشاشة على الوجه ونور التوبة يحسه ويشاهده من يتعامل مع التائب، فتصفو البشرة ويصفو القلب، ويرد للناس مظالمهم، فيسعدوا باسترداد حقوقهم، وتزول الشحناء والبغضاء، وتزداد الألفة والمحبة بين الأطراف، التى كانت - ربما من لحظات - أعداء، فإذا بهم أولياء بعض.

ولنتذكر قول الله تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فُصِّلَت].

كما تتطلب هذه المرحلة رد المظالم إلى أصحابها، وطلب الرضا منهم، والاعتذار والأسف إليهم بعد رد حقوقهم المسلوبة، والتى ربما انتفع بها المذنب، وحرم صاحبها منها مدة من

---

(١) الحاكم فى المستدرك (٤/٢٤٣) وصححه، ووافقه الذهبى، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٦٨٠٢).

الزمن، فإنها كذلك تتطلب فيما يتعلق بحقوق الله عز وجل، والفروض التى ضيعها المذنب، أن يؤديها قبل أن يدركه الموت أو المرض أو الفقر أو الشيخوخة.

فإذا لم تكن الفتاة تصلى الفروض، فيجب عليها أن تؤديها بعد كل صلاة، وإذا لم تكن حجت وهى مستطيعة، فيجب أن تؤدى فريضة الحج، وإذا لم تزكى، فتجتهد فى أداء الفريضة، وتكثر من الصدقات، وأن تؤدى حق الله فى مالها، وإن قصرت فى الصيام فعليها القضاء، وتتبع سنة الرسول ﷺ فى اختيار أفضل الأيام فى الصيام، فلا وصال فى الصوم، يعنى لا تصوم شهرًا كاملًا إلا رمضان، ولكن أحب الصيام إلى الله صيام داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يصوم يومًا ويفطر يومًا[(١)].

مرحلة العزم لعدم الرجوع للذنب:

وهى تعنى الجدية فى أمر التوبة إلى الله، وعقد النية الصادقة، مصممًا على العمل، وهى تتضمن الثبات والصبر والجد فى العمل، وأكثر الأخلاق ارتباطًا بالعزم فى الإسلام هو الصبر.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى]، وفى سورة لقمان: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان]، وفى سورة آل عمران: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران].

أسباب صعوبة مرحلة العزم:

- طبيعة الإنسان النسيان:

فربما وضع خطة ومشى فى جزء منها، ثم نسى أهدافه الأساسية، فضاع فى طرق عشوائية، ولم يصل لهدفه، وربما أقر واعترف بذنبه، وقرر عدم الرجوع إليه، ولكنه بعد معاودة حياته السابقة، يجد نفسه يكرر الخطأ دون أن يشعر، ثم ينسى اعترافه وندمه على الذنب فيما مضى.

يقول الله تعالى فى سورة طه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه].

– عدم التوكل على الله حق توكله:

فتعتقد الفتاة أن الله سيحسن لها أحوالها دون أن تعمل وتجتهد وتحسن العمل وتتقنه؛ مما

---

(١) البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٤٢٠).

يؤدى إلى فقدان عنصر الجدية فى العزم، يقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

- ضعف التقوى:

مرحلة العزم تحتاج إلى تقوية تقوى الله وخشيته فى السر والعلن، والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه، وامتثال طاعة الله ورسوله فى كل الأمور؛ فمثل هذا الأمر سيجعل التائبة فى حالة استقامة دائمة، فلا تتوب من ذنب لتقع فى ذنب آخر، ولا تقدم على صنع شىء فتضر نفسها أو غيرها، وتغضب أصحاب الأمر والفضل عليها؛ كالوالدين أو الزوج أو مدير العمل أو المعلم.

ولصعوبة هذه الاستقامة، نجد عظم الثواب فى الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فُصِّلَت]. ويقول تعالى فى سورة النور: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور].

ويعطى الله هدية التقوى لكل من سار فى طريق الهداية، يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد].

– هى مرحلة تحمل المشاق والبلوى والأذى؛ لذلك فلابد ولا غنى عن الصبر فى مرحلة العزم.

ولذلك فإن الأجر من جنس العمل، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزُّمَر]، وفى سورة يوسف: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف]، وفى سورة الرعد: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد].

* * *

الفصل الثالث
برنامج يومى لتجديد التوبة
من هدى الرسول ﷺ



يجب على الأخت المسلمة أن تراعى قراءة هذه الأدعية فى الحالات الآتية:

عند الاستيقاظ من النوم:

«سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لى إنك أنت التواب الرحيم»(١).

عند الوضوء:

- إحسان الوضوء: عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: **«من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره»**(٢).

«اللهم اجعلنى من التوابين، واجعلنى من المتطهرين»(٣).

- الذهاب للوضوء بنية خروج الخطايا من الجسد، وتجديد نية التوبة:

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال ﷺ: **«إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن، فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيًّا من الذنوب»** [رواه مسلم](٤).

---

(١) أحمد (١/٣٩٢)، والبخارى فى التفسير (٤٩٦٧، ٤٩٦٨)، ومسلم فى الصلاة (٢١٧/٤٨٤).

(٢) مسلم فى الطهارة (٢٤٥/٣٣).

(٣) الترمذى فى الطهارة (٥٥)، وقال الشيخ أحمد شاكر: «أصل الحديث صحيح مستقيم الإسناد».

(٤) مسلم فى الطهارة (٢٤٤/٣٢).

- يدعو فى الوضوء:

من حديث أبى موسى الأشعرى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: أتيت رسول الله بوَضوء، فتوضأ، فسمعته يدعو يقول: «اللّٰهم اغفر لى ذنبى، ووسع لى فى دارى، وبارك لى فى رزقى»(١).

- وقال ﷺ: **«من توضأ فقال: سبحانك اللّٰهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، كتب فى رق، ثم جعل فى طابع، فلم يكسر إلى يوم القيامة»** [رواه الطبرانى](٢).

الصلاة:

«ما من عبد يذنب ذنبًا فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلى ركعتين، ثم يستغفر الله، إلا غفر له» [أبو داود](٣).

قال ﷺ: **«الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»**(٤).

- انتظار الصلاة بعد الصلاة:

عن أبى هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟»** قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: **«إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»** [رواه مسلم](٥).

- دعاء استفتاح الصلاة:

«اللّٰهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللّٰهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، الله اغسلنى من خطاياى بالثلج والماء والبرد»(٦).

---

(١) الترمذى فى الدعوات (٣٥٠٠)، وقال: «حديث غريب».

(٢) مجمع الزوائد للهيثمى (١٠/١٤٥)، وقال: «رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح».

(٣) أبو داود فى الصلاة (١٥٢١)، والترمذى فى الصلاة (٤٠٦) وقال: «حسن»، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

(٤) مسلم فى الطهارة (١٦/٢٣٣).

(٥) مسلم فى الطهارة (٤١/٢٥١).

(٦) البخارى فى الأذان (٧٤٤).

«اللّٰهم إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللّٰهم أنت الملك لا إله إلا أنت، وأنت ربى وأنا عبدك (أمتك) ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعًا» (١).

- **فى الركوع:**

«سبحانك اللّٰهم ربنا وبحمدك، اللّٰهم اغفر لى»(٢).

- **فى السجود:**

«اللّٰهم اغفر لى ذنبى كله؛ دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسره» [رواه مسلم](٣)، «سبحانك اللّٰهم ربنا وبحمدك اللّٰهم اغفر لى»(٤).

- **فى الجلسة بين السجدتين:**

– «اللّٰهم اغفر لى وارحمنى واجبرنى واهدنى وارزقنى» [رواه الترمذى](٥)، «رب اغفر لى رب غفر لى» [رواه أبو داود](٦).

- **بين التشهد والتسليم:**

«اللّٰهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به منى، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت» [رواه مسلم](٧) .

---

(١) مسلم فى صلاة المسافرين وقصرها (٧٧١/٢٠١)، وأحمد (١/٩٤).

(٢) سبق تخريجه بالصفحة السابقة.

(٣) مسلم فى الصلاة (٤٨٣/٢١٦).

(٤) سبق تخريجه بالصفحة السابقة.

(٥) الترمذى فى الصلاة (٢٨٤)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

(٦) أبو داود فى الصلاة (٨٧٤)، والنسائى فى الصلاة (١٠٦٩).

(٧) مسلم فى صلاة المسافرين وقصرها (٧٧١/٢٠١).

- قبل التسليم:

«اللّٰهم إنى أسألك يا الله بأنك الواحد الأحد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، أن تغفر لى ذنوبى، إنك أنت الغفور الرحيم»(١).

«اللّٰهم إنى ظلمت نفسى ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى، إنك أنت الغفور الرحيم» [متفق عليه](٢).

- بعد التسليم:

«أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، اللّٰهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام» [رواه مسلم](٣).

التسبيح بعد الصلاة:

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبر الله ثلاثًا وثلاثين، وقال فى تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، غفرت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر»** [رواه مسلم](٤).

- التهجد فى الليل:

كان النبى ﷺ إذا قام من الليل يتهجد، قال: **«اللّٰهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، والساعة حق، ومحمد حق، اللّٰهم لك أسلمت، وعليك توكلت، وبك آمنت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهى لا إله إلا أنت»**(٥).

---

(١) أبو داود فى الصلاة (١٤٩٣)، والترمذى فى الدعوات (٣٤٧٥)، وقال: «حسن غريب»، وابن ماجه فى الدعاء (٣٨٥٧)، وصححه الألبانى.

(٢) البخارى فى الأذان (٨٣٤)، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٤٨/٢٧٠٥).

(٣) مسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (١٣٥/٥٩١).

(٤) مسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (١٤٦/٥٩٧).

(٥) مسلم فى صلاة المسافرين وقصرها (١٩٩/٧٦٩).

- فى أثناء اليوم:

مداومة الذكر لله فى كل أحوالك، وفى جميع الأماكن، ما عدا الخلاء، ولا تمتنع الحائض عن الذكر، قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

- دعاء فى جميع الأحوال للرسول ﷺ:

«اللّٰهم اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى».

«اللّٰهم اغفر لى جدى وهزلى وخطئى وعمدى، وكل ذلك عندى».

«اللّٰهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به منى، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شىء قدير» [متفق عليه] (١).

«اللهم إنى أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة، والنجاة من النار» [رواه الحاكم](٢).

- المصافحة:

قال ﷺ: **«ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا»**(٣).

- فى المجلس:

عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كان يعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم: **«ربى اغفر لى وتب علىَّ، إنك أنت التواب الغفور»** (٤).

- بعد انقضاء المجلس:

«سبحانك اللّٰهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك»(٥) ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾

---

(١) البخارى فى الدعوات (٦٣٩٩)، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧١٩/٧٠).

(٢) الحاكم فى المستدرك (٥٢٥/١)، وقال: «حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبى.

(٣) أبو داود فى الأدب (٥٢١١)، والترمذى فى الاستئذان (٢٧٢٧)، وقال: «حسن غريب »، وابن ماجه فى الأدب (٣٧٠٣)، وصححه الألبانى.

(٤) أبو داود فى الصلاة (١٥١٦)، والترمذى فى الدعوات (٣٤٣٤)، وقال: «حسن صحيح غريب»، وابن ماجه فى الأدب (٣٨١٤)، وصححه الألبانى.

(٥) سبق تخريجه، ص ٢٣٧.

إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر].

القرآن: قال ﷺ: **«من القرآن سورة ثلاثون آية، شفعت لرجل حتى غفر له، وهى تبارك الذى بيده الملك»** (١).

- عند ركوب الدابة أو ما يقوم مقامها:

«بسم الله، الحمد لله، سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، سبحانك اللّهم إنى ظلمت نفسى فاغفر لى؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»(٢).

- عند القلق فى النوم:

قال ﷺ: «من تعار من الليل فقال حين يستيقظ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ثم دعا رب اغفر لى غفر له» [رواه البخارى](٣).

- سرعة الاستغفار بعد الخطأ أثناء الحديث واللهو:

قال ﷺ: «من حلف فقال فى حلفه باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدق» [متفق عليه، من حديث أبى هريرة] (٤).

- أفضل الاستغفار: علمنا الرسول ﷺ أفضل الاستغفار:

«اللّهم أنت ربى وأنا عبدك (أمتك)، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علىَّ، وأبوء على نفسى بذنبى، فقد ظلمت نفسى، واعترفت بذنبى، فاغفر لى ذنوبى ما قدمت منها وما أخرت، فإنه لا يغفر الذنوب جميعها إلا أنت» [رواه البخارى](٥).

---

(١) أبو داود فى الصلاة (١٤٠٠)، والترمذى فى فضائل القرآن (٢٨٩١)، وقال: «حسن»، وابن ماجه فى الأدب (٣٧٨٦)، وأحمد (٢/٣٢١)، وصححه الألبانى.

(٢) أبو داود فى الجهاد (٢٦٠٢)، والترمذى فى الدعوات (٣٤٤٦)، وقال: «حسن صحيح»، وأحمد (١/٩٧)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٧٥٣): «إسناده صحيح».

(٣) البخارى فى التهجد (١١٥٤).

(٤) البخارى فى الأيمان والنذور (٦٦٥٠)، ومسلم فى الأيمان (١٦٤٧/٥).

(٥) البخارى فى الدعوات (٦٣٠٦).

- صلاة المغفرة:

علمها ﷺ للعباس بن عبد المطلب، فقد قال ﷺ له: «ألا أعطيك، ألا أمنحك، ألا أحبوك بشيء إذا أنت فعلته غفر الله ذنبك؛ أوله وآخره، قديمه وحديثه، خطأه وعمده، سره وعلانيته؟: تصلى أربع ركعات، تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة، فإذا فرغت من القرآن فى أول ركعة وأنت قائم تقول: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر مرات، ثم ترفع من الركوع فتقولها قائمًا عشرًا، ثم تسجد فتقولها عشرًا، ثم ترفع من السجود فتقولها جالسًا عشرًا، ثم تسجد فتقولها ساجدًا عشرًا، ثم ترفع من السجود فتقولها عشرًا، فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة. تفعل ذلك فى أربع ركعات، إن استطعت أن تصليها فى كل يوم فافعل، فإن لم تفعل ففى كل جمعة مرة، فإن لم تفعل ففى كل شهر مرة، فإن لم تفعل ففى السنة مرة»(١).

***

(١) الترمذى فى الصلاة (٤٨٢)، وقال: «غريب»، وقال الشيخ أحمد شاكر: «حديث حسن »، وصححه الشيخ الألبانى.



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- آفات على الطريق: الدكتور السيد محمد نوح، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط١، ١٩٩٩م.

٢- إحياء علوم الدين:محمد بن محمد الغزالى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م.

٣- الإيمان: محمد نعيم ياسين، دار الفرقان، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر. د.ت.

٤- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى، دار إحياء التراث العربى، ط٣، ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م.

٥- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطى، دار المعرفة، بيروت، لبنان.د.ت.

٦- رياض الصالحين: يحيى بن شرف النووى، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م.

٧- السلسلة الصحيحة: محمد ناصر الدين الألبانى، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط٣، ١٤٠٦هـ.

٨ - السنة: عمرو بن أبى عاصم، المكتب الإسلامى، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

٩- سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزوينى، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان. د. ت.

١٠ - سنن أبى داود: سليمان بن الأشعث السجستانى، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

١١- سنن الترمذى: محمد بن عيسى بن سورة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م.

١٢- سنن النسائى: أحمد بن شعيب النسائى، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م.

١٣- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيرى، دار إحياء الكتب العربية. د. ت.

١٤- عقيدة المؤمن: أبو بكر جابر الجزائرى، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٩٧٨م.

١٥- فتح البارى شرح صحيح البخارى: أحمد بن على بن حجر، دار الفكر للطباعة والنشر.د. ت.

١٦- قصص الأنبياء: إسماعيل بن كثير، دار التراث العربى، ط١، ١٩٨١م.

١٧- الكبائر: شمس الدين الذهبى، دار الدعوة، الإسكندرية، مصر. د. ت.

١٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: على بن أبى بكر الهيثمى، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

١٩- المستخلص فى تزكية الأنفس: سعيد حوى، دار السلام، ط١، ١٩٨٣م.

٢٠- المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابورى، دار المعرفة، بيروت، لبنان.د. ت.

٢١ - مسند الإمام أحمد: أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامى للطباعة والنشر. د. ت.

٢٢- معجم الألفاظ والأعلام القرآنية: محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربى.د.ت.

٢٣- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبرانى، بدون دار نشر، ط١، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

❊❊❊

الفهرس



الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**



الموضوع **الصفحة**

* * *